العدد الأول - السنة الأولى
رجب ١٣٩٧هـ - يونية ١٩٧٧م



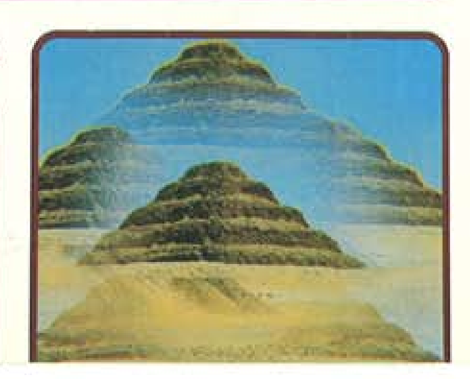


مجلة ثقافية شهرية

في ديار العرب والمسلمين







الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

العدد الأول - السنة الأولى
رجب ١٣٩٧هـ - يونية ١٩٧٧م

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

هـذا العـدد

أقدم مكان مقدس .. ومنها انطلقت رسالة الاسلام الخالدة تحمل للناس أجمعين اشعاعات النور والهداية .. وأقامت حضارة باهرة باسقة مدت ثمارها اليانعة الطيبة لكل بقاع الارض .. والى مسجدها (البيت الحرام) تتجه وجوه ملايين المسلمين من كل اصقاع الدنيا خمس مرات في اليوم.



هذه هي مكة المكرمة المدينة المقدسة من خلال تاريخها الطويل العريض ص (٣٥).

يجد المرء نفسه امام مجموعة من علامات الاستفهام وهو يبحث قضية العلاقة التاريخية الحميمة القائمة بين الانسان .. والخيل .. ودواعي اهتمام الانسان ورعايته الكبيرة المستمرة للخيل عن غيرها من سائر الحيوانات التي لها مميزات الخيل ومحاسنها .. والاجابة على علامات الاستفهام هذه يجدها القارئ على ص (٩١).



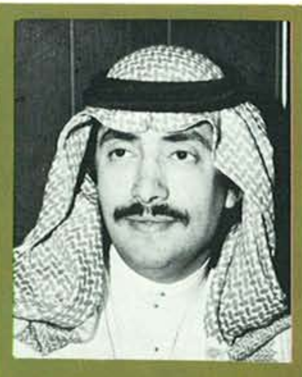
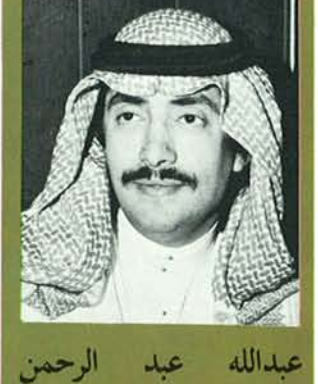
الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية من خلال التقنية الحديثة .. وتأثيرات المدارس المختلفة .. أين يقع .. كيف كانت البدايات .. وما هو مستقبل هذا الفن؟ هذا ما يجيبك عليه من خلال سرد تاريخي لنشأة الفن السعودي التشكيلي ص (١٤٧).



من كتّاب هذا العدد

محمد علي السنوسي

* ولد في مدينة جازان عام ١٣٤٢ هـ.
* له ثلاثة دواوين شعرية مطبوعة هي «القلائد» و «اغاريد» و «ازاهير» وله عدد من الكتب المخطوطة في الدراسات الادبية والاجتماعية لم تطبع بعد.

عبدالله عبد الرحمن جفري

* من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٥٨ هـ.
* أصدر مجموعتي قصص قصيرة هما «حياة جائعة»، «الجدار الآخر» وكتاب «لحظات» وهو عبارة عن قطع نثرية وجدانية صغيرة تنزع الى الروح الرومانسية ولديه رواية بعنوان «ذلك الشقي» لم تطبع.
* عمل في الصحافة سنوات طويلة .. وكان آخر عمل قام به مديرا لتحرير جريدة «عكاظ» اليومية.

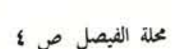
احمد عبد الغفور عطار

* ولد عام ١٣٣٧ هـ في مكة المكرمة.
* تخرج من المعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٥ هـ .. كما درس بعدها مستمعا في كليتي دار العلوم، وكلية آداب جامعة القاهرة بمصر.
* انشأ جريدة «عكاظ» التي تحولت فيما بعد الى مؤسسة .. وبعدها اصدر مجلة «كلمة الحق» ثم توقفت عن الصدور .. وهو يفكر في اعادة اصدارها.
* صدر له اكثر من ثلاثين كتابا في الأدب والاجتماع والدين والقصة والشعر .. كما حقق خمسة من كتب التراث منها «الصحاح» للجوهري في سبعة مجلدات احدها المقدمة.



الدكتور عباس صالح طاشكندي

* ولد في مكة المكرمة عام ١٣٦٥ هـ.
* الشهادة الجامعية جامعة القاهرة في المكتبات والوثائق عام ١٩٦٦ م.
* ماجستير في المكتبات — جامعة بتسبرج ولاية بنسلفانيا في امريكا عام ١٩٦٩م.
* دبلوم دراسات عليا — جامعة بتسبرج عام ١٩٧٠ م.
* دكتوراة في المكتبات والاعلام — جامعة بتسبرج عام ١٩٧٤ م.
* التخصص :- مكتبات وتوثيق.
* عضو في عدد من الجمعيات العالمية .. كما شارك في مؤتمرات الهيئة الدولية لجمعيات المكتبات.
* يعمل حاليا استاذاً مساعداً في كلية آداب جامعة الملك عبدالعزيز بجدة .. وعميدا لشئون المكتبات فيها.



أحمد محمد جمال

* من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٤٣ هـ.
* تلقى دراسته في المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.
* عضو في مجلس الشورى.
* ألقى عددا من المحاضرات في الجامعات وغيرها عن الاسلام وتشريعاته الانسانية، رد فيها على كثير من الشبهات التي وجهها الاعداء الى الدين الحنيف.
* له مجموعة من المؤلفات المطبوعة (١٥ كتاباً) تقريباً.



الدكتور سمير سرحان

* من مواليد القاهرة في ١٩٤١/١٢/٨ م.
* دكتوراه في الأدب الانجليزي – جامعة انديانا بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦٨ م.
* عمل مديرا لتحرير مجلة المسرح المصرية للفترة ٦٢–٦٥.
* استاذ مشارك – الدراما والأدب الانجليزي – جامعة القاهرة .. وحاليا بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.
* له ثلاثة كتب مطبوعة باللغة العربية واربعة باللغة الانجليزية .. الى جانب اسهامه بالكتابة في كثير من المجلات الثقافية في العالم العربي.
* محرر ومشرف على Who's Who in Saudi Arabia

عبد القدوس الانصاري

* من مواليد عام ١٣٢٤ هـ في المدينة المنورة.
* حاز الشهادة العالية لمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة عام ١٣٤٦ هـ.
* عمل رئيسا لتحرير جريدة أم القرى ..
* صاحب ورئيس تحرير مجلة «المنهل» التي انشأها عام ١٣٥٥ هـ وما تزال تصدر الى الآن وهي مجلة شهرية للآداب والعلوم.
* له مجموعة من المؤلفات المطبوعة في اللغة .. والتاريخ .. وتحقيق الاماكن والآثار .. والسيرة الذاتية .. والشعر .. والقصة .. ولديه عدد من الكتب المخطوطة والتي لم يتم طبعها بعد.



محمد موسى السليم

* ولد في بلدة «مرات» بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٨ م.
* خريج اكاديمية فلورنسا للفنون الجميلة – ايطاليا .. ويحمل (١٣) دبلوم شرف وتقدير.
* اقام عشرة معارض لأعماله في داخل المملكة وخارجها في مدينة فلورنسا.
* اشترك في اكثر من ثلاثين معرضا في المملكة وخارجها في ايطاليا واسبانيا.
* عضو في جمعية اصدقاء الفن « » بمدينة فلورنسا وفي مركز الفنون الجميلة فيها «بيت دانتي» .. ويحتفظ متحف فلورنسا للفن المعاصر بلوحتين من اعماله.
* حصل على (١١) جائزة ما بين لوائح وكؤوس وميداليات.
* يعمل حاليا مهندسا للديكور بمحطة تلفزيون الرياض.

هذه المجلة: وصحافة العصر!!

الصحافة الناجحة ؟

ماهي سؤال تجيب عليه صحافة اليوم من خلال ما تنشره على صفحاتها كجانب بارز من جوانب اهتماماتها – ان لم يكن اهمها – كما يردده تجار الصحافة من حين الى آخر .. ويروجون له في كل مناسبة يتناول الحديث فيها الصحافة .. وماهيتها .. ومقومات نجاحها .. وهو ان الصحافة الناجحة المقروءة تقوم على ساقين هما :

* **الجنس**
* **والجريمة**

وفي نظرهم ان الصحافة التي تفتقر الى هاتين الساقين هي صحافة كسيحة .. ومشلولة .. وغير مقروءة.

والمتتبع لما تنشره أغلب الصحف العالمية .. وبعض الصحف العربية يدرك بشكل واضح وجريء مدى سيطرة هذا المفهوم على تفكير القائمين عليها بحيث يندر ان تخلو صحيفة من أخبار الجنس .. والفضائح .. وحوادث الاختطاف والاغتصاب .. والسلب .. والقتل .. ونشاط العصابات الرهيب بصورة توحي للقارئ ان هذه العصابات طرف في عملية التمويل من أجل تجسيد اهميتها وفعالية دورها وقدرتها على التسلط والبطش بعباد الله سلبا .. وتقتيلا .. ورعبا.

وقد تعمق هذا المفهوم الى حد اعتبره البعض «عرفاً» .. او «تقليداً» لصحافة اليوم .. وظاهرة عصرية من ظواهر هذا العصر المنكود بشتى الظواهر القميئة.

وبمرور الايام استمرأ القوم هذه الظاهرة فتحولت الى نوع من «الالتزام» او «الالزام» – اذا صح هذا التعبير – في الصحافة المعاصرة فكل صحيفة يفكر اصحابها في اصدارها من اجل الربح لا يفوتهم وهم يخططون لرواجها في الاسواق ان يكون من أبرز اهتماماتها نشر فضائح الجنس .. والجريمة بحثا عن الاثارة والكسب المادي .. وتطوّر الأمر بحيث اصبح للجنس وفضائحه .. والجريمة وبشاعاتها .. صحافة متخصصة يقرؤها ملايين القراء .. بأسعار مرتفعة .. وأغلب هذه الملايين من الشبان والشابات المراهقين والمراهقات .. وانشغل الشبان بهذه القراءات عن الاهتمام بقضاياهم المصيرية .. والمعرفية .. ومشاكلهم الحياتية الرئيسية. والتفكير في مستقبل أيامهم .. وايام اممهم.

* هذه ظاهرة من ظواهر نكسة الصحافة العالمية اليوم التي تركت بصماتها على فكر الانسان .. وثقافته .. وروحه.

** وتأتي التيارات السياسية لتشكل ظاهرة اخرى قميئة في تاريخ الصحافة والفكر الانساني .. فقد غدت تسيطر على تفكير الانسان وحواسه بل أصبحت زادا يوميا :. وطبقا رئيسيا لا يستطيع الاستغناء عنه على مائدة طعامه .. واصبح نشر الاخبار والتحليلات السياسية مصحوبا بالفضيحة والجنس امرا بالغ الاهمية في صحافة اليوم .. هذا على مستوى الصحافة .. اما على مستوى الفكر الانساني فقد وظفته هذه التيارات لمتغيراتها التي لا تستقر

على حال .. فشوهت معالمه .. وأهدرت قيمه .. واشعلت روح الكراهية والبغضاء في صفوف المفكرين باسلوب «التفرقة» حينا على طريقة «فرق تسد» .. وباسلوب «التقسيم» حينا آخر الى فئات .. كل فئة جريمة ان تلتقي في حوار او على مائدة نقاش موضوعي مع الفئة الاخرى .. واصبح الفكر الانساني كأوراق الخريف تتقاذفها رياح السياسة حسب اهوائها فهذا «فكر يساري» .. وآخر «فكر يميني» .. وثالث «فكر رجعي» .. ورابع .. وخامس .. الخ هذه التقسيمات التي ما انزل الله بها من سلطان.

وهاتان الظاهرتان تسيطران اليوم بصورة واضحة على أغلب الوسائل الاعلامية .. والفكرية كالاذاعة والتليفزيون .. والمسرح .. والكتاب .. والصحافة.

ومن آثارها انحدار المستوى الثقافي والفكري للكتاب .. وانجراف عدد كبير من الكتاب الباحثين عن الشهرة .. والمال بأيسر السبل .. واقلها جهدا .. تجاوبا مع شباك تذاكر السينما والمسرح .. ومكتبات الارصفة .. واصوات الباعة المتجولين .. كما تراجعت بعض المجلات الثقافية الرصينة .. وتوقف البعض الآخر لانصراف قارئ المتعة عن قراءتها .. وندرة القارئ الباحث عن المعرفة.

وحجة صحافة اليوم وهي تركب هذا الحصان الجموح هي ان القارئ المعاصر المحكوم بالقلق والضياع مخلوق ملول غير قادر على التركيز الجيد .. والقراءة المتأنية العميقة .. كما ان وقته يزدحم بعشرات المشاكل الخاصة والعامة التي لا تساعده على تحصيل المعرفة الجيدة.

وترى ان العصر عصر مادة وليس عصر ثقافة وفكر .. عصر يفكر بمنطق قواعد الربح .. والخسارة .. وهو بهذا المنطق يبحث لاهثا عن الربح الكثير بالجهد القليل .. او باللاجهد احيانا .. والربح عنده اما ان يكون زيادة كبيرة في الدخل .. او اشباعا لمتعة.

وبهذا المنطق استطاع السوق ان يلوي عنق الفكر الانساني .. ووسائله الاعلامية .. ويخضعها لسلطته.

ومن خلال هذا المنظور اصبح صدور مجلة ثقافية ملتزمة بالفكر الانساني الجيد مغامرة جانب الخسارة فيها اقوى من جانب الربح .. كما ان اي مشروع ثقافي يهدف الى تقديم خدمات ثقافية ترتفع بمستوى تفكير الانسان وتطلعاته هو مشروع مصحوب بالفشل المسبق.

في هذا الجو المشحون يأتي صدور هذه المجلة وجها عربيا مشرقا دائم الصحو كسماء بلاده. واضح القسمات رحب الفكر كصحرائه يسعى لخدمة الثقافة العربية الاسلامية والفكر الانساني .. متجاوزا كل التقسيمات الجغرافية .. خاليا من أمراض صحافة اليوم .. في عينيه الصدق .. والصفاء .. والوضوح.

مجلة .. منطلقاتها البحث عن الحقيقة المجردة بلا اثارة او افتعال .. وباسلوب واقعي بلا انفعال او تشنج .. وبروح علمية لا تهويل فيها ولا تجريح.

مجلة .. تحترم الطرح الموضوعي والعلمي احترامها للعقل البشري الذي كرمته الاديان السماوية.

مجلة .. عربية الملامح والسمات .. واضحة الافكار والمبادئ .. تلتزم بقيم الخير .. والمحبة التي يدعو اليها ديننا الحنيف بتعاليمه السمحة .. وقواعده الانسانية العادلة.

مجلة .. بيئتها الارض العربية والاسلامية على امتداد مساحتها وتعدد مواطنها وما على هذه الارض من مدنية وبقايا حضارة باهرة .. وما تحتضنه من تراث انساني رائع.

مجلة .. تحافظ على تراث الاجيال المنصرمة عن طريق دراسته وتقديمه للجيل الحاضر والاجيال القادمة في صورة مشرقة .. وتحتفي بالثقافة المعاصرة الاصيلة من أجل ايجاد جسور من العلاقات القوية .. والصلات المتينة التي تحرص على ربط تراث الماضي بثقافة الحاضر لصناعة فكر المستقبل.

مجلة .. تحترم القيم النبيلة .. والافكار البناءة .. تسعى بكل ذلك الى عقل القارئ ووجدانه.

هذه سبيلنا .. ونستمد التوفيق من الله.

رئيس التحرير



قطعة من تراثنا الفكري الإسلامي



المصحف الشريف – مخطوط من مكتبة المصحف الشريف في المدينة المنورة.

تسند مصادر التاريخ حقيقة تجمع العدد الهائل من مصادر المعرفة في الثقافة الاسلامية بحقائق ثلاث كانت لها آثارها المباشرة في تجمع هذا التراث لسنين طويلة.

تلك الحقائق هي :

١– القرآن الكريم ومحاولة تسجيله على الوسائل المكتوبة.

٢– جمع احاديث الرسول ومحاولة توثيقها وتسجيلها.

٣– أصالة الفكر الاسلامي واسهامه في شتى الحقول النظرية والعملية.

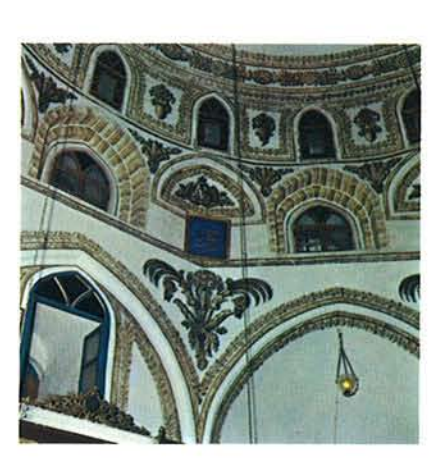
واضيف الى تلك الحقائق، حقيقة رابعة، ألا وهي اسهام الفكر المسلم في ترجمة وتهذيب تراث الثقافات السابقة للاسلام، ومنها الثقافة اليونانية القديمة، وثقافة الشرق القديم.

ولقد كانت لعلماء المسلمين اسهامات بارزة في شتى الحقول. فبالاضافة الى اسهاماتهم الاصيلة في علوم الدين الاسلامي، فانهم اسهموا اسهامات جديدة في عدد كبير من العلوم بل وصنفوا علوما جديدة لم تكن معروفة من قبل. فأوجدوا مدارس للكيمياء واخترعوا الجبر، ووضعوا مناهج علمية دقيقة لعلوم الفلك والنجوم والرياضيات والطب والبيئة والاحياء ومختلف العلوم الطبيعية. كما وضعوا أسسا قوية للعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية. ففي الكيمياء كان لهم السبق الاول، اذ كتب الرازي (المتوفى سنة ٣١١ هـ) اول شروط لانشاء المعامل الكماوية (١). اما في الرياضيات فان الخوارزمي (المتوفى سنة ٢٣٥ هـ) هو من واضعي اسس هذا العلم بل سمي بأسمه (٢). وفي علم الهيئة تمكنوا من شرح وتطوير قواعد اقليدس الهندسية. اما علوم الفلك والنجوم فهي علوم نشأت وتطورت على ايدي علماء المسلمين، فقد تم لهم قياس المسافات بين الافلاك، ومعرفة كثير من الأسرار الفلكية عن طريق القياس، وتعتمد على دراساتهم معظم النظريات الفلكية التي نسير عليها اليوم (٣). وفي مجال العلوم الطبية كان لهم اكبر الدور في تأكيد مناهجه وتطوير اساليبه، فالاعمال العلمية الراقية لأمثال ابن سيناء والرازي وابن بطلان والسمرقندي وابن ابي صادق ظلت حتى يومنا هذا اساسا متينا للكثير من النظريات الطبية المعروفة، بالاضافة الى قيمتها التاريخية في تحديد تاريخ العلوم الانسانية.

نظرا لكل تلك الاسهامات والحقائق التي ذكرناها سالفا، فقد نشأت في العالم الاسلامي كمية هائلة من المصادر المكتوبة، بدأت تتجمع بشكل مهول في مراكز مختلفة منها ما جمع في مكيفات خاصة، ومنها ما ترك لمراكز عامة للتداول والتدارس بين الناس.

بقلم:
د. عباس صالح طاشكندي

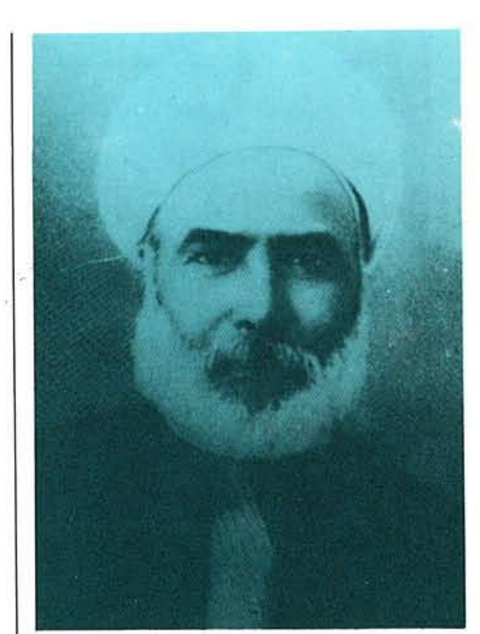
ولقد قام المسجد في الاسلام بدور هام في قضية التراث، فبالاضافة لكونه مكانا للصلاة والتعبد، فقد قام بدور هائل في الثقافة والتعليم اذ حفظت فيه كميات هائلة من كتب التراث، واستغله العلماء كمركز تعليمي مناسب، يتدارس فيه طلاب العلم مختلف العلوم، وخاصة العلوم الدينية. وقامت مدارس علمية كبرى ملحقة بمساجد مختلفة وتطورت في نهاية الامر الى معاهد معروفة ظلت حتى يومنا هذا تمارس نشاطاتها الثقافية والعلمية في مختلف حقول المعرفة النظرية والعملية.



على انه بدأت في القرن الثالث الهجري حركة واسعة لانشاء عدد من المراكز العلمية كالمعاهد والمدارس والمكتبات العامة في اطراف العالم الاسلامي. وفي هذا يحدثنا القلقشندي (المتوفى سنة ٨١٢ هـ) اذ يقول بأن خلفاء المسلمين وملوكهم اخذوا منذ القرن الثالث يفكرون في انشاء مراكز تخلدهم، فأنشأ المأمون مكتبة كبرى في بغداد أسماها (بيت الحكمة)، وجمع بها أمهات الكتب وارسل البعثات للترجمة وعين لها أئمة الفكر يرعون امرها وينظمونها، وشاء لها لن تكون اعظم مراكز البحث في العصر، حتى أحرقها هولاكو سيد التتار بعد ان قتل الخليفة المستعصم (٤).

اما المقريزي (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ) فيحدثنا عن مكتبة اخرى، تلك هي مكتبة (دار الحكمة) التي انشئت في عهد الفاطميين في القاهرة، اذ يقول بانها انشئت في الثامن من جماد الثاني سنة ٣٩٥، وكتب فصلا طيبا عن موجوداتها وخدماتها وبنائها واثاثها وموظفيها، كما تحدث عن دور السلطان الحاكم في تدعيمها وتطويرها (٥).

وعلى اية حال فان هذه الحقائق تدلنا على ثراء تلك المراكز بأمهات كتب التراث الأسلامي. كما ان معظم مؤرخي التاريخ الاسلامي من امثال ابن خلكان، وابن ابي اصيبعة وابن خلدون، وياقوت، وابو المحاسن، والصفدي، وابن الاثير، وابن القفطي، قد تركوا آثارا كثيرة تدل على ثراء التراث الاسلامي بأمهات الكتب في مراكز علمية عريقة. ونتيجة للحركة التي بدأت في بغداد بأنشاء بيت



محمد عبده

المحمدية وذلك منذ أرتضوا لانفسهم هذه التسميات، فليس ثمة الا طريقة واحدة وهي الطريقة الاسلامية او الطريقة المحمدية لان تفرع الطريق يسبب الوهن ويؤثر الخلاف ..

قال تعالـى:

وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» صدق الله العظيم.

(١٥٣-الأنعام)

والواقع ان الصوفية وهم ينزعون الى الزهد والتقشف وخاصة في بداية مراحل التصوف كانوا يمثلون اتجاها فرديا لا خطر له، ولكن ان يتحول ذلك كله الى دعوة جماعية لها دستورها وقوانينها وهدفها الاخير الذي يرمي الى تحويل المجتمع كله الى مجتمع من الزاهدين والمتقشفين فهذا ما يحتاج الى وقفة تأمل ..

ذلك اننا لا نناقش افكار هذه الجماعة مناقشة مجردة ولكننا ننطلق من ان عقيدة الاسلام هي عقيدتنا الراسخة ومنهجنا الذي نعرف به سبيلنا في الحياة ومقياس الافكار الاخرى فان طابقت قبلناها وان شذت رفضناها ..

وبدءا فان الاسلام لم يرسم لاتباعه حياة الزهد والنسك والتقشف، وهو ايضا لم يرد لهم حياة الاستغراق في الترف والنعيم والبلهنية ..

ان الاسلام يرفض العزلة والانقطاع الى العبادة، وهو كذلك يرفض الانكباب على الدنيا وجمع ثرواتها، ان الاسلام يرفض الرهبنة وهو كذلك لا يدعو الى الاكثار من النساء. وفي كل هذه القضايا تغني الآيات الكريمة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن المراء واللجاج .. ويكفي ان نشير الى ما حدث من جماعة من الصحابة اتفقوا على حياة الزهد احدهم يصوم الدهر لا يفطر أبدا والآخر يصل الليل بالنهار صلاة وعبادة، والثالث لا يتزوج النساء ابتغاء مرضاة الله، فيرفض الرسول الكريم هذا المنهج جملة وتفصيلا ويرسم خطة الاسلام المتوازنة بين ترك الدنيا والتهالك عليها.

ولقد أدت هذه المواقف ببعض الباحثين الى الخوض في تأثر المسلمين بنظام الرهبنة في المسيحية، ولكن غالبيتهم يرفضون الأخذ بمقولة ان المتصوفة قد تأثروا بنظام الرهبنة والأديرة والانقطاع الى العبادة في جوف الصحراء ومغارات الجبال لأن الانقطاع والعزلة نزعة تطرأ على الانسان في ظروف معينة، ومع ذلك فان مجرد ورود المقارنة يؤكد خطأ الطريق الذي ذهب اليه من اتخذوا معازل للعبادة من المتصوفين.

وننتقل الآن الى موضوع فرعي وهو يؤكد ما ذهبنا اليه من مجافاة التصوف لتعاليم الاسلام، فالمعروف ان الاسلام قد حرر روح الانسان من تسلط اية قوة اخرى بشرية او غير بشرية منذ اعترف انه لا اله الا الله .. ولم يصبح مسؤولا الا امام خالقه، وهذا في حد ذاته يفتح ملكوت السماوات امام الانسان بلا حدود .. ولكن الطرق الصوفية لها مفهومها الخاص في هذه الصلة الوثيقة بين الانسان وربه .. فالتوبة لا تكون الا على يد شيخ الطريقة، وهناك سلسلة من الاجراءات يمر بها المريد او السالك ويترقى عن طريقها في مدارج السمو ولا يستطيع ان يفعل ذلك وحده وانما لابد له من واصل موصل، اي لابد ان يأخذ استاذه بيده، وعلى هذا الاساس نستطيع ان نقرر ان الصوفية في هذه النقطة بالذات قد خالفت المفهوم الاسلامي العظيم.

حقا ان الصوفية قد تركوا «للمريد» حرية اختيار شيخه او استاذه، ولكنهم يقررون ان المريد متى اختار شيخه او استاذه فانه يرتبط به ارتباطا ابديا، ويحدد الخفاجي في كتابه «النفحات الاحمدية» آداب المريد مع شيخه وأهمها عدم مخالفته او الاعتراض عليه وتقديمه في كل الامور على غيره من الاشياخ الصالحين من اهل الطريق فلا يزور وليا من اهل العصر ولا صالحا الا باذنه ولا يحضر مجلس غيره ولا يسمع من سواه، ولقد لخص السيد ابراهيم الدسوقي علاقة المريد بالشيخ قائلا «ان المريد مع شيخه على صورة الميت، لا حركة ولا كلام، ولا يقدر ان يتحدث بين يديه الا باذنه ولا يعمل شيئا الا باذنه، من زواج او سفر او خروج او دخول او عزلة او مخالطة او اشتغال بعلم او قرآن او ذكر او خدمة الزاوية او غير ذلك..»



الحكمة، فقد اخذت معظم المدن الاسلامية في انشاء المكتبات الكبرى التي تضم أمهات الكتب، ويمكن توضيح حركة نموها بالجدول التالي:

المدينة	اسم المكتبة	منشؤها	تاريخ الانشاء
١- بغداد	بيت الحكمة دار العلم المكتبة النظامية المكتبة المستنصرية	المأمون شابور ابن اردشير ألب أرسلان المستنصر	القرن الثالث ٣٨١ ٤٥٧ ٦٣١
٢- الموصل	دار العلم	أبن حمدون	٣٢٤
٣- البصرة	مكتبة ابن ساوار	ابن ساوار	القرن الرابع
٤- حلب	مكتبة الحمداني	الامير الحمداني	القرن الرابع
٥- القاهرة	مكتبة الازهر دار الحكمة المكتبة الفاضلية	العزيز الحاكم القاضي الفاضل	٣٧٠ ٣٩٥ —
٦- غزنة	مكتبة غزنة		٤٢٥
٧- مرو	المكتبة النظامية المكتبة العزيزية	نظام الملك عزيز الدين	القرن الخامس القرن السادس
٨- شيراز	مكتبة عضد الدولة	عضد الدولة	٣٦٧
٩- قرطبة	مكتبة المستنصر	المستنصر	٣٥٠
١٠- فاس	مكتبة فاس	السلطان عبد الحق	٥٩٢

على ان هذا التطور لم يستمر طويلا، اذ كما قالت «بنتو»، فان قوى الاحتلال اخذت تعتصر المسلمين من جهتين وبثقافات مختلفة تماما عن الثقافة الاسلامية فقد اخذت هجمات المغول تعبث من جهة الشرق بكل المظاهر الحضارية للتراث الاسلامي اما الهجمات المسيحية فقد اخذت تمزق في صورة حروب صليبية كل ما بناه المسلمون من جهة الغرب.

على ان هجمات المغول العابثة كانت تحرق كل ما عنّ لها ان تراه من تراث، اما هجمات المسيحيين فكانت تحمل عند عودتها كل ما تستطيع من كتب التراث نحو الغرب واقامت لها مراكز تراثية مشهورة في ثوليدو وصقلية وغيرها (٦) في اعقاب حملات النهب الثقافي التي كانت تقوم بها.

وتدل الابحاث التاريخية التي استقصت تاريخ المكتبات في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة بأن المكتبات في كلتا المدينتين نشأت نشوءا في وضع يتغاير عن سائر المدن الاسلامية، ذلك ان الحرمين الشريفين في هاتين المدينتين المقدستين ظلا لسنين عديدة المركز الثقافي التعليمي لجموع المسلمين القاطنين فيهما. اذ ان المدارس كانت تستقطب الطلاب لتعليم مراحل التعليم الاولى، ثم تكون حلقات الدرس في الحرم هي الدراسة الأكثر تعمقا لهم (٧) وظل الحال كذلك الى عهد قريب: بل وحتى عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وحين أنشئت المكتبات في موقع يبعد عن المسجد، فانها ظلت مرتبطة بالمسجد ارتباطا اساسيا، واعتبرت كملحق له.

ولقد تجمعت مخطوطات الحرمين الشريفين من عاملين رئيسيين:

اولهما: الأهداء من قبل الكتاب والمؤلفين والمثقفين من الحجاج

ثانيهما: اوقاف السلاطين ورجال العلم والفضيلة.

واخذت المجموعات تتوسع اكثر من خلال الآتي:

١- نظرا لاعتبار مكة والمدينة اقدس البقاع الاسلامية، فان الكتاب والمؤلفين كانوا يتبركون حين يؤدون مناسك الحج بأهداء نسخ من مؤلفاتهم لمكتبات الحرمين الشريفين تكريما لطلاب العلم.

٢- لقد اصبح من المظاهر التقليدية لحكام المسلمين ورجال المال ان يقدموا مكتباتهم الخاصة او جزءا منها وقفا لطلبة العلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة. ولقد اشار لهذه الحقيقة المستشرق بوركارث

(٩) حيث وصف زيارته لمكتبة هامة تحتوي على ثلاثة آلاف مخطوطة اصلية قيل له بأنها وقف لاحد السلاطين لطلبة العلم في الحرم النبوي الشريف.

٣- كان معظم نساخ الكتب العربية يتبرك بنسخ نسخ من القرآن الكريم يضع فيها كل فنه في النسخ، ويقوم بتقديمها للحرمين الشريفين، تستعمل للقراءة والدرس. ومن هذه المصاحف ما جاء في احجام مختلفة، او اشكال ونماذج مختلفة ولعل اصدق دليل على هذا ما نجده اليوم محفوظا من نسخ للقرآن الكريم في مكتبة المصحف الكريم في الحرم النبوي الشريف.

٤- قدم بعض سلاطين المسلمين وحكامهم نسخا من القرآن الكريم كتبت بأقلامهم هدية لطلاب العلم في الحرمين الشريفين. ويذكر لنا ابن خلدون ان السلطان الافريقي ابو الحسن قدم الى الحرم الشريف بمكة نسخة من القرآن استنسخها بيده طوال العام. وانه كتب نسخة اخرى بخط جميل وزخارف عظيمة قدمها الى الحرم النبوي الشريف، وانه كان ينوي كتابة نسخة ثالثة لبيت المقدس، الا ان الاجل وافاه قبل ان يحقق ذلك (١٠) وهناك في مكتبة المصحف الشريف بالمدينة المنورة نسخا من القرآن كتبت بأيدي الملوك والسلاطين والأمراء والحكام، وهي خير شاهد على ذلك.

٥- تيمن الناس وتبركوا بأهداء مكتباتهم الخاصة لمنفعة طلاب العلم في الحرمين الشريفين.

ونتيجة لهذه الاسباب وغيرها وجد عدد كبير من المكتبات المرتبطة بطلاب العلم في الحرمين الشريفين. وتذكر كتب التاريخ بعضا من هذه المكتبات.. نوجزها على سبيل المثال لا الحصر ومنها:

في مكة المكرمة

أ- مجموعة الشيخ محمد بن الفتوح المكناس التي وقفت سنة ٤٨٧ هجرية لطلبة المذهب المالكي في الحرم الشريف وضعت في الركن المالكي داخل الحرم المكي الشريف (١١).

ب- مجموعة نور الدين بن صلاح الدين أمير اليمن التي وضعت داخل التكية التي أنشئت سنة ٥٥٤ هجرية، والتي ضمت كتبا من مجموعته الخاصة التي أحضرها من اليمن(١٢).

جـ- مجموعة الشيخ عبد الله ابن ابي بكر الكردي التي أهديت سنة ٧٨٥ هجرية (١٣).

د- مجموعة الشيخ علي بن محمد بن سند التي اهديت سنة ٨٢٧ هجرية (١٤).

هـ- يذكر قطب الدين الحنفي في تاريخه الشهير لمكة المكرمة بان الامير شرف الدين اقبال بن عبد الله الشرابي قد انشأ بأمر الخليفة العباسي المستنصر مدرسة بجوار باب السلام وألحق بها مكتبة ضخمة ضمت العديد من كتب التراث (١٥).

و- انشأ السلطان قايتباي مكتبة في مكة سنة ٨٨٢ هجرية (١٦).

ز- انشأ السلطان العثماني سليمان مكتبة كبرى في مكة المكرمة سنة ٩٧٣ هجرية في الجهة الجنوبية من الحرم المكي والحقت بمدرسة تدرس فيها علوم الدين الاسلامي (١٧).

ح- انشأ السلطان شاه شجاع ملك ايران تكية ايرانية في مكة في القرن الثامن الهجري بالقرب من الصفا والحق بها مكتبة ضمت عددا من مجموعاته الخاصة التي اضيفت سنة ٨٢٧ هجرية ومعظمها بالفارسية (١٨).

ط- في القرن الثالث عشر أوقف السلطان العثماني عبد المجيد مجموعة من الكتب المخطوطة للحرم المكي الشريف وضعت بجوار بئر زمزم، وهي التي تلفت في الفيضان الذي اغرق الحرم المكي سنة ١٢٧٨ هجرية (١٩).

ي- في العام ١٢٩٩ هجرية اختيرت البقعة التي تقع بجوار باب دريب لكي تكون مكتبة عامة للحرم الشريف، وضم اليها عدد من المجموعات السابقة، وأضيفت لها مجموعات اخرى. منها: (٢٠)

١- مجموعة الشريف عبد المطلب
٢- مجموعة الشرواني
٣- مجموعة صالح عطرجي
٤- مجموعة عبد الحق الهندي

٥- مجموعة محمد رشدي باشا
٦- مجموعة عبد الستار الدهلوي
٧- مجموعة الادريسي
٨- مجموعة الزمزمي
٩- مجموعة المعلمي
١٠- مجموعة على داغستاني

وهي التي تطورت وتجمعت تحت ظلال ما يطلق عليها اليوم (مكتبة الحرم المكي الشريف) بمكة المكرمة، والتي تعد العدة الآن للانتقال الى احدث مباني المكتبات العامة بمكة المكرمة تحت ادارة الاشراف الديني للحرم المكي الشريف.

المدينة المنورة

أ- يشير ابن جبير (٢١) في وصفه للمدينة الى وجود مكتبتين في طرفي الحرم النبوي الشريف انشئتا في القرن الخامس الهجري تحتويان على كتب عظيمة في الدين الاسلامي.

ب- اهديت من احد ملوك فارس مكتبة كبيرة في العام ٥٨٧ هجرية وضعت في احد الغرف في الحرم النبوي الشريف (٢٢)

جانب من داخل مكتبة المصحف الشريف

جـ- وقع في العام ٨٨٦ هجرية حريق كبير في الحرم النبوي الشريف اتى على كل المجموعات الموجودة داخل الحرم، ومنها مكتبة السمهودي مؤرخ المدينة والذي فقد حوالي ٣٠٠ مخطوطة خاصة به كان يحتفظ بها داخل الحرم (٢٣).

د- في العام الثاني لهذا الحريق امر السلطان المملوكي فايتباي باعادة بناء الحرم النبوي الشريف، وضمت عددا من المصاحف والكتب الدينية (٢٤).

هـ- انشئت في العام ١٢٧٢ هجرية المكتبة المحمودية في الجهة الخلفية للحرم بجوار باب الصديق ابو بكر بأمر من السلطان محمود شاه وضمت حوالي ثلاثة آلاف مخطوطة في مختلف العلوم (٢٥).

مكتبة عارف حكمت الحسيني

تقع هذه المكتبة في الواجهة الجنوبية الشرقية للحرم النبوي الشريف، وهي التي اسسها واوقفها على طلبة العلم صاحبها شيخ الاسلام عارف حكمت بن عصمت الله الحسيني ١٢٧٠ للهجرة.

وانشئ المبنى من قسمين، اولها، صالة عامة للمكتبة الرئيسية (حوالي ٢٨ قدما × ٢٨ قدما) وهي محاطة بأربع قواعد قوية متينة بنيت من الحجر الصخري الاسود وغطت الجدران رفوف خشبية مقفلة بالزجاج الفاخر ومزخرفة بزخارف شرقية تعلوها في كل اتجاه ابيات من الشعر فوق الرفوف. اما سطح الصالة فعبارة عن قبة كبيرة مبنية من الحجر الصخري الاسود زخرفت من الداخل بزخارف ورقية جميلة سجل في وسطها تاريخ بناء المكتبة، اما خارجها فهو مكسو بطبقة قوية متينة من الرصاص تقاوم به السنين. اما القسم الآخر فيحتوي على غرف ومخازن ومكاتب منها ما خصص لاقامة ناظر المكتبة، ومنها ما خصص لاغراض التخزين لمستلزمات المكتبة من الادوات.

وتعتبر هذه المكتبة مثلا فريدا لاوقاف المكتبات، اذ ان وثيقة وقفها تعتبر من اعظم وثائق وقف المكتبات. ذلك ان شروط الواقف كانت فريدة في نصوصها، ولعل هذا يعطينا دلالة على صدق واقفها عليه رحمة الله الواسعة. لقد سبق عارف حكمت زمانه. والشرط الذي استوقفني كثيرا انه اوقف عليها نساخا يساعدون طلبة العلم في استنساخ ما يريدون استنساخه، هو يحاكي بذلك ما يوجد في مكتبات اليوم من آلات للاستنساخ خدمة لطلاب البحث والمعرفة.

وتاريخ هذه المكتبة فريد ايضا، اذ قيّض الله لها من الرجال من يعمل على حفظها، وقد اخبرني السيد حبيب احمد رئيس مجلس الاوقاف بالمدينة المنورة، بان هذه المكتبة قد انتقلت اثناء (سفربرلك) الى الشام في طريقها الى تركيا، ولكن لاسباب الحرب واشتدادها بقيت في احد الحمامات بالشام حتى وضعت الحرب اوزارها. فأعيدت مرة اخرى للمدينة المنورة دون ان يتأثر كتاب بالمكان الذي وضعت فيه.

ويمتاز مبنى مكتبة عارف حكمت بمزايا ثلاث:

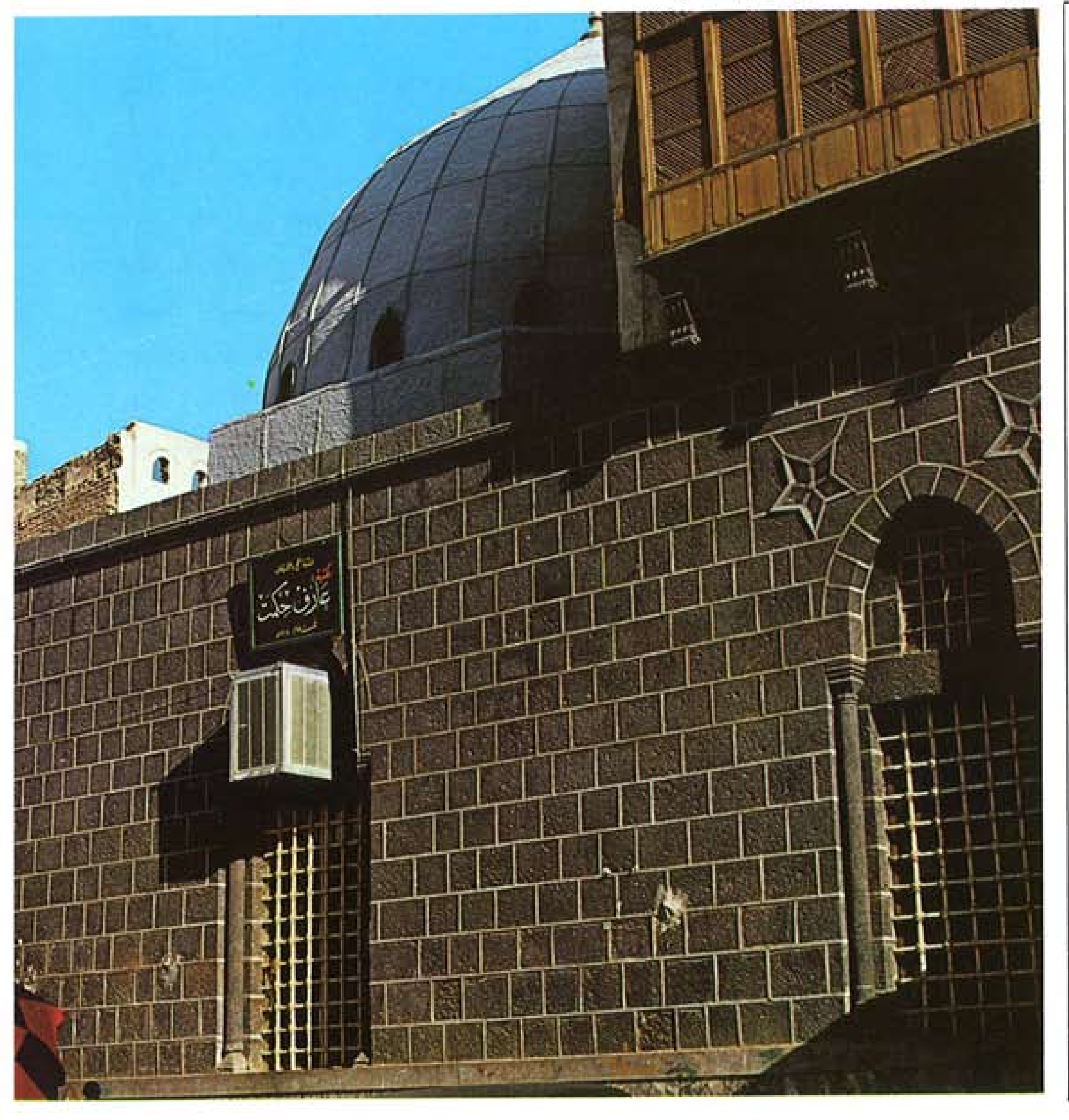
١- الفن الاسلامي في تصميم القاعة داخليا وخارجيا.

٢- الاعمال الخشبية المزخرفة والألوان الرائعة.

٣- المتانة والجودة في البناء.

ويعود تاريخ هذه المكتبة للقرن الثالث عشر الهجري حين ورث الشيخ عارف حكمت الحسيني، من مواطني اسطنبول، مكتبة جيدة من والده الذي كان فاضلا مولعا بالعلم. والذي هيأ لابنه كل وسائل التعليم الديني فرعاه رعاية خاصة. وفي

واجهة مكتبة عارف حكمت المشهورة بكنوز المخطوطات.



مؤسس مكتبة عارف حكمت في سطور

* اسمه: عارف حكمت عصمت الله الحسيني
* ولد عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م
* تقلب في عدة مناصب منها: قضاء القدس ومصر والمدينة وآخرها منصب مشيخة الاسلام.
* ثم اعتزل المناصب عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م
* توفي باستانبول عام ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م
* مؤلفاته: ديوان شعر بالعربية والتركية والفارسية – تذكرة الشعراء بالتركية – مجموع التراجم لعلماء القرن الثالث عشر – ذيل كشف الظنون.

(المجلة)

هذا يقول الشيخ عارف رحمه الله:

«توسم والدي فيّ المعارف فحين ولدت لقبني بعارف» وتولى الشيخ عارف عددا من الوظائف الدينية، حتى اصبح شيخا للاسلام او المفتي الاكبر للدولة العثمانية.

لقد صرف معظم امواله في جمع كتب التراث الاسلامي، كما انه كان يتلقى نسخا من المؤلفات المخطوطة باعتباره شيخا للاسلام. وبعد فترة من الزمن احيل للتقاعد فاختار المدينة مقرا له نقل اليها مكتبته الشهيرة واوقفها على طلبة العلم في المدينة المنورة، واوقف لها عددا من الدور يصرف من ريعها لاستمرار المكتبة.

يقول شايلدز CHILDS (٢٦) في مقالة نشرت بالولايات المتحدة سنة ١٩٥٠ بأن المكتبة كانت تحتوي على حوالي ١٧ ألف مخطوطة* في الدين والفلسفة والتاريخ والرياضيات والطب والفلك واللغات، وان معظمها نسخ اصلية، وان الامير شكيب ارسلان قد حاول شراء احد مخطوطاتها بمبلغ اربعين الف دولار ولكنه فشل في ذلك.

اما فلبي (٢٧) فانه ذكر بوصف سريع زيارته للمكتبة واشاد بما فيها من كنوز التراث في مختلف فروع المعرفة. كما سرد عددا من اهم مخطوطاتها مثل:

١- كتاب الاوائل لابي هلال العسكري والذي نسخ سنة ٣٩٥ هجرية.

٢- كتاب التشبيهات لابي سحاق البغدادي والذي نسخ سنة ٤٦٦ هجرية.

٣- كتاب ذكر المسافات وصور الاقاليم لاحمد البلخي والذي نسخ سنة ٣٠٩ هجرية.

٤- نسخة قديمة غير مؤرخة لطبقات الشعراء للجمحي.

٥- كتاب صحيح البخاري والذي نسخ سنة ١١٦٧ هجرية.

٦- كتاب احياء علوم الدين للغزالي والذي نسخ سنة ١٢٢٠ هجرية.

ولقد قام كاتب هذا المقال بحصر التغطية الموضوعية في مكتبة عارف حكمت بالمدينة فوجدها تحتوي على مخطوطات في المواضيع التالية:

المصاحف، علوم القرآن، التفسير، الحديث، مصطلح الحديث، الفقة، الفقة الحنفي، الفقة المالكي، الفقة الحنبلي، الفقة الشافعي، المواريث، اللغة، النحو، الصرف، البديع، الادب، العروض والقوافي، المناظرة، الدواوين والمقتطفات، الفلسفة، التصوف، المنطق، الحكمة، الاخلاق، تفسير الاحلام، التاريخ، الجغرافيا، الحساب، الجبر، الهندسة، الكيمياء، الهيئة، النجوم، الفلك، النبات، الطب، الفلاحة، العلوم العسكرية، الليتوغرافيا.

وكانت معظم المخطوطات بالعربية وبعضها بالتركية والفارسية.

اما التحليل الكمي للمخطوطات، فان العدد الهائل فيها يضم العلومَ الدينية بمختلف فروعها، وتأتي الآداب في المرتبة الثانية، وتليها مختلف العلوم الاخرى.

اما في مجال العلوم التطبيقية والبحث، فالمكتبة تحتوي على مجموعة فريدة من امهات الكتب المخطوطة في مجالات الطب والفلك والنجوم والجبر والهندسة والرياضيات والنبات والفلاحة والكيمياء. ويمكن جدولتها كالتالي:

الموضوع	المخطوطات العربية	الفارسية	التركية
الكيمياء	١١	٣	٩
الجبر	١٤	٧	١٦
الرياضيات	٥٤	٢	٣
الفلك والنجوم	٨٨	٤	٤
النبات	٣	٢	٦
الهندسة	٢٠	٨	١٠
الطب	٤٤	٦	١٢
الفلاحة	–	٥	٥٠
العلوم العسكرية	٥	١٢	٣٩
الليتوغرافيا	–	–	٥٤
المجموع	٢٣٩	٤٩	٢٠٣

* المجلة: بسؤال الشيخ محمود حسن اكيلي امين المكتبة حاليا ومنذ عام ١٣٨١ هـ اثناء زيارتنا للمكتبة افادنا ان الموجود بها حاليا ٤٩٣٧ مخطوطة تقريبا.. وحوالي ٦٠٠٠ مطبوع

على ان هذه المجموعات تحتوي على اعمال مخطوطة عظيمة بعضها غير منشور اطلاقا، والبعض الآخر يتميز بأصالته سواء من حيث الاخراج الفني او من حيث أصالة نسبة النسخة للمؤلف الاصلي. ومن الاعمال الهامة في مجال الكيمياء نذكر على سبيل المثال الرسالة التي كتبت في صناعة النفط لابن جماعة، وكتاب «غاية السرور المنتخب من قلايد البحور» للقزويني، وكتاب «سراج الظلمة، والرحمة لهذه الامة» ليحيى البرمكي. وهي النسخة التي كتبت تحية لجابر بن حيان، صديق البرمكي. وكتابان للرازي الاول بعنوان «حقيقة الجسم» والثاني بعنون «الاشارات من المحاكمات».

اما في علم الجبر، فتحتوي المكتبة على اعمال هامة منها نسخة نادرة لكتاب الخوارزمي في الجبر كتبت سنة ٦١٩ هجرية، وشرح لكتاب «الارجوزة الياسمينية»، وكتاب «النزهة» لابن الهائم. ونسخة من مخطوطة المغربي في الجبر كتبت بخط جميل وزخرفت زخرفة رائعة.

وفي علم الحساب فان المكتبة تضم اعمالا عظيمة ككتاب السكافي في الحساب لابن الكرجي الذي كتب سنة ٦٠٢ هجرية، وهي نسخة اصلية تضم تواقيع واختاما قديمة بالاضافة الى جمال تجليدها، وكتاب «تلخيص اعمال الحساب». لابن البناء، وكتاب «شمسية الحساب» للنيسابوري. كما تضم المكتبة اعمالا مخطوطة اصلية للعاملي، والكاش، والألوري وابن الهائم وغيرهم. وفي الفلك وعلم النجوم، فان من اقدم المخطوطات فيه تلك التي لا يعرف مؤلفها وجاءت بعنوان كتاب في معرفة انجرافات السطوح القائمة. وهي نسخة



صفحة العنوان – لكتاب الاوائل للعسكري المخطوط



محطوطة كتاب الاقالم – الصفحة الاولى



الصفحة الاولى من مخطوطة كتاب طبقات الشعراء

الصفحة قبل الاخيرة من التشبيهات

قديمة كتبت قبل عصر التنقيط. وكتاب الكرة لثابت بن قرة الحراني. اما في علم الهيئة، فان قواعد اقليدس نالت عددا كبيرا من المخطوطات فيها. بالاضافة الى اسهامات علماء الهيئة المسلمين امثال الطوسي والسمرقندي والدمشقي والقاضي زاده والجبرتي والحلبي وغيرهم.

اما بالنسبة للمخطوطات الطبية،

فهناك عدد كبير منها نذكر على سبيل المثال لا الحصر المخطوط الذي وجد تحت عنوان «الارشاد في الطب» والمجهول الهوية والتاريخ وكتاب «متن الموجز في الطب» للنصراني، والذي اتسم بجمال اخراجه وزخرفته وتذهيبه، بالاضافة الى الاعمال المخطوطة القديمة لابن رشد والرازي وابن بطلان والمجوس وابن ابي

صادق وغيرهم من علماء الطب في العصر الاسلامي.

وعلى اية حال فهذه نماذج تسلط الضوء على بعض بسيط من كل عظيم احتوته هذه المكتبة الفاخرة الهامة.

ان ما كتب عن مكتبة عارف حكمت لا يوفيها حقها، ذلك ان الكثيرين قد تناولوها لكن بايجاز شديد، ونذكر منهم الاساتذة سيس وكرد علي، وعبد الله عبد الجبار، وعبد القدوس الانصاري، ومحمد سعيد دفتردار، وعلي حافظ، وشكيب ارسلان، وعثمان حافظ وحمد الجاسر، وفؤاد حمزة، وعبد الله فلبي، وشايلدز وغيرهم.

ان مجموعة مخطوطات الحرمين بما فيها مكتبة عارف حكمت بالمدينة تعتبر تراثا وطنيا هاما يجب المحافظة عليه، وهي تمتاز عن بقية المخطوطات بالتالي:

١- معظم المخطوطات تنسب الى ائمة الفكر الاسلامي في مختلف العلوم.

٢- تتميز معظم مخطوطات الحرمين بالمميزات الخارجية التالية:

أ- التوقيعات

ب- الاختام

جـ- الكمال الببليوجرافي في البداية والنهاية.

د- الاجازات.

٣- الأصالة الادبية والتاريخية، اذ ان الكثير منها مكتوب بخط المؤلف او موثق بتوقيعه.

٤- معظم المخطوطات تعتبر ذات قيمة فنية عظيمة سواء من حيث التجليد او الخط او التذهيب او الايضاحات المختلفة.

٥- تتميز معظم الاعمال بكمال النصوص، اذ ان بقاءها داخل الحرم او ملحقة به ساعد على حفظها من العبث.

وتجدر الاشارة هنا الى ان عارف حكمت الحسيني قد استعمل التأثير الاخلاقي السيكولوجي في الحفاظ على مجموعة المخطوطة، فوضع ختما على كل كتاب بحيث ينص الختم على العبارة التالية:

«هذا مما وقفه عارف حكمت بن عصمت الله الحسيني لمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام بشرط الا يخرج من مكتبته والمؤمن محمول على امانته».

فالعبارة الاخيرة تعطي مدلولا دينيا اخلاقيا سيكولوجيا يساعد على حفز الضمير الذاتي لحمل الامانة دون تفريط (٢٨).

وقبل ان نختم هذا البحث المتواضع يجدر بنا ان نشير الى ظاهرة التسرب الخطير الذي عاشته المخطوطات العربية في كل ارجاء الوطن الاسلامي الكبير. فمن خلال الحركات الاستعمارية التي عمت الوطن المسلم بعد انحسار نهضته ضاعت كثير من كتب التراث، واستقرت في غير مواطنها، واصبحت ممتلكات لمكتبات كبرى في اوربا وامريكا وغيرها.

كما ساهم البعض من ضعاف النفوس في تسرب كثير من كتب التراث خارج حدودها بحثا عن منفعة مادية رخيصة. هذا بالاضافة الى نشاط حركة اوربية توسعت في اصطياد المخطوطات من مصادرها الاصلية.

ويذكر لنا الاستاذ فيليب حتي في مقدمة فهرسة لمجموعات جاريث (٢٩) ان المجموعة المخطوطة في مكتبة جامعة برنستون جمعت على دفعتين، احداهما تم شراؤها سنة ١٨٨٣ وباعها هناك، وهي التي تقدر بحوالي اربعة آلاف مخطوطة.

اما المجموعة الاخرى فقد تم شراؤها سنة ١٩٠٤ من بريل والتي تعود ملكيتها الى نفس المالك السابق، وتقدر بحوالي خمسة آلاف مخطوطة. والحقيقة فان للمالك مطلق التصرف في ملكيته، الا ان



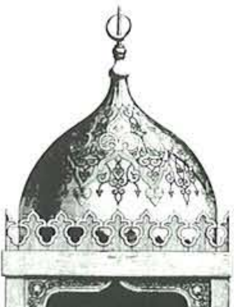
نقوش على سقف المكتبة

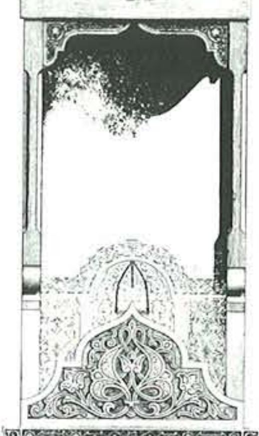
التراث يجب ان يحفظ داخل حدوده، فالامة مسؤولة عن الحفاظ على تراثها واصالتها والا فقدت شخصيتها التي تميزها عن سائر الامم.

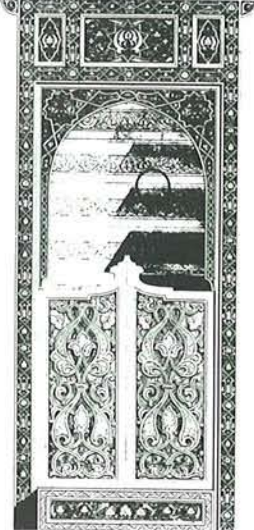
ولقد امكن للعالم الاسلامي والعربي ان يتنبه لهذا الخطر، فظهرت القوانين والانظمة التي تمنع خروج مصادر التراث، وتحد من الاتجار فيها، بالاضافة الى الاهتمام بانشاء المكتبات الحديثة التي تحفظ ذلك التراث وتنظمه وتسهل وصوله الى الباحثين وطلاب العلم والمعرفة.

ولقد كانت حكمة صائبة لجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ان امر ببناء مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة على احدث طراز لكي تضم شتات التراث المخطوط في المدينة المنورة في مركز علمي حديث. وهذه المكتبة وهي في مراحل اخراجها النهائية نأمل ان تكون بحق على قدر آمالنا العظيمة مركزا علميا للتراث الاسلامي، فنحقق ما بدأ به الراحل العظيم.

□







أبيات معلومة لشاعر مجهول

*** المجلة: على جدران غرفة المكتبة الاربعة التي توجد بها نفائسها من المخطوطات .. ابيات من الشعر لا يعرف ناظمها هي:**

خزانة للكتب فاقت غيرها	**بما حوت من انفس العلوم**
فيها لكل طالب مرامه	**من سائر المنثور والمنظوم**
شيدها الشهم الهمام عارف	**بجوده وفضله العميم**
اعني بذاك شيخ اسلام الورى	**حكمته في شرعنا القويم**
في طيبة عم الانام نفعها	**لاهلها والوافد المهوم**
فليدع من نال المرام مخلصا	**لصاحب الخيرات بالنعيم**
وبجزيل الاجر في دار البقا	**والفوز في العقبى من الكريم**

المراجع

1) Eugene Myars Arabic Thought and Western World New York Frederick 1964 P.13

٢- نفس المرجع السابق

3) George Sorton Introduction To The History Of Science Baltimore The Williams 1927

٤- ابو العباس احمد القلقشندي. صبح الاعشى في صناعة الانشا. القاهرة. بولاق. ١٩٢٢. جزء ١ ص ٤٦٦.

٥- ابو العباس احمد بن علي المقريزي. المواعظ والاعتبار. القاهرة. بولاق. ١٢٧٠. جـ ١ ص ٤٠٨.

6) Olga Pinto "Libraries of the Arabs" Pakistan Library Review – (March 1959) P22-44

٧- عباس صالح طاشكندي. رسالة دكتوراه. مخطوطات عارف حكمت في العلوم البحتة والتطبيقية. جامعة بتسبرج. سنة ١٩٧٣.

8) S. Hurgronje Mecca in the Later Part of the Nineteenth Century Leiden, Brill, 1970

9) J. Burckhardt Travel in Arabia London Colburn 1829 p.389

١٠- عبد الرحمن بن خلدون. المقدمة. ترجمة روزنفال للانجليزية برنستون. ١٩٥٨، ص ٣٧٧.

١١- عبد الله عبد الجبار التيارات الادبية الحديثة. القاهرة الجامعة العربية. ١٩٥٩ ص ١٨٧.

١٢- نفس المرجع السابق.

١٣- نفس المرجع السابق.

١٤- قطب الدين الحنفي. تاريخ القطبي. مكة المكرمة. ص ١٦٠

١٥- نفس المرجع السابق.

١٦- نفس المرجع السابق.

١٧- نفس المرجع السابق.

١٨- عبد الله عبد الجبار. المرجع السابق.

١٩- نفس المرجع السابق.

٢٠- نفس المرجع السابق.

٢١- نفس المرجع السابق.

٢٢- نفس المرجع السابق.

٢٣- نور الدين احمد السمهودي. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. القاهرة. مطبعة الادب. ١٣٢٦. ص ١٩٢.

٢٤- عبد الله عبد الجبار. نفس المرجع السابق.

٢٥- نفس المرجع السابق.

26) T. R. Childs "Saudi Arabia's Libraries" Library Journal 75 (Sep. 1950) P.1276

27) J. Philby A Pilgrim in Arabia London Robert Hall 1964 p.64

٢٨- عباس صالح طاشكندي. رسالة دكتوراه. نفس المرجع السابق.

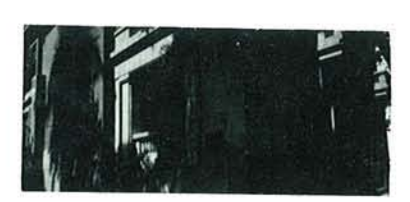
٢٩- فيليب حتي. فهرست مخطوطات مجموعة جاريث. جامعة برنستون سنة ١٩٣٨. ص ٣.

لقاء مع :

د. ابراهيم مدكور رئيس المجمع اللغوي



أين مجمع اللغة العربية من لغة العصر؟



أجراه: حازم هاشم

هو رابع رئيس لمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ انشائه .. وهو الذي اجمع اعضاء المجمع على اختياره خليفة للدكتور طه حسين. ولعل في هذا وحده ما يؤكد قيمة الرجل ويعرف به. لكن الذي قادني الى لقاء الدكتور ابراهيم بيومي مدكور كان شيئا محددا يدور حوله الحوار في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الأمة العربية والاسلامية.

اين مجمع اللغة العربية من لغة العلم والحضارة وأمتنا تخوض اعنف معاركها من اجل اللحاق بركب العصر. العصر الذي اطلق عليه «عصر العلوم»، واصبحت القضية العربية الحقيقية تتركز في فجوة حضارية لابد لنا من قفزها ونحن نملك لو أحسنا توظيف امكاناتنا وترشيد مواردنا وتحريك قدراتنا بشكل فعال؟ ولم يكن في ذهني ساعة لقاء الرجل من صورة لمجمع اللغة العربية غير انه صومعة اعتزل فيها علماء عن الحياة وأكبوا على دراساتهم وبحوثهم التي تتوجه نتائجها لخاصة الخاصة من المتعلمين والمثقفين.

"هل استطاع مجمع اللغة العربية أن يواكب لغة العلم والحضارة ؟"

"هل أصبح المجمع اللغوي صومعة اعتزل فيها العلماء عن ركب الحياة ؟"

"ما الجديد الذي جاء به رئيس المجمع اللغوي الجديد ؟"

"هل رسالة المجمع رسالة عربية في المقام الأول ؟"



صورة [illegible] داخل المجمع اللغوي في القاهرة.

أين مجمع اللغة العربية من لغة العصر



د. ابراهيم بيومي مدكور في سطور

* ولد عام ١٩٠٢ في القاهرة.
* درس في الأزهر الشريف. ثم كلية دار العلوم.
* حصل على الدكتوراه من جامعة «السوربون» الفرنسية. وكذلك الدكتوراه من جامعة بريستون الاميريكية.
* عمل مدرسا في الأزهر وكلية الآداب فعضوا في مجلس الشيوخ المصري.
* له في الفلسفة الاسلامية دراسات عميقة الى جانب بحوثه اللغوية والأدبية.
* اختير عضوا في المجمع اللغوي العربي في القاهرة عام ١٩٤٦.
* تقلد منصب امين عام المجمع عام ١٩٦١.
* تولى رئاسة المجمع بعد الدكتور طه حسين.
* انتخب رئيسا لاتحاد مجامع اللغة العربية عام ١٩٧٦.

لغة العلم .. والحضارة

□ سألت الدكتور مدكور .. اين مجمع اللغة العربية من لغة العلم والحضارة؟

اجاب:

* «لاشك ان لغة العلم والحضارة من المشاكل الكبرى التي عني بها مجمع اللغة العربية منذ انشائه. ولقد ورد هذا صراحة في المادة الأولى من مرسوم القانون الخاص بانشائه فقد نص على «ان المجمع يضطلع بعبء مواجهة متطلبات العلم والحضارة». ولم يكن غريبا ان ينشيء المجمع عددا غير قليل من لجانه مهمتها الأولى ان تعالج لغة العلم والفاظ الحضارة وهذا تراه في تكوين المجمع. اذ اشتمل على طائفة من شيوخ العلماء لوحظ فيهم دائما ان تتوفر لهم – الى جانب تخصصهم العلمي – معرفة وزاد كريم من اللغة العربية. ولم يقنع هؤلاء العلماء بمعلوماتهم وكفاياتهم. بل ضموا اليهم اساتذة آخرين في المواد العلمية المختلفة».

قلت:

□ ان المجمع يبدو في توصله الى ايجاد الفاظ عربية علمية حضارية وكأنه يخترع هذه الالفاظ. وعلى سبيل المثال فان «التليفزيون» هو المرناة «والبراشوت» هو القفة الهابطة .. وغيرها. بحيث يحس البعض ان هذه الالفاظ العربية مختلقة اختلاقا ..

.. ضحك .. ثم علق:

* «من الخطأ ان يظن ان مجمع اللغة العربية يخترع الفاظا. او انه مصنع لوضع طائفة من المفردات والكلمات. ربما لجأ المجمع الى شيء من ذلك في السنين الاولى من انشائه. لأن اعضاءه المؤسسين قدموا اليه ومعهم زاد من ثروتهم الشخصية من مفردات اللغة والبحوث. ولكنهم ما لبثوا ان



دعوا الى لجان متخصصة في كل ناحية. اما ما ذكرت من الفاظ فهي لا تخرج عن كونها الوانا من تهكم البعض على نشاط المجمع وتظرف المتظرفين. لقد ادعى هؤلاء ان المجمع قد جعل المرادف العربي للكلمة «ساندوتش» هي «شاطر ومشطور وبينهما طازج» وليس صحيحا – بالطبع – اننا فعلنا هذا. بل انني اذكر ان الملك فاروق استجاب لتظرف البعض حين ادعى ان المجمع قد سمى الوزير «عرعورا». فدعا احد وزرائه بالعرعور. وغضب الوزير لهذا. ثم تبين للملك – وللوزير ايضا – ان المجمع لم يسم الوزير «عرعورا» كما شاعت النكتة. اننا لا نخترع الالفاظ ولا نختلقها اختلاقا ويكفي ان اشير الى مثال واحد: ان المجمع كان يرأس لجنة القانون فيه المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهوري. وقد بدأ الرجل عمله في مجمع اللغة خبيرا. وكان حينذاك استاذا للقانون المدني بكلية الحقوق بالقاهرة. ثم شاء القدر بعد ذلك ان يصبح عضوا بالمجمع. وهو في رياسته للجنة القانون لم يقف عند درسه هو. بل دعا اساتذة قانون أخرين للاسهام معه في تكوين اللغة القانونية. وما يقال عن القانون يمكن ان يقال عن العلوم الاخرى كالطب والكيمياء والفلك والطبيعة. وكان المجمع حريصا دائما على ان يختار الخبراء من بين كبار المشتغلين بالمادة كل في تخصصه. ارأيت اننا لا نخترع الفاظا بقدر ما نترك كل علم لاهله؟

اللغة .. والتطور

☐ عدت اسأل:

ان لغة العلم ذاتها اصبحت في تطور دائم. وهي تنمو نموا مضطردا. فهل يلاحق المجمع هذا التطور والنمو؟ بمعنى ان اللفظة العلمية العربية التي ينتهي اليها المجمع ما يلبث التطور العلمي ان يدفع المجمع الى المراجعة. فكيف يتأتى للمجمع ذلك؟

* أجاب ..

«نعم .. لغة العلم في تطور. وذلك يجمع عليه العالم. الامر الذي يدفع المجمعين الى اعادة النظر في بعض مقرراتهم السابقة لكي يجعلوها ملائمة لأحدث الصور واشيع الاستعمالات. ويعنى هؤلاء المجمعيون ما وسعهم ان يضيفوا للمعنى الجديد لفظا عربيا فان لم يجدوا السبيل الى ذلك لم يترددوا في التعريب والمعربات التي اثبت الاستعمال وأثبتت الحياة الحاجة اليها. اتسع صور المجمع لقبولها. وقد اخرج المجمع في هذه اللغة العلمية نحو عشرين مجموعة متلاحقة تشتمل على عشرات الآلاف من مصطلحات العلوم المختلفة. وهنا استطيع ان اقول واقرر ان مجمع القاهرة يعد بحق أكبر هيئة خدمت لغة العلم في الأربعين سنة الماضية ولم يتردد المشتغلون بالعلوم المختلفة في ان يأخذوا بمقرراته ويعولوا عليها. وكثير من المعجمات العالمية التي ظهرت في العشرين سنة الاخيرة تنوه بانها افادت من تلك الجهود واعتمدت عليها. ولم يقف مجمع القاهرة عند هذا. بل حاول ان يستخلص من هذه المصطلحات معجمات متخصصة في الطبيعة والجغرافيا والجيولوجيا. ولدينا قسم للتسجيل يعتبر ثروة كبيرة باسم اللغة العربية. تحفظ فيه مقرراته المتتالية. ويأمل ان يكون في هذه



الدكتور شوشة والبروفسور جب في حديث مجمعي



احمد أمين وعلى الجارم والشيخ عبد القادر المغربي

أين مجمع اللغة العربية من لغة العصر

حقائق عن مجمع اللغة العربية في القاهرة

* يعود التفكير في انشاء مجمع يعني بأمر اللغة العربية الى أخريات القرن الماضي. وكان على رأس الدعاة لهذه الفكرة الشيخ محمد عبده.

* أنشيء مجمع «البكري» عام ١٨٩٢. وكان هيئة أهلية تهتم باثبات ان اللغة العربية كفيلة بمواجهة متطلبات العلم والحضارة ومن ابرز اعضائه الشيخ محمد عبده والشيخ الشنقيطي والشيخ توفيق البكري.

* لم يعمر مجمع البكري طويلا. وفي اوائل هذا القرن عقد رجال مدرسة دار العلوم ندوة لمشكلة اللغة العربية. وقد بادر لطفي السيد باشا عندما تولى ادارة «دار الكتب» بانشاء مجمع عربي لا مصري. يقوم على عدد من شيوخ المصريين الى جانب عدد آخر من شيوخ اللغة العربية وخاصة في العراق وسوريا وعلماء يلمون باللغة السريانية واللغة العبرية وغيرهما من اللغات السامية. وقد سمي هذا المجمع «مجمع دار الكتب».

* لم يستمر مجمع دار الكتب طويلا.



عبد الوهاب خلاف وأحمد زكي يستمعان الى الشيخ ابراهيم حمروش



عباس محمود العقاد يتابع أحاديث الخالدين

الثروة ما يفسح المجال لاخراج معجمات متخصصة في مختلف العلوم الطبيعية والرياضية والانسانية.

اتحاد المجامع العربية

☐ قلت ..

ان رسالة المجمع رسالة عربية في المقام الأول ولغة العلم والحضارة قضية لغة العرب جميعا. فما هي صلة بحوث ودراسات مجمع القاهرة بالمجمعين الآخرين في دمشق وبغداد. هل هناك تبادل بين هذه المجامع بصدد مقررات اللغة العلمية والحضارية التي ينتهي اليها مجمع القاهرة؟

* أجاب ..

«انت تعرف ان اتحاد المجامع العربية قد انشيء اساسا

اذ فاجأته احداث الحرب والحركة السياسية المصرية عام ١٩١٩.

* في عام ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكي الخاص بانشاء «مجمع فؤاد الاول» للغة العربية. واستمر هذا المجمع حتى اليوم. ولم يبدأ عمله الا عام ١٩٣٤. ونص في مرسومه على ان يتألف من عشرين عضوا عاملا يختارون من غير تقيد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية. او بأبحاثهم في فقه اللغة ولهجاتها.

* في عام ١٩٤٠ اعيد تشكيل المجمع ونص على ان يكون عدد اعضائه من اربعة وعشرين الى ثلاثين عضوا. ويجوز ان يكون ثلثهم على الأكثر من العلماء غير المصريين.

* في عام ١٩٤٦ عدل قانون المجمع مرة اخرى فأصبح عدد اعضائه اربعين منهم عشرة من غير المصريين.

* في عام ١٩٥٠ زاد القانون الاعضاء العاملين فأصبح غير المصريين اثنا عشر.

* في عام الوحدة بين مصر وسوريا. دار البحث في أمر المجمع. فاستحدث التشريع التوحيد بين مجمع القاهرة ومجمع دمشق. فأصبح عدد الاعضاء جميعا ثمانين عضوا، منهم اربعين من المصريين وعشرين من السوريين وعشرين يمثلون الاقطار العربية الاخرى.

* اللغات التي يعتمد عليها الاعضاء في بحوثهم ودراساتهم هي الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والاسبانية والهولندية والفارسية والتركية والاردية.

* المتخصصون في اللغة والأدب ٣١ عضوا. وعلماء العلوم والطبيعة والرياضة ١٠ أعضاء. والاطباء ٨. ورجال القانون ١٠. وعلماء الشريعة الاسلامية ٢٠ عضوا. ورجال التاريخ والآثار والجغرافيا ١١ عضوا. والشعراء ١٩ عضوا. والصحفيون ١٨ عضوا. ورجال الفلسفة وعلم النفس ١١ وعلماء اللغات الشرقية ١٦ عضوا.

* يختار الأعضاء العاملون رئيس المجمع من بينهم فينتخبون ثلاثة بأغلبية اصوات الحاضرين. يعين من بينهم الرئيس بمرسوم ومدته ثلاث سنوات قابلة للتجديد. ولم يقصر القانون الرياسة على المصريين.

* يجوز للمجمع ان يتلقى التبرعات والهبات من الهيئات والأوقاف والوصايا. وكانت ميزانيته في البداية تابعة لوزارة المعارف «التعليم والتربية حاليا» وهو يتبع حاليا وزارة الثقافة وله ميزانية مستقلة.

* المجمع واحد من ثلاثة مجامع في العالم العربي. مجمع دمشق ومجمع بغداد واحدث مجامع العالم العربي هو مجمع الأردن الذي أنشئ اخيرا.

* تقاليد المجمع تمنع اعلان اسماء المرشحين للعضوية الا بعد اختيارهم. كما انه لا يجوز للاعضاء الجدد ممارسة عملهم الا بعد صدور قرار جمهوري بتعيينهم. ثم يقام حفل استقبال لهم.

* يستقبل العضو الجديد احد الاعضاء الذين رشحوه في انتخابات العضوية على ان يتكلم العضو الجديد عن صاحب الكرسي الذي شغله بوفاة صاحبه وفاءا له بعد رحيله.

* اول رئيس للمجمع وقت انشائه كان توفيق رفعت باشا. ثم تلاه لطفي السيد باشا والثالث الدكتور طه حسين عام ١٩٦٢ واخيرا الدكتور ابراهيم بيومي مدكور.

للتنسيق والربط بين مجامع العالم العربي. وهذا الاتحاد يحاول من جانبه ان يضع مقررات مجمع القاهرة امام المجامع الأخرى. لتكون موضع الدرس والبحث. وقد عقد لقاءين احدهما في دمشق حول المصطلح القانوني والآخر في بغداد حول المصطلح النفطي ونحن فعلا في حاجة ماسة الى توحيد هذا المصطلح العلمي في العالم العربي. كما وحد من قبل ابان الحضارة الاسلامية الزاهرة. فكانت لغة العلم في بغداد هي نفسها لغة العلم في القيروان وقرطبة. ولعل مجموعات المصطلحات العالمية أكثر مطبوعات المجمع رواجا وطلبا من الباحثين والدراسين. ولكن مجمع القاهرة لا يزال يشكو من ان مطبوعاته لا تصل الى العالم العربي في يسر. ولاشك ان المجمع يعنيه ان تكون هذه المطبوعات في ايدي الناس جميعا. ولو كانت لديه اجهزة توزيع ما تردد في ذلك.

أين مجمع اللغة العربية من لغة العصر

مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط – المغرب

* انشئ هذا المكتب عام ١٩٦٢ م.

* الغاية التي انشئ من اجلها هي تنسيق جهود الدول العربية في ميدان التعريب تحت اشراف جامعة الدول العربية.

* ظهرت مجهودات المكتب في أوجه النشاطات المختلفة التي يقوم بها في مجالات استقصاء المصادر العربية لتتبع المصطلحات العربية وتثبيت استعمالها ووضع مقابلاتها باللغات الحية الأخرى، واصدار مجموعة قيمة من معاجم المصطلحات في فروع المعرفة المختلفة.

* يصدر عن المكتب مجلة اللسان العربي وهي مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية العلمية منها والأدبية وقد صدرت عنه ايضا سلسلة معاجم علمية في مجالات الرياضيات – الفيزياء – الكيمياء – الفقه والقانون – الاشغال العمومية – السياحة – الطحانة والخبازة والفرانة – السيارات، الى جانب مجموعة من المعاجم الصغيرة الاخرى.

(المجلة)

سعوديون اعضاء في مجمع القاهرة

* الشيخ حمد الجاسر الى جانب عضويته في مجمعي دمشق وبغداد.

* الشيخ عبدالله بن خميس.

* الاستاذ حسن القرشي.

(المجلة)

في الجزيرة نبتت نواة المجامع العربية

* عكاظ في عالية نجد
* ذو المجاز بجوار عرفة
* مجنة بممر الظهران قرب مكة المكرمة والمعروف اليوم بوادي فاطمة.
* المربد – في العراق.
* حباشة في تهامة جنوب الليث
* دومة الجندل المعروفة
* سوق هجر المعروفة.
* سوق دبا في عمان
* الرابية في حضرموت.

وهي اسواق لا يجهلها كل معني بتاريخ العرب .. وكانت بمثابة مجامع دورية متنقلة.

(المجلة)

☐ قاطعت رئيس المجمع .. ولكن الملاحظ ان المجمع يخطو خطوات بطيئة لا نكاد نحس بها في مجال ألفاظ الحضارة. فلماذا؟

*** «نعم .. لان المجمع يقصد هذا البطء او ان شئت فسمه التأني. لانه يخشى البلبلة واختلاف الاستعمالات. من اجل ذلك دعا المجمع – ولا يزال يدعو – الى تكوين هيئات من المتخصصين تمثل البلاد العربية لكي تتدارس كل هيئة الفاظها الخاصة. وتتقدم بها الى المجمع بمقترحاتها لينظر فيها. ومرت بنا تجربة في هذا الباب نعتبرها رائدة. وهي تجربة «اتحاد اللاسلكيات» فقد دعا هذا الاتحاد الى عدة لقاءات في اطار الجامعة العربية. وانتهى الى قرارات عرضت على مجمع القاهرة. وكانت في جملتها قرارات موفقة لم يدخل المجمع عليها تعديلا يذكر. وكم نود ان يلتقي السينمائيون والمسرحيون في العالم العربي ليتدارسوا لغة مهنهم وفنونهم. ولا يتردد المجمع ان يشترك فيها ان دعي اليها. وقد سبق للمجمع قديما ان كون جماعات للبحث في مصطلحات الحرف المختلفة. يوم ان لم تكن هناك نقابات او هيئات منظمة لهذه الحرف واختار من حصيلة هذه اللجان من الألفاظ والمصطلحات قدرا لا بأس به. ولكننا نرحب دائما بالعمل الجماعي. لا على نطاق مصر وحدها بل على نطاق العالم العربي**

قرارات المجمع

☐ سألته ان يشير الى من برز في باب ألفاظ الحضارة من اعضاء المجمع. والاسلوب الذي يتبعه المجمع في اقرار الفاظ الحضارة؟

*** «رغم كل الصعوبات التي تواجهنا فالمجمع له قرارات**

مطبوعات مجمع اللغة العربية القاهرة

معجم ألفاظ القرآن الكريم:

صدر في ستة اجزاء والقصد منه تيسير فهم الألفاظ القرآنية وتحديد دلالتها.

المعجم الوسـط:

صدر في جزأين كبيرين، والقصد منه تبسيط مواد اللغة العربية والكشف عنها بأيسر وسيلة وترتيبها على منهج عصري حديث بدلا من طريقة المعاجم القديمة.

المعجـم الكبـير:

معجم يضم الفاظ اللغة: حقائقها وميزاتها مع الاستئناس بالشواهد الشعرية والمأثورات الأدبية في الدلالات، مع ذكر نسب الكلمات التي لها أصول في اللغات السامية.

في أصـول اللغـة:

وهو يضم قرارات المجمع التي اصدرها من الدورة ٢٩ الى الدورة ٣٤ في اقيسة اللغة وأوضاعها العامة في الألفاظ والأساليب.

مجموعة المصطلحات العلمية والفنية:

وهو يضم مجموعة المصطلحات في المجالات العلمية والفنية التي أقرها المجمع.

البحوث والدراسات:

وهي البحوث والدراسات التي يعدها الخبراء الباحثون من اعضاء المجمع وغيرهم وألقيت بداخله.

محاضرات الجلسات:

وقد قام المجمع بنشر جلساته ومداولاته حول القضايا التي تثار في هذه الجلسات.



مجلـة المجمـع:

وهي تضم قراراته ودراساته وما انتهى اليه الرأي في القواعد والضبط وما أقره المجمع من المصطلحات في العلوم والفنون الآداب.

نشر الكتب القديمة التي لها صلة باللغة العربية:

-كتاب التكملة والذيل والصلة للصاغاني وهو تكملة كتاب (الصحاح) للجوهري وصدر منه الجزء الاول وحققه الاستاذ عبد العليم الطحاوي.

-عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب للحازمي وحققه الاستاذ عبدالله كنون.

-كتاب الجيم: لأبي عمر الشيباني.

(المجلة)

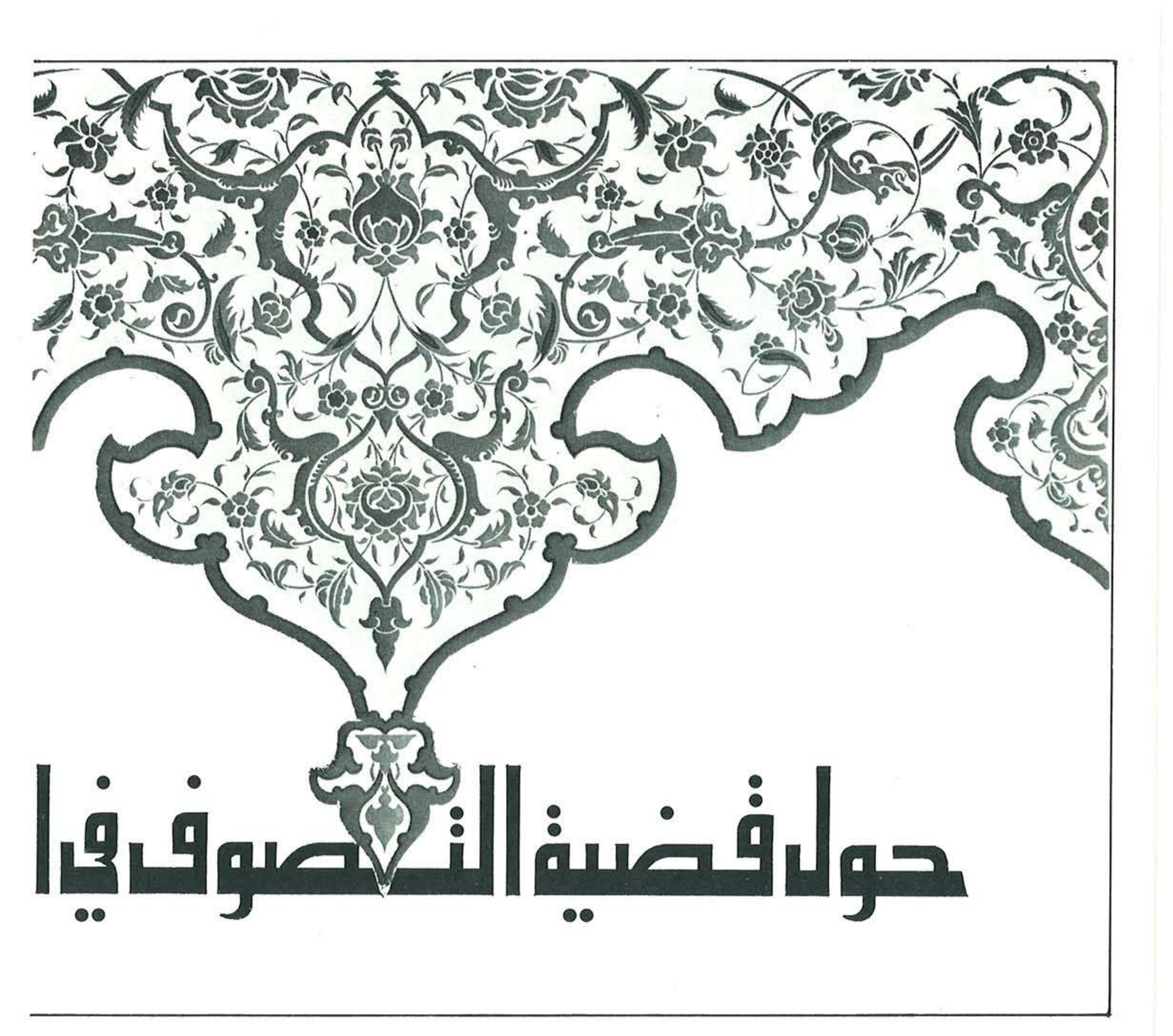
متصلة في الفاظ الحضارة عول فيها بخاصة على الخبراء كل في ميدانه. ويكاد يلتزم بالا يسجل لفظة حضارية الا اذا ثبت له ان اللفظ له استعمال شائع وحياة لا تقل عن عشرين عاما في لغة الخطاب والكتابة ايضا وكثيرون يعرفون جهود المرحوم محمود تيمور – من اعضاء المجمع – في هذا الميدان فقد وقف رحمه الله نفسه عليه طوال خمسة عشر عاما وكان يوافي المجمع بحصيلته لتوضع موضع الدرس والبحث. تلك صورة قد لا تكون كاملة عن جهود المجمع في لغة العلم ولغة الحضارة. اما جهوده في اللغة بعامة فالحديث فيها طويل. وما أجدرها ان يوقف عليها حوار مستقل.

□ قلت ..

هذا عما يختص بلغة العلوم. فماذا عن لغة الحضارة؟

* قال رابع رئيس لمجمع القاهرة.

«لغة الحضارة أعسر نوعا ما من لغة العلم. لان هذه لغة الخاصة بوجه عام. اما لغة الحضارة فهي لغة مشتركة بين الخاصة والعامة بل هي بالأولى لغة الجماهير ومن سبل نشرها وتوحيدها وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة مرئية او مسموعة لكي تقدم المثل الصالح الذي يمكن ان يحاكي. والذي ينتهي بنا الى لغة حضارية موحدة في العالم العربي. ولست في حاجة الى ان اشير الى ان اذاعتنا المصرية ليست على مستوى منشود في هذا الباب. وقد سبق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ان ابدى هذه الملاحظة غير مرة. بل اضاف اليها ان اذاعة ب.ب.سي. البريطانية في قسمها العربي تعنى بدقة اللفظ وسلامة الأسلوب. وربما كانت اسلم من اذاعات عربية كثيرة».



حول قضية التصوف في ا

يدور الجدل منذ ظهر التصوف في الاسلام كتيار فكري واتجاه ديني حول نشأة التصوف .. أهي نشأة اسلامية خالصة ام انه تأثر بفلسفات هندية او فارسية او اغريقية او مسيحية؟

وقد اجتهد فريق من الباحثين والمؤرخين المسلمين لاثبات ان التصوف اسلامي البشرة والجوهر .. اسلامي النشأة والنزعة، وألفوا المجلدات في نفي تهمة التأثر او الاقتباس من الفلسفات او الحضارات الاجنبية ولكنهم لم يتوقفوا

ما الحاجة إلى التصوف؟

وماذا قدم التصوف للإسلام؟

وهل نشأ نشأة إسلامية خالصة، أم أنه تأثر بفلسفات أخرى؟



كثيرا عند البحث في أثر هذا الاتجاه في الحياة الفعلية الاسلامية وكذلك في الحضارة الاسلامية بوجه عام.

ويكفي للحديث عن أثر النزعة الصوفية في الحضارة الاسلامية ان نذكر ان دعاة الاصلاح في الشرق الاسلامي في العصر الحديث اعتبروا التصوف وما نشأ عنه من فكر نظري وسلوك حياتي مسئولا بشكل جذري عن التدهور الذي اصاب حياة المسلمين، فلم يكن **جمال الدين الافغاني** بأقل انتقادا للتصوف من **الشيخ محمد عبده**، وجاراهم في ذلك **الشاعر الفيلسوف محمد إقبال** وكذلك **الشيخ عبد الحميد بن باديس** في الجزائر.

ومن عجب ان بعض الأئمة في عصرنا، ينصبون من انفسهم دعاة للتصوف وهم يرون بأعينهم ما انحدرت اليه الحال من فساد العقيدة والاعتقاد في الأولياء وكراماتهم اللا محدودة واسقاط التدبير والتواكل ونبذ العقل والانصراف عن العلم المكتسب انتظارا للفتح او العلم اللدني، وقد وصل الحال كذلك ببعض المنحرفين الى اسقاط التكليف فلا يقومون بصلاة او صوم او حج او غير ذلك من فرائض، وقد آثر عن الحلاج جواز الحج بالهمة اي دون سفر الى مكة وبيت الله الحرام.

وفكرة الظاهر والباطن من الأفكار الاساسية في البناء النظري التصوفي فالوضوء له ظاهر وباطن وكذلك الصلاة والصوم والحج .. الخ والقرآن الكريم كذلك له ظاهر وباطن والآيات لها مفاهيم ورموز باطنة لم يصل اليها مفسرو القرآن لانها لا تأتي عن طريق الاجتهاد العقلي او التأمل النظري، ولكنها من نصيب أهل المواجيد والأذواق.

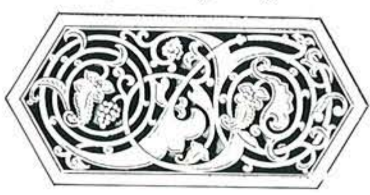
وقد فطن دارسو الصوفية الى ان الجماعة قد وجدوا في الحج مرتعا خصيبا للرموز والاشارات .. أمدهم بذلك ما في الحج من شعائر كثيرة مثل الطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الحجارة والنحر .. الخ.

وقد وجد الصوفية في بعض الآيات القرآنية ما يصادف هواهم ومنهجهم في البحث عن الرموز والدلالات والايحاءات مثل آية النور .. فهناك المشكاة والزيتونة، وهناك الزيت الذي يضيء ولم يمسسه نار .. ويستوقفهم التصوير القرآني مذاهب شتى تخرج بهم عن الجادة في كثير من الأحيان، كتفسير بعضهم «واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة» بأن الامر عام للمسلمين وان البقرة هي النفس وشهواتها وان المسلم مأمور بذبح هذه البقرة فلا يتنعم بخيرات الدنيا وأطايبها التي أحلها الله وانعم بها على عباده، ولكن عليه ان يلبس الخرقة، او المرقعة وان يكتفي بكسرة جافة ويرفض النساء والكساء ويستمر التفسير الغريب لآيات كثيرة مثل الآية التي وردت فيها عصا موسى عليه السلام وآية الأمر لموسى بخلع النعلين .. الخ.

فالقول بالظاهر والباطن يختلف عن مذهب الباطنية الذين لا يعترفون بظاهر القرآن الكريم .. فالصوفية كما قلنا يرون مع أهل السنة ما وصل اليهم من تفسير للقرآن الكريم ولكنهم يحملون الآيات بعد ذلك ما لا تحتمله بدعوى النفاذ الى عالم الاسرار والانوار، وهم في الحقيقة يصلون احيانا الى معان دقيقة ولكن .. من قال ان تفسير القرآن يكون بالرأي؟ حقا لا يجوز الحجر على المسلم في فهم القرآن ولكن ان يكون لكل فرد فهمه الخاص للآيات فان ذلك يدفع في النهاية الى اختلاف وتناحر لأن القرآن يجمع بين العقيدة والتشريع والاختلاف على التفسير يستتبع بالضرورة اختلافات جذرية في المعتقد الواحد.

وينبغي القول ان الاهتمام بالباطن والأسرار والرموز والاشارات يتفق مع الصوفية حيث بدأت تاريخيا كرد فعل فردي للترف الذي انتشر في دولة الاسلام بعد الفتوحات ثم ازدادت الحركة وتآخت فيما بعد مع الشيعية، التي ظهرت هي الاخرى كحركة شعبية دينية مقهورة بالتسلط الاموي بعد استشهاد

حول قضية التصوف في الإسلام



الحسين بن علي رضي الله عنهما .. واستعاضت الصوفية عن المناصب الدنيوية مثل الخلافة والوزارة والامارة وغيرها بمناصب اخرى فهناك الاستاذ وامام الوقت وشيخ العهد والنقباء والأبدال والأوتاد ولكل مقامه واختصاصاته في سلك الطريقة الصوفية ..

والدراسة المتأنية للسيرة النبوية تبين لنا ان التصوف لم يظهر في العصر النبوي .. ولم تظهر كذلك جذوره او بوادره في السنة المطهرة .. حتى الكلمة، لم تظهر في حياته الشريفة .. ولم يوافق صلى الله عليه وسلم على كثير من مناحي وركائز التصوف، ولذلك فاننا نقول: ما الحاجة الى التصوف؟

ان التصوف اتجاه ديني اسلامي ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فهل يمكن القول بان هذا الاتجاه يشبه من قريب او بعيد ظهور المذاهب الاربعة؟

يظهر بعد الدراسة والتمحيص ان الأئمة الأربعة كانوا اصحاب اجتهادات وتأويلات تعتمد اساسا على فهم عميق للقرآن الكريم والحديث لاستنباط الأحكام الشرعية بما يتفق مع أحوال الرعية في الأقطار الاسلامية المترامية، وهم الذين قاموا بما يشبه التقنين للفقه الاسلامي في موضوعاته المختلفة، والجميع يقتفون النور المحمدي وكبار الصحابة في المسائل الخلافية ..

ولكن ماذا قدم التصوف للاسلام؟ ان ظهور هذا التيار او الرافد يجعلنا نتساءل:

أهو رافد وافد حقا من نبع اجنبي .. فارسي او هندي او اغريقي؟

ان كان الامر كذلك فان هذا الاعتراف يؤدي الى القول بقصور الاسلام كعقيدة شاملة ومنهج حياة، والكامل لا يقبل الزيادة .. لان الزيادة لا تكون الا حيث يكون النقص .. ولذلك فان اهل السنة رفضوا التصوف جملة وتفصيلا. ولم يناقشوا كثيرا من مقولات الصوفية باعتبار انهم يدينون بالاسلام، والاسلام نعمة كاملة تامة بدليل قوله تعالى:

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» صدق الله العظيم.

ونسأل من جديد:

هل التصوف نابع من الاسلام كما يتفرع النهر العظيم عن جدول؟ فان كان كذلك فماذا نقول فيمن يترك الأصل ويتمسك بالفرع؟

ومع كل فان المناقشة والتحليل تؤديان الى العثور على كثير من أوجه الخلاف بين الروافد وبين النبع الالهي. حقا ان بعض الصوفية لهم مقاصد حسنة، ولكن على الجملة لا يمكن انكار الأثر الضار الذي احدثوه في الحياة العقلية وفي الحضارة الاسلامية ..

ومن أهم المسائل الخلافية .. التسمية نفسها ..

مما لاشك فيه ان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم لهم اسماء بعينها لا يجب الأختلاف عليها .. فهم المؤمنون وهم المسلمون، ولهم أوصاف ذكرها القرآن الكريم انهم المجهادون، المتقون، الصابرون، المستغفرون، المنفقون .. الخ ولم يأت تعبير «المتصوفون» في قرآن او سنة



محمد اقبال

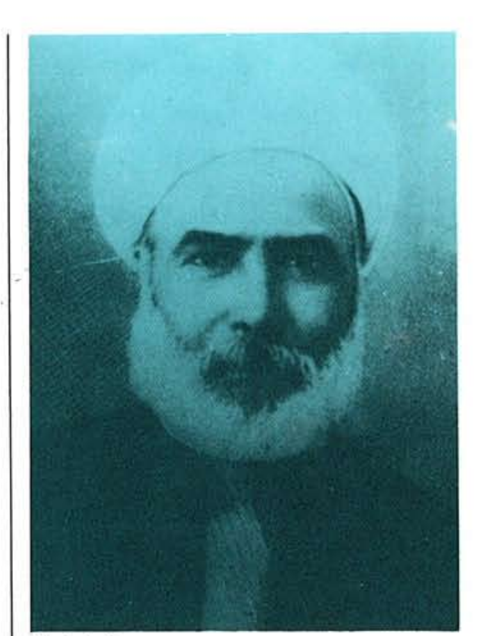
وقد صح ما توقعه الدارسون اذ ان الطرق الصوفية (واسمها يشكل الاختلاف فهي طرق وليست طريقة واحدة) قد أنقسمت ولا زالت تنقسم وتنشر دعواها التي تختلف معها في كثير من جوانبها، ويكفي ان نشير الى الطريقة الاحمدية وهي طريقة السيد احمد البدوي، وما أنقسمت اليه .. وقد أشار الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه عن حياة البدوي الى هذه المسألة الهامة .. فذكر الطرق الاربع الشهيرة وهي القادرية والرفاعية والأحمدية والبرهامية ثم عرج على ذكر ما تفرعت عنه الطريقة الأحمدية فوصلت الى ستة عشرة طريقة هي:

المرازقة والكناسية والانبابية والمنايفة والحمودية والسلامية والحلبية والزاهدية والعشيبية والبيومية والتسعينانية والشناوية والسطوحية والبندارية والمسلمية ..

ويقول أئمة المتصوفة والمدافعون عن هذا التعدد الانقسامي:

«إن كلهم من رسول الله ملتمس».

ولكن هذا الرأي مردود عليهم فهم وان كانوا كذلك الا انهم قد غايروا السنة


محمد عبده

المحمدية وذلك منذ أرتضوا لانفسهم هذه التسميات، فليس ثمة الا طريقة واحدة وهي الطريقة الاسلامية او الطريقة المحمدية لان تفرع الطريق يسبب الوهن ويؤثر الخلاف ..

قال تعالـى:

وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» صدق الله العظيم.

(١٥٣-الأنعام)

والواقع ان الصوفية وهم ينزعون الى الزهد والتقشف وخاصة في بداية مراحل التصوف كانوا يمثلون اتجاها فرديا لا خطر له، ولكن ان يتحول ذلك كله الى دعوة جماعية لها دستورها وقوانينها وهدفها الاخير الذي يرمي الى تحويل المجتمع كله الى مجتمع من الزاهدين والمتقشفين فهذا ما يحتاج الى وقفة تأمل ..

ذلك اننا لا نناقش افكار هذه الجماعة مناقشة مجردة ولكننا ننطلق من ان عقيدة الاسلام هي عقيدتنا الراسخة ومنهجنا الذي نعرف به سبيلنا في الحياة ومقياس الافكار الاخرى فان طابقت قبلناها وان شذت رفضناها ..

وبدءا فان الاسلام لم يرسم لاتباعه حياة الزهد والنسك والتقشف، وهو ايضا لم يرد لهم حياة الاستغراق في الترف والنعيم والبلهنية ..

ان الاسلام يرفض العزلة والانقطاع الى العبادة، وهو كذلك يرفض الانكباب على الدنيا وجمع ثرواتها، ان الاسلام يرفض الرهبنة وهو كذلك لا يدعو الى الاكثار من النساء. وفي كل هذه القضايا تغني الآيات الكريمة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن المراء واللجاج .. ويكفي ان نشير الى ما حدث من جماعة من الصحابة اتفقوا على حياة الزهد احدهم يصوم الدهر لا يفطر أبدا والآخر يصل الليل بالنهار صلاة وعبادة، والثالث لا يتزوج النساء ابتغاء مرضاة الله، فيرفض الرسول الكريم هذا المنهج جملة وتفصيلا ويرسم خطة الاسلام المتوازنة بين ترك الدنيا والتهالك عليها.

ولقد أدت هذه المواقف ببعض الباحثين الى الخوض في تأثر المسلمين بنظام الرهبنة في المسيحية، ولكن غالبيتهم يرفضون الأخذ بمقولة ان المتصوفة قد تأثروا بنظام الرهبنة والأديرة والانقطاع الى العبادة في جوف الصحراء ومغارات الجبال لأن الانقطاع والعزلة نزعة تطرأ على الانسان في ظروف معينة، ومع ذلك فان مجرد ورود المقارنة يؤكد خطأ الطريق الذي ذهب اليه من اتخذوا معازل للعبادة من المتصوفين.

وننتقل الآن الى موضوع فرعي وهو يؤكد ما ذهبنا اليه من مجافاة التصوف لتعاليم الاسلام، فالمعروف ان الاسلام قد حرر روح الانسان من تسلط اية قوة اخرى بشرية او غير بشرية منذ اعترف انه لا اله الا الله .. ولم يصبح مسؤولا الا امام خالقه، وهذا في حد ذاته يفتح ملكوت السماوات امام الانسان بلا حدود .. ولكن الطرق الصوفية لها مفهومها الخاص في هذه الصلة الوثيقة بين الانسان وربه .. فالتوبة لا تكون الا على يد شيخ الطريقة، وهناك سلسلة من الاجراءات يمر بها المريد او السالك ويترقى عن طريقها في مدارج السمو ولا يستطيع ان يفعل ذلك وحده وانما لابد له من واصل موصل، اي لابد ان يأخذ استاذه بيده، وعلى هذا الاساس نستطيع ان نقرر ان الصوفية في هذه النقطة بالذات قد خالفت المفهوم الاسلامي العظيم.

حقا ان الصوفية قد تركوا «للمريد» حرية اختيار شيخه او استاذه، ولكنهم يقررون ان المريد متى اختار شيخه او استاذه فانه يرتبط به ارتباطا ابديا، ويحدد الخفاجي في كتابه «النفحات الاحمدية» آداب المريد مع شيخه وأهمها عدم مخالفته او الاعتراض عليه وتقديمه في كل الامور على غيره من الاشياخ الصالحين من اهل الطريق فلا يزور وليا من اهل العصر ولا صالحا الا باذنه ولا يحضر مجلس غيره ولا يسمع من سواه، ولقد لخص السيد ابراهيم الدسوقي علاقة المريد بالشيخ قائلا «ان المريد مع شيخه على صورة الميت، لا حركة ولا كلام، ولا يقدر ان يتحدث بين يديه الا باذنه ولا يعمل شيئا الا باذنه، من زواج او سفر او خروج او دخول او عزلة او مخالطة او اشتغال بعلم او قرآن او ذكر او خدمة الزاوية او غير ذلك..»



حول قضية التصوف في الاسلام



وأما فيما يختص بالعمل واكتساب الرزق فان الامر كذلك يحتاج الى وقفة اخرى، فغني عن القول ان الاسلام قد رفع أتباعه وكرمهم بدفعهم الى كسب خبزهم بعرقهم ونهاهم عن البطالة والحرام والربا ونهاهم عن الاعتماد على الغير في النفقة، وقصة الزاهد الذي انقطع عن العمل وترك غيره ينفق عليه معروفة .. اذ ان غيره اعبد منه كما قرر الشارع .. ولكننا نرى في الطرق الصوفية أمرين.

الاول: تمكن حب البطالة من نفوس البعض، وفهمهم الخاطئ للتوكل وعدم اتخاذ الأسباب تحت ستار الزهد رغم تأكيد مشايخ الصوفية على استمرار المريد في الاسباب اي اكتساب الرزق، وكان كثير منهم يعمل بيديه وآخرون يعملون في الزراعة والتجارة مثل أبي الحسن الشاذلي.

الامر الثاني:

حين اشتد تيار التصوف ازداد عدد الزوايا والخوانق التي شيدها الاثرياء تقربا لله، وحرصت معظم الحجج الشرعية الخاصة بأوقاف الزوايا على وضع الشروط الكفيلة — بانقطاع الصوفية للعبادة وعدم تغيبهم اكثر من ثلاثة ايام في الشهر الواحد (حياة السيد البدوي — د. سعيد عبد الفتاح عاشور).

وهكذا ظهر الانحراف جليا حين انقطع المتصوفة الى العبادة وتركوا السعي الذي امروا به في كتاب الله وسنة رسوله واصبح وجودهم عالة على آخرين يهبط بهم عن منزلة المسلم الحق ويعرضهم لمخالفة مبادئ الاسلام وهم ومن ساعدهم على ذلك الاتجاه الخاطئ. وغني عن البيان ان الاسلام يدعو الى ايجاد منازل خاصة للعجزة او الذين فقدوا العون والسند والنزعة الانسانية في الاسلام ترقى بل تسمو على كل الشرائع الاخرى، ولكن حديثنا ينصب على اولئك القادرين الذين تركوا العمل توهما منهم ان في الانقطاع عن الدنيا تقربا من الله عز وجل.

والحقيقة ان قضية التوكل من اهم القضايا الجديرة بالمناقشة في فكر المتصوفة ..

وفكرة التوكل في الاسلام واضحة لا لبس فيها، فالله تبارك وتعالى هو نعم المولى ونعم الوكيل، وعلى الله فليتوكل المتوكلون، ولكن هذا التوكل مشروط باتخاذ الاسباب فلا تترك الامور على عواهنها بحجة الاتكال على الله، وقد كتب أئمة الصوفية في اسقاط التدبير كلية والغاء السعي والتحرز وأخذ الحيطة والحذر .. ومنهم على سبيل المثال ابن عطاء الله السكندري الذي ألف كتابا أسماه «التنوير في اسقاط التدبير» لان الاختيار في رأيهم فيه سوء أدب مع الله اذ ان المؤمن المتوكل هو من ترك اموره لله يختار منها ما يشاء وليس له هو ان يختار بل انهم يرفعون معصية الاختيار الى درجة قريبة من الشرك بمعنى الاشتراك مع القدرة الآلهية في تدبير الامور. وهكذا يجعل ابن عطاء الله من اسقاط التدبير معنى مرادفا للتوحيد.

وكان هذا التحليل الصوفي بابا خطيرا دخلت منه روح التواكل لدرجة اننا نرى الامام الغزالي رضي الله عنه يناقش في الاحياء موضوع التداوى وهل ترك التداوى من التوكل؟ وهل التداوى والتماس الشفاء لدى الاطباء وفي الادوية يقدح في توكل المريد؟ وطرح القضية على هذا النحو — رغم انه يبين ان التداوي لا يقدح في التوكل يبين الانحراف الشديد الذي طرأ على مفهوم التوكل لدى الصوفية .. ولكن النقب في الجدار تزايد حتى ازداد عدد المعتقدين في اسقاط التدبير وترك الاسباب وعدم الاختيار ويستتبع ذلك بالضرورة الغاء العقل وحجب الفكر وقتل الارادة الانسانية وقطع الصلة بين النتائج والاسباب. وهي كلها أمور تبتعد عن جوهر التوكل في المعتقد الاسلامي.

فاذا ذكر العقل والنتائج والاسباب فان ذلك مقدمة للحديث عن اخطر ما انتجه الاتجاه الصوفي في الاسلام .. الا وهو منهج المتصوفة في المعرفة وأداتها.

هنالك نرى انهم يقفون من العقل موقفا غريبا .. اذ ان هذا الموقف هو الفيصل بين مذهبهم أو اتجاههم وبين مذهب الفقهاء اهل الشريعة او اهل الظاهر ومذهب المتكلمين من فلاسفة الاسلام.

والعقل عند الصوفية عاجز لا يدل الا على عاجز مثله، فلا يؤدي العقل في

عرف القوم الى معرفة الله .. وانما تتم المعرفة عن طريق القلب او الوحي او الالهام او الاشراق الفيضي. ووسيلة ذلك اخماد العقل واماتة الشهوات والانقطاع الى المجاهدة والخلوة والذكر فتشف الروح وتتخفف من قيود البدن، وما تزال الروح تقوى حتى تتصل بالملأ الأعلى وتتكشف لها الانوار الربانية، وذلك العلم من لدن رب العالمين وليس مكتسبا عن طريق العقل وتراث الانسان الحضاري والتدرج في المعرفة. وهو ما يسمى عندهم بالعلم اللدني.

وعلى هذا الاساس بنى الصوفية موقفهم من العقل وقالوا بالقلب او البصيرة الداخلية، ولما كان مقصود الصوفية هو الوصول الى الحق تبارك وتعالى .. ولما كان الوصول الى الحق عن طريق العلم اللدني الذي يحدث بالمجاهدة والخلوة والانقطاع للذكر والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فالنتيجة الحتمية اسقاط العلوم المكتسبة واخماد صوت العقل باعتباره كثير الخطأ خاضعا لأوهام الحواس الكاذبة .. حائلا دون الوصول الى مرحلة الالهام والوحي والاشراق وانه يزعج القلب ويشوش على صفاء الروح بما وقر فيه من اسلوب المناطقة او المتكلمين اهل الجدل .. ولقد بلغ بهؤلاء الانحراف الى التجرؤ على مقام الرسول الكريم فتشدقوا بأمية الرسول صلى الله عليه وسلم دون ادراك حقيقي لمغزى أمية النبي وموقع ذلك من اعجاز النبوة واعجاز القرآن ..

قال تعالى .. «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون». صدق الله العظم .. (العنكبوت ٤٨)

وقد ترتب على هذه الدعوى القول بالكرامات للأولياء والصالحين ولا سبيل لانكار هذه الكرامات ما دامت العقول قد ألغيت. وقد كتب الكثيرون في تحليل الكرامات تحليلا سيكولوجيا، ونحن لا ننكر ان يجري الله تبارك وتعالى الكرامات على أيدي اوليائه وأصفيائه فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولكن المنهج الصوفي



في النظر الى الكرامات والزام الكافة بالاعتقاد في كرامات الولي ادت الى اختلاق الكرامات ونسبتها الى رجال الطرق الصوفية، وكان ذلك تحت سلطان الغاء العقل.

ولو أنصف الصوفية لأدركوا ان القرآن الكريم دعوة الى الفهم وانه يستخدم العقل البشري اداة للوصول الى المعرفة .. وانه حافل بالقضايا التي لا يحسم فيها الالهام او الاشراق وانما يحسمها العقل بسلطانه، فقضية التوحيد لا يصل اليها الانسان الا بالعقل، ذلك في المنهج القرآني، وفي هذا المنهج ايضا يكون العقل دليلا على وجود الحق تبارك وتعالى، وانفراده بالخلق. والقرآن يحفل بالآيات الكريمة التي تدعو اصحاب العقول والألباب الى التفكير في القضايا المطروحة (لقوم يعقلون) (لعلهم يتفكرون) (لأولي النهى) ... الخ فكيف يرفض الصوفية معرفة الطريق الى الله عن طريق العقل **والقرآن الكريم دليل عقلي على النبوة .. وليس بطريق الوحي او الالهام**، والقرآن كما قلنا يخاطب العقل ويناقشه ويقف معه هاديا ومرشدا حتى الاقناع .. حقا ان القرآن الكريم يدعو الى الايمان بالغيب ولكن المؤمنين يستجيبون لذلك بعد ان هدتهم عقولهم الى ان هذا القرآن من عند الله، ويترتب على الايمان بهذه الحقيقة الكلية الايمان التام بكل ما جاء به القرآن وما دعا اتباعه الى الايمان به دون مزيد من المناقشة او الجدل.





زيد الخيل

لقد ذهب شعراء المعلقات بمجد الشعر الجاهلي .. فسلّط الباحثون اضواء شديدة عليهم بينما بقي في الظل عدد من شعراء العهد الجاهلي او صدر الاسلام، لم يعتن بهم الباحثون كثيرا .. مع ان لبعضهم في الشعر روائع، ان لم تنافس روائع المعلقات .. فانها لا تقلّ عنها، او قد تقترب منها كثيرا او قد يكون فيها من الرقة او الدقة او الجمال ما لم نجده في المعلقات على شموخ مجدها .. وقد لا نجد في هذه الروائع من العيوب .. الا ان يكون صاحبها مقلّ .. لا يقول الشعر الا اذا امتلأت به نفسه في حرب او طرب .. او قد يكون ذنبه، ان ذهبت الظروف بشعره .. اعني بالكثير منه .. فلم يحفظه راو .. ولم تتناقله الالسن، ولم يسطر في الطروس .. ولكن النتف القليلة التي بقيت دلّت على مجد صاحبها .. وعلى انه كان يتمتع بشاعرية حقة مبدعة ..

ومن هؤلاء الشعراء الذين لم يجدوا انصافا كبيرا .. ولم تلق اضواء كافية على حيواتهم .. ولا على فنهم الشعري .. من هؤلاء الشاعر الفارسي الصحابي: زيد الخيل .. بل زيد الخير .. كما سمّاه او لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما وفد عليه مع قومه من بني طيئ ..

على انه ينبغي ان اذكر بالاشارة في مجال ما نال بعض شعرائنا من اهمال الباحثين عبر الاجيال، ما يضطلع به الآن نفر من الباحثين في العراق الشقيق من العناية بالتراث والعمل على احيائه .. والقيام بجمع اشعار بعض اولئك الشعراء الذين قبعوا في الظل، مع دراسة حيواتهم ومن هؤلاء شاعرنا زيد الخير، فقد جمع شعره الاستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي، وهو باحث عراقي جليل كان من قبل احد اساتذة جامعة الملك عبد العزيز في مدينة جدة.

ومع ان الدكتور القيسي، قد ترجم للشاعر زيد الخير في مستهل رجوعه .. الا ان اهتمامه كان منصبا في الدرجة الاولى على جمع شعر الشاعر من شتات الكتب والمصادر .. وهو جهد قيّم حميد ..

لذلك فلا يزال مجال القول متسعا للحديث عن ترجمة الشاعر البطل .. بل ان البحث في حوادث حياته واخبارها، ومحاولة تنظيم تسلسلها، والوقوف على مواطن العبرة والقدوة فيها – كل ذلك يعتبر واجبا مفروضا على المعنيين بالتراث العربي خاصة. ذلك التراث الذي يتصل باحداث العصر الاسلامي الاول .. وبتلك الحقبة المباركة من تاريخ الحركة الاسلامية على عهد الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ..

شخصيته

وفي حياة الصحابي زيد الخير .. اكثر من جانب مثير، جدير بان يبرز



الخير

بقلم : عبد العزيز الرفاعي

ويجلى، وتلقى عليه الكثير من الاضواء ليكون فيه المثل الطيبة .. عدا عن جانب البحث المحض عن الحقيقة ممحصة .. رغبة في الحقيقة ذاتها ..

كانت شخصية زيد الخير، شخصية فذة متميزة .. تجمع الكثير من مميزات الشخصية الناجحة.

فهو من حيث المظهر، رجل جسيم وسيم، طويل القامة طولا مفرطا حتى ليمتطي الحصان الفاره، فتتدلى قدماه الى الارض .. فتخطّان فيها .. فلا غرو ان صاحبت الهيبة مظهره .. واضفت عليه روعة وبهاء .. وكانت عنصرا مساعدا بل فعّالا في زعامته، ومكانته عند قومه .. وعند غير قومه ممن اتصلت بهم احداثه .. ووصلت اليهم اخباره ..

وهو رجل حرب .. بطل من الابطال .. محارب شجاع .. يقارع الخصوم، ويخوض المعامع، ويفلّ الجموع .. ويبهر الفرسان شجاعة ومصاولة .. وهذا جانب هام جدا في تلك الحياة القبلية التي كانت تعيشها الجزيرة العربية في عصره .. حيث تعتمد القبيلة على صناديدها في حماية نفسها، وحريمها واموالها .. وذراريها .. وكلما برز الواحد منها في مجال القتال والنضال والدفاع عن الديار، كبر مقامه في قومه، وازداد احترامه بينهم .. ونما صيته، واعتدّ من مفاخر العشيرة .. وكذلك كان زيد الخير .. فما زال امر شجاعته ينمو ويطرد ويبسق حتى اصبح في ذروة رجال قبيلته من بني طيء .. واصبح الشخصية المرموقة المهابة ..

كـرمـه

وكما كان معظم شجعان العرب، يجمعون بين الشجاعة والكرم .. كذلك كان الأمر لدى زيد الخير، فقد كان مضيافا وهابا، يقرى ضيوفه ويصل المحرومين، ويهب الأموال .. فيضيف بكل ذلك مجدا جديدا الى امجاده المتعددة ..

ونجد في قصص حياته، انه يهب هبات من لا يخشى فقرا ولا فاقة ..

وعدا عن كل هذه المحامد، نجد ان زيد الخير، كان رجلا موهوبا .. رجلا فنانا .. اوتي حسّا رهيفا، اخرجته موهبته اخراجا جميلا فكان ذلك الشعر الذي لم يصل الينا منه الا القليل .. بيد ان هذا القليل يشف عن شاعر رقيق انصاع له فن التعبير الشعري .. ولازمه في اطوار حياته .. حتى حين احتضاره، لم يفته ان يرصد حالة نفسية عنيفة هزت اعماق وجدانه .. حينما وجد نفسه يموت في الطريق الى بلده واهله .. تلفتت عيناه فلم تجد من ذويه احدا .. حقا انه لم يفقد رعاية اصحابه رفقة دربه، اعضاء وفد طيء العائد من المدينة المنورة بعد لقاء تاريخي للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ..

كما لم يفقد عناية حانية من عائدات كريمات من نسوة القرية التي مر بها في الطريق ولم يعبرها .. اذ عاقه مرضه .. واشتدت عليه وطأة الحمّى ..



حقا لقد جاء هؤلاء النسوة يعدنه او يمرّضنه .. ولكن اين هو من نساء اهله وذويه وقومه .. اين عطف الغريب ..؟

الشاعر .. والغربة

ويكبر الالم في نفسه حينما يشعر ان صحبه سوف يرتحلون ليتركوه لهؤلاء العائدات الغريبات انها تجربة انسانية، عبر عنها زيد الخير الشاعر الرقيق قائلا:

أمر تحل صحبي .. المشارق غدوة
وأترك في بيت بفردة منجد

سقى الله ما بين القفيل فطابة
فما دون ارحام فما فوق منشد

هنالك لو اني مرضت لعادني
عوائد من لم يشف منهن – يجهد

فليت اللواتي عددنني لم يعدني
وليت اللواتي غبن عني عودى

وفي البيت الاخير من حرقة الوجدان دفقة غامرة!

اذن فقد كان صاحبنا يجمع بين جمال الوجه والجسم والمظهر، وجمال الرجولة الحقة بما فيها من شجاعة وكرم ومروءة .. وبين جمال الفن والحس المرهف الرقيق ..

لقاء الرسول الكريم

ثم يشاء الله سبحانه ان يهب لهذا الشخص الفذ .. هبة عظمى فيختم له بخاتمة الاسلام .. وذلك قبل ان يتوفى بايام قلائل .. او اسابيع قلائل ..

ليضاف مجد جديد الى امجاده المتعددة ..

هو قمّتها .. فينعم بلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكرم وفادته، ويوسع له في مجلسه، ويؤثره بوسائده، ويخلع عليه لقبه الجديد تشريفا له وتخليدا لفضله ومروءته وحبه للخير .. فيطلق عليه لقب زيد الخير بدلا من لقبه السابق زيد الخيل .. ذلك اللقب، الذي كان في

الجاهلية، تشريفا لمعاني الجاهلية .. يكبرها القوم .. فان من ملك من الخيل عددا مرموقا اصبح مرموق المكانة، بعيد

الاحدوثة وكذلك كان زيد الخير، صاحب ثروة وجاه، وكان شغوفا بالخيل، شغوفا بطرادها وترويضها واقتنائها لذلك لا عجب ان اطلق عليه

القوم في جاهليته «زيد الخيل» .. على ان الخير معقود بنواصي الخيل .. وقد جمع الله لزيد بين الحسنيين .. حبه للخيل وحبه للخير .. فرأى الرسول الحكيم عليه الصلاة والسلام ان يرجح

الجانب الذي يجمع بين الحسنيين فيجعل العام محل الخاص فيطلق عليه لقب زيد الخير .. فما احرانا ان نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنلقبه بما لقبه به، ولنا في رسول الله اسوة حسنة.

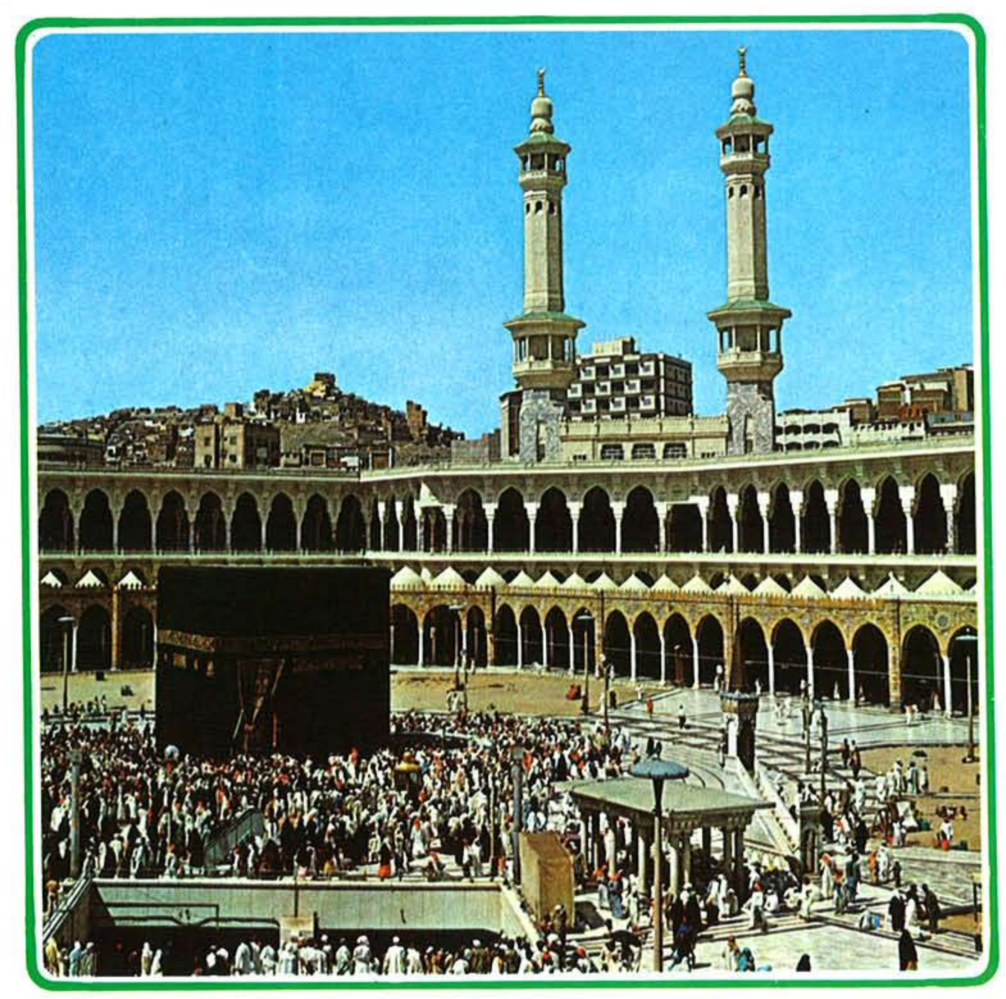
مدينة .. وتاريخ

مكة المكرمة

مركز الأرض

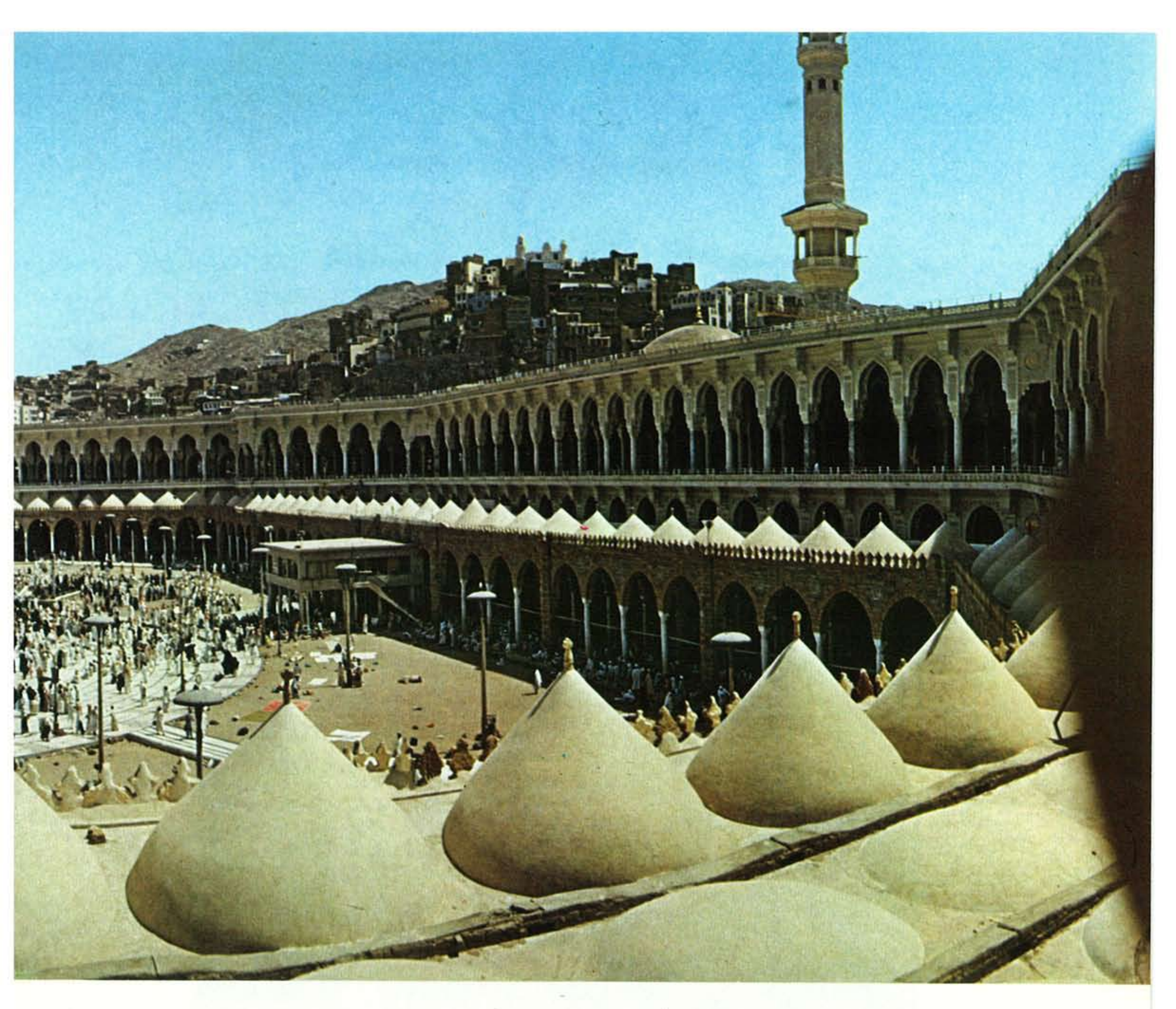
"إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"

قرآن كريم



الحديث عن مكة المكرمة لا يمكن ان تستوفيه صفحات محدودة في مجلة او تستوعبه مقالات عابرة لاسباب كثيرة منها:

١ – قداسة هذه المدينة ومكانتها الكبيرة في نفوس ملايين المسلمين حيث بها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين الذين يتجهون اليها في صلاتهم خمس مرات في اليوم، ويأتي الحج كأحد اركان الاسلام الخمسة حيث يفد ملايين المسلمين لاداء فريضته في شهر ذي الحجة من كل عام وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام. الآية .. يأتون من كل القارات على اختلاف جنسياتهم والوانهم متجردين من مباهج

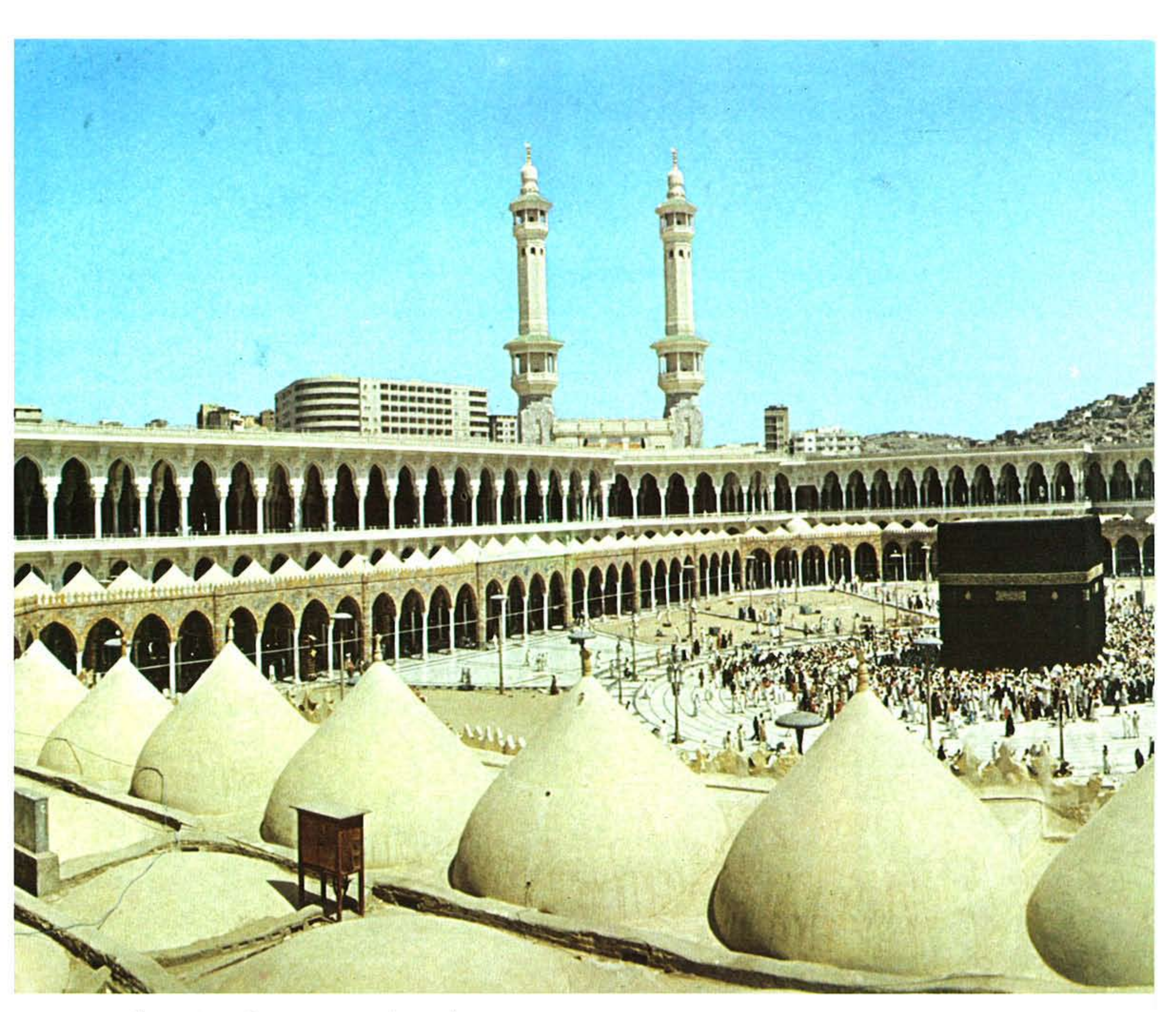


الحياة وزينتها تاركين الوطن والولد والمال والسلطان والجاه يرتدون ابسط الملابس ويقفون معا صغيرهم وكبيرهم فقيرهم وغنيهم .. افراداً وملوكاً ورؤساء .. لا فرق بينهم .. ولا فضل لاحدهم على الآخر الا بالتقوى كلهم سواسية. وهذه المكانة الدينية المقدسة تختص بها مكة المكرمة منذ فجر التاريخ الانساني.

٢– الاحداث الكبيرة التي شهدتها هذه المدينة خاصة بعد الاسلام اذ انطلقت منها الدعوة الى الاسلام الذي غير وجه التاريخ واقام حضارة انسانية ما زالت آثارها باقية حتى اليوم .. وما زال تأثيرها مشهوداً ليس في المنطقة العربية فحسب بل في العالم الانساني كله.

لقد ساهمت الحضارة الاسلامية في الحضارة الانسانية مساهمات كبيرة سجلتها كتب التاريخ واشاد بها كل المؤرخين وما زالت الدول الكبيرة اليوم تعيش على مائدة هذه الحضارة الغنية بمعطياتها.

٣– كثرة وتعدد الكتب التي تناولت تاريخ مكة المكرمة خاصة – قديمها وحديثها –. والكتب التي تناولت جانبا من هذا التاريخ عامة، وهذه الكثرة وتعددها هي امتداد لتاريخها الطويل على وجه الارض .. وما في هذا التاريخ من احداث جسيمة صنعت كثيرا من المتغيرات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية. ولو اراد الباحث ان يضع قوائم (ببليوجرافيا) عن هذه الكتب لتطلب منه جهدا وزمنا طويلين لهذا لا ندعي ونحن نكتب عن مكة المكرمة في التاريخ اننا اوفينا بحثا



كل جوانب هذا التاريخ وزواياه العديدة .. لكننا حاولنا في هذا الاستطلاع ان نقدم نبذاً قصيرة عن بعض هذه الجوانب والمعالم التاريخية التي قد لا تخفى على كثير من قراء تاريخ هذه المدينة المقدسة.

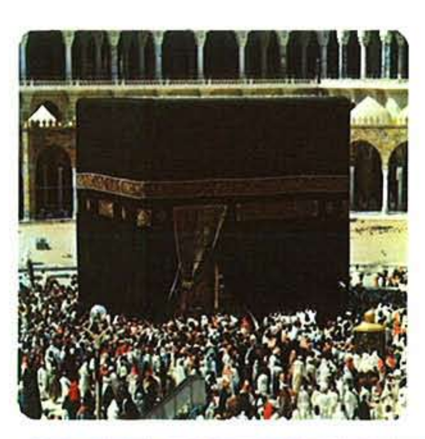
قبلة المسلمين

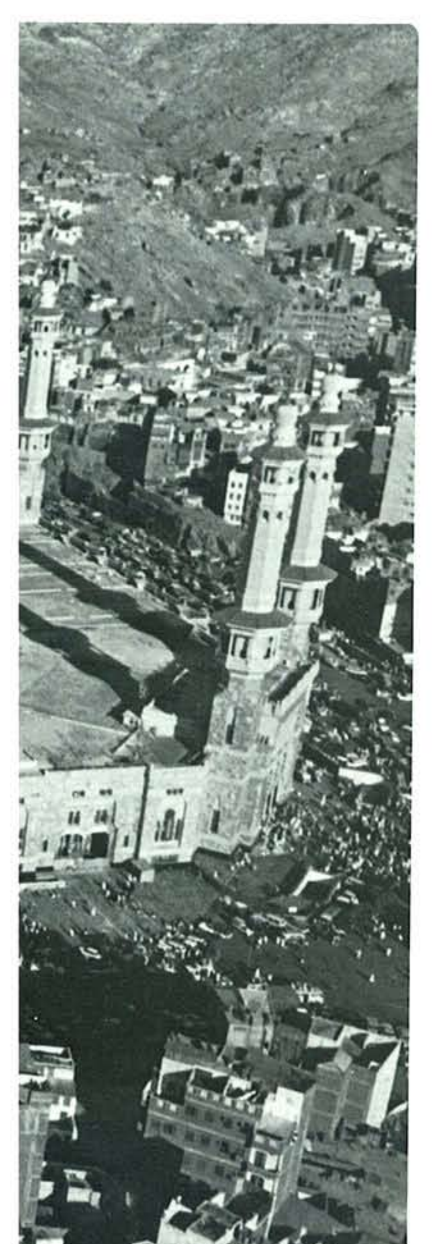
اكتسبت مكة المكرمة قداستها واهميتها التاريخية من وجود الكعبة المشرفة قبلة المسلمين بها .. مما يستوجب اعطاء القارئ لمحة سريعة عنها قبل الحديث عن مكة المدينة.

اوردت كتب التاريخ ان الكعبة المشرفة بنيت مرات .. بنتها الملائكة .. ثم بناها آدم عليه السلام. ومنها بناء اولاده وبناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما جدد بناءها العمالقة ومن بعدهم قصي عام ٤٨٠ م .. وقامت قريش بترميمها واصلحها عمر بن الخطاب بعد علمه بالسيل الذي لحق بها وذلك في العام السابع عشر للهجرة ويذكر ايضا ان عبدالله بن الزبير قام بترميمها. وتروي هذه الكتب ان ابراهيم عليه السلام اول من بنى الكعبة المشرفة بعد الطوفان ومعه اسماعيل جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم) وقال

تعالى (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا).

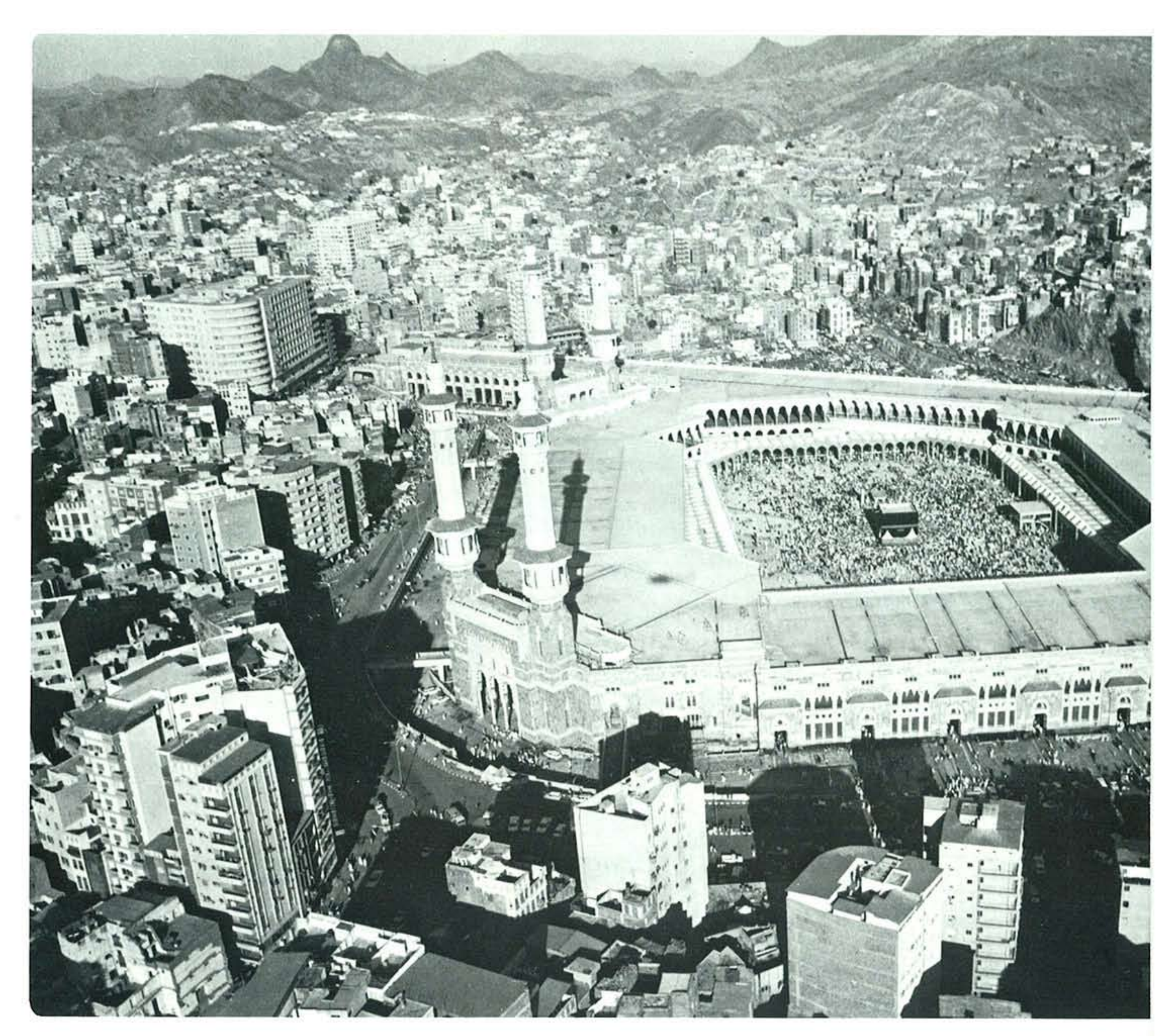
ويورد اهل الاخبار ان الكعبة او البيت كان قبل ابراهيم عليه السلام وان القواعد كانت موجودة الا ان ابراهيم رفعها وعمرها .. ساعده في ذلك اسماعيل .. وابراهيم كما اوردت





صورة جوية حديثة لجانب من مدينة مكة المكرمة .. وقد ظهرت فيها الكعبة المشرفة .. وحولها الجبال (جبل ابي قبيس .. وجبل النور).

احد حوانيت مكة التقليدية.



كتب التاريخ توفى عام ١٩٩٠ ق.م والمعروف ان الكعبة كانت مقدسة قبل مجيء الاسلام باجيال طويلة وكان العرب يحجون اليها ايام الوثنية .. وحين جاء الاسلام منع غير المسلمين من حج البيت، وقد اوصى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على راس سبعة عشر شهرا من مقامه بالمدينة المنورة ان يجعل قبلته الى المسجد الحرام (الكعبة المشرفة). وفي الآية القرآنية الكريمة أمر للرسول بهذا .. قال تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها .. فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره).

والكعبة على شكل مربع تقريبا مبنية بالحجارة الزرقاء الصلبة ويبلغ ارتفاعها ١٥ متراً .. وطول ضلعها الذي فيه الميزاب والذي قبالته ١٠ امتار و ١٠ سم .. وطول الضلع الذي فيه الباب والذي يقابله ١٢ مترا وبابها على ارتفاع مترين من الارض .. وفي الركن الذي على يسار الكعبة الحجر الاسود على ارتفاع متر وخمسين سم من ارض المطاف.

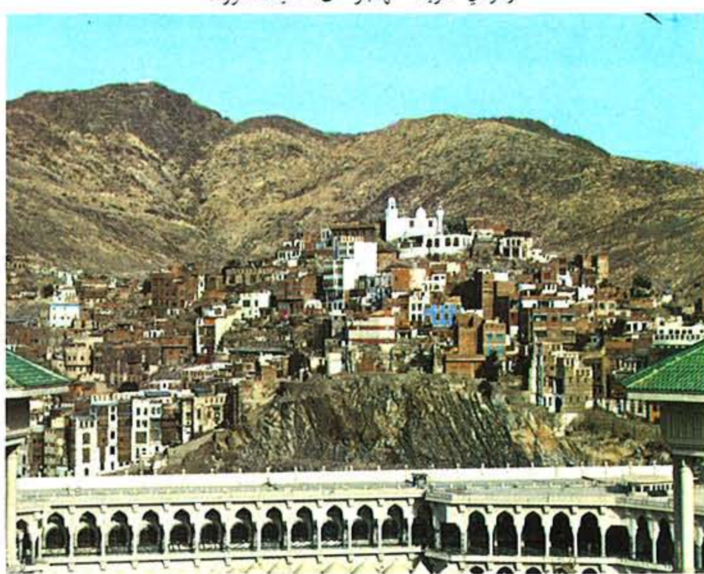
وتسمى زوايا الكعبة بالاركان على حسب اتجاهاتها : فيسمى الشمالي بالركن العراقي .. والغربي بالشامي .. والقبلي باليماني .. والشرقي بالاسود لان به الحجر الاسود، والحجر الاسود حجر صقيل بيضي الشكل قطره نحو ٣٠ سم ويحيط به اطار من الفضة عرضه ١٠سم.

نشأة مكـة المكرمـة

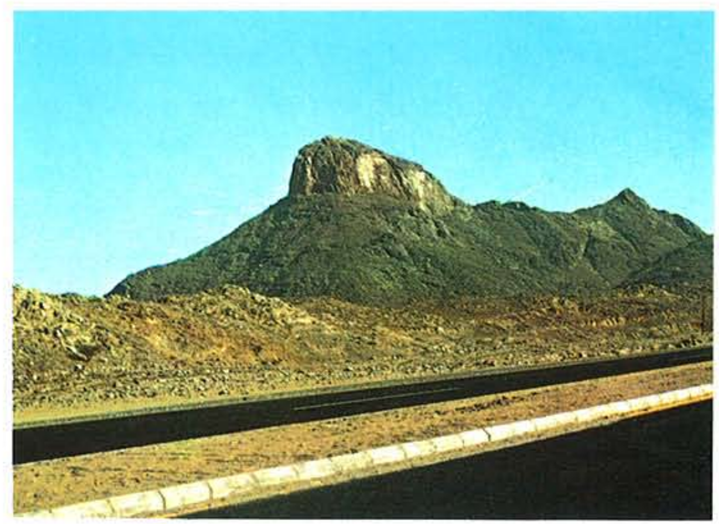
باستعراض تاريخ مكة يلمس القاريء ترابطاً وتلازماً



جبل ثور .. وبه الغار الذي احتمى به الرسول الكريم من كفار قريش
وهو في طريقه مهاجرا الى المدينة المنورة.

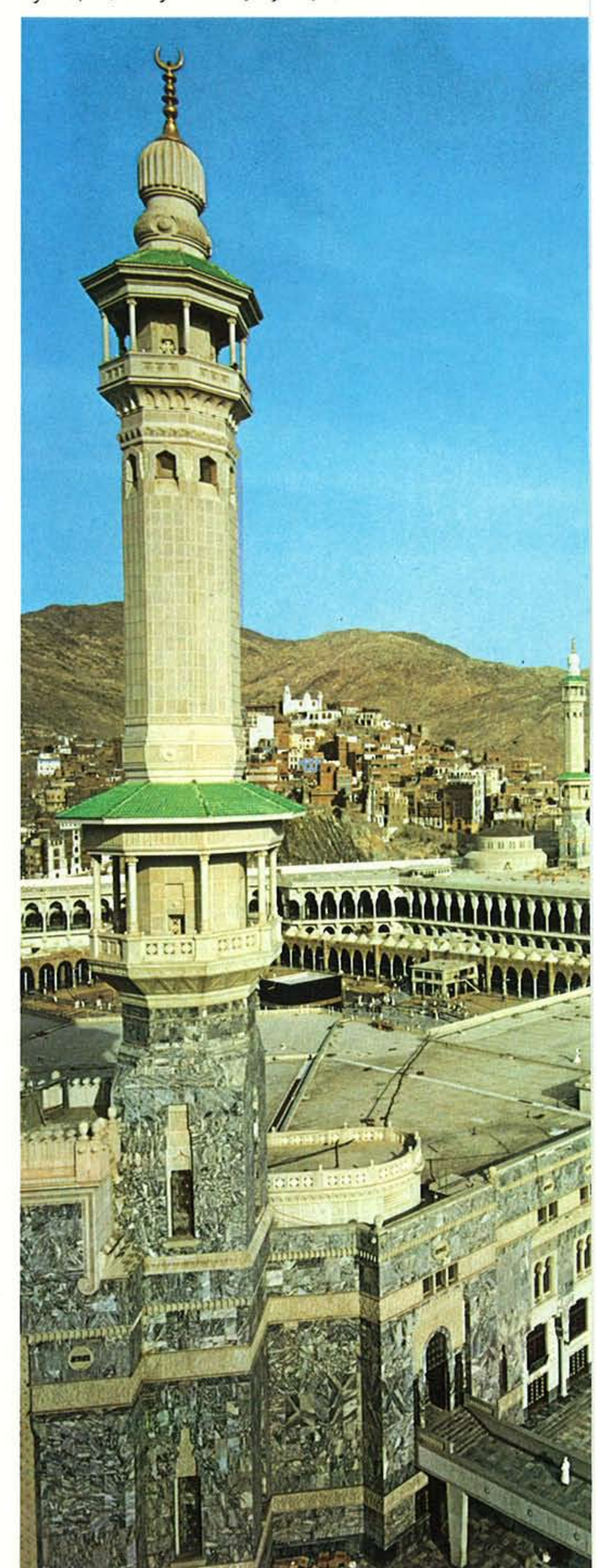


مسجد ابي قبيس على الجبل الذي يحمل اسمه.



جبل النور .. وبه غار حراء الذي انزلت فيه اول آية قرآنية على النبي محمد
صلى الله عليه وسلم.

جانب آخر لمدينة مكة المكرمة .. والكعبة المشرفة.



متينين بين نشأة مكة كمدينة وبين تاريخ البيت العتيق (الكعبة المشرفة) هذا الترابط والتلازم تجده ايضا في تسمية مكة فيقال مكة اسم المدينة .. ومكة اسم البيت .. ويقال مكة – بالميم – الحرم كله وبكة – بالباء – المسجد خاصة [1] ذلك لان مكة المدينة قامت واتسعت على وجود البيت الكريم الذي يعتبر اول بيت انشئ في مكة في بطن واد مجدب مقدس تحيط به الجبال كالسور [2] ويذكر المؤرخون ان (العمالقة) او (العماليق) اول من سكن مكة المكرمة

ثم جاءت من بعدهم قبيلة جرهم الثانية وهؤلاء ايضا اشار المؤرخون الى نسبهم في روايات مختلفة وهم عرب .. وفي عهدهم نزل اسماعيل وامه بوادي مكة .. وصاهر قبيلة جرهم. ويروى ان جرهم ظلت في مكة الى عام ٢٠٧ م حيث اجلتهم منها خزاعة وانتزعت السيادة منهم وذلك على اثر سيل العرم بعد انهيار سد مأرب في اليمن وفي القرن الخامس الميلادي انتقلت السيادة الى قريش وكانت على درجة كبيرة من الرقي .. وذلك باستيلاء قصي بن كلاب الجد الرابع للرسول صلى الله عليه وسلم على امر مكة والبيت الحرام عام ٤٤٠ م من خزاعة. ويذكر بعض المؤرخين الى ان مكة كانت قرية صغيرة لم يكن بها بناء غير الكعبة. الى ان جاء قصي الذي جمع قريشا وامرهم ان يبنوا بها .. وبادر هو فبنى (دار الندوة) حيث كان يجتمع فيها كبراء اهل مكة للتشاور في امور بلادهم اذا كان من عاداتهم الا يتم امر الا باتفاقهم. وقد كانت مكة ملتقى القوافل الى اليمن .. والحيرة .. والشام .. ونجد كما كانت تتصل من البحر الاحمر القريب منها بتجارة العالم.

(قـدم مكـة)

ولما كنا قد تحدثنا عن قدم تاريخ مدينة مكة المكرمة فان الاشارة الى ورود اسمها في المصادر اليونانية والرومانية وهي مصادر قديمة جداً ما يؤكد ان هذا التاريخ ممتد من فترات سحيقة في التاريخ الانساني. وقد ورد اسم مكة بلفظة سريانية هي (مكرابو) وبلفظة سبأية (مكرابا) .. كما ذكرها بطليموس الاسكندري باسم (ماكورابا MACORABA.

وفي اللفظة الاشورية (مكا) .. ومعنى هذه الالفاظ كلها مع تعدد لغاتها (البيت المقدس). ومع قدم هذه المصادر الا

(١) معجم ياقوت الحموي جـ ٨ ص ١٣٣

(٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين للامام ابي الطيب التقي الفاسي محمد ابن احمد الحسني المالكي جـ ١ ص ٨

ان مكة اقدم عهدا من العصر الذي عاش فيه بطليموس — مثلا — وهو القرن الثاني الميلادي .. فقد اشار المؤرخون الكلاسيكيون الى وجود مواضع عدة في القسم الغربي من الجزيرة العربية كانت ذات حرمة وقداسة بين العرب وكانوا يقصدونها من اماكن بعيدة للتبرك بها .. مع ان هؤلاء المؤرخين لم يذكروا اسماء هذه الاماكن فانه لا يستبعد ان تكون مكة في جملة هذه الاماكن.

وقد ذهب (اوجست ميلر)

الى ان المعبد الذي قال عنه ديودور الصقلي انه معبد مشهور بين العرب هو مكة.

اســوار مكــة

يروي المؤرخون ان مكة المكرمة كانت تحيط بها الجبال من كل الجهات ومع ذلك كانت لها ثلاثة منافذ احدها يصلها بطريق اليمن .. والثاني يصلها بالبحر الاحمر عند مدينة (جدة) التي كانت وما زالت ميناء بحريا هاما .. والثالث يصلها بالطريق المؤدي الى فلسطين. ورغم ان مكة محاطة بالجبال الا ان المؤرخين ذكروا انه كانت لها ثلاثة اسوار هي:

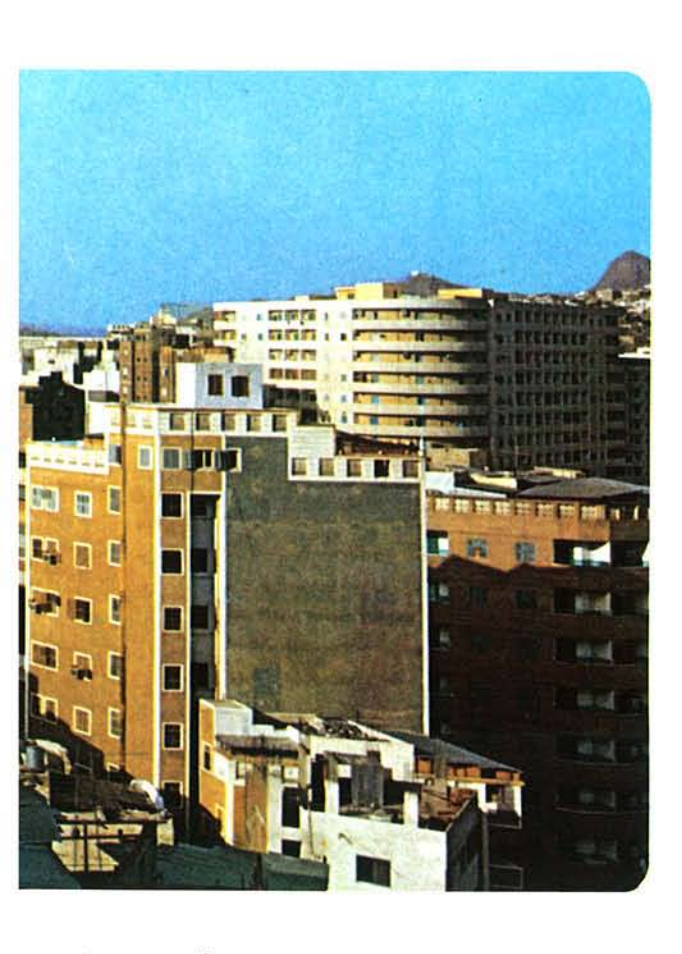
١—سور باب المعلاة من جهة الشرق ٢—سور باب شبيكة من جهة الغرب. ٣—سور باب اليمن او بان، باب الماجن.

مكة مركز الارض

تقع مكة المكرمة على الدرجة ٢١ و ٢٨ من العرض الشمالي .. وعلى الدرجة ٣٧ و ٥٤ من الطول الشرقي وترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٧٩ مترا ..

وقيل قديما ان «مكة وسط العالم» ثم جاءت الاكتشافات الجغرافية الجديدة لتؤكد هذا القول وان مكة هي مركز اليابسة في الكرة الارضية اي مركز الارض. فقد نشرت بعض الصحف العربية[٤] ان العالم المصري حسين كمال الدين رئيس قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة بجامعة الرياض قام في البداية ببحث اراد منه العثور على وسيلة تساعد اي مسلم في اي مكان في العالم على تحديد مكان القبلة الا انه توصل اثناء بحثه الى ما يشبه النظرية الجغرافية التي تؤكد ان مكة المكرمة هي مركز اليابسة في الكرة الارضية .

وقد توصل الى ذلك بعد عدة محاولات لتصميم جهاز

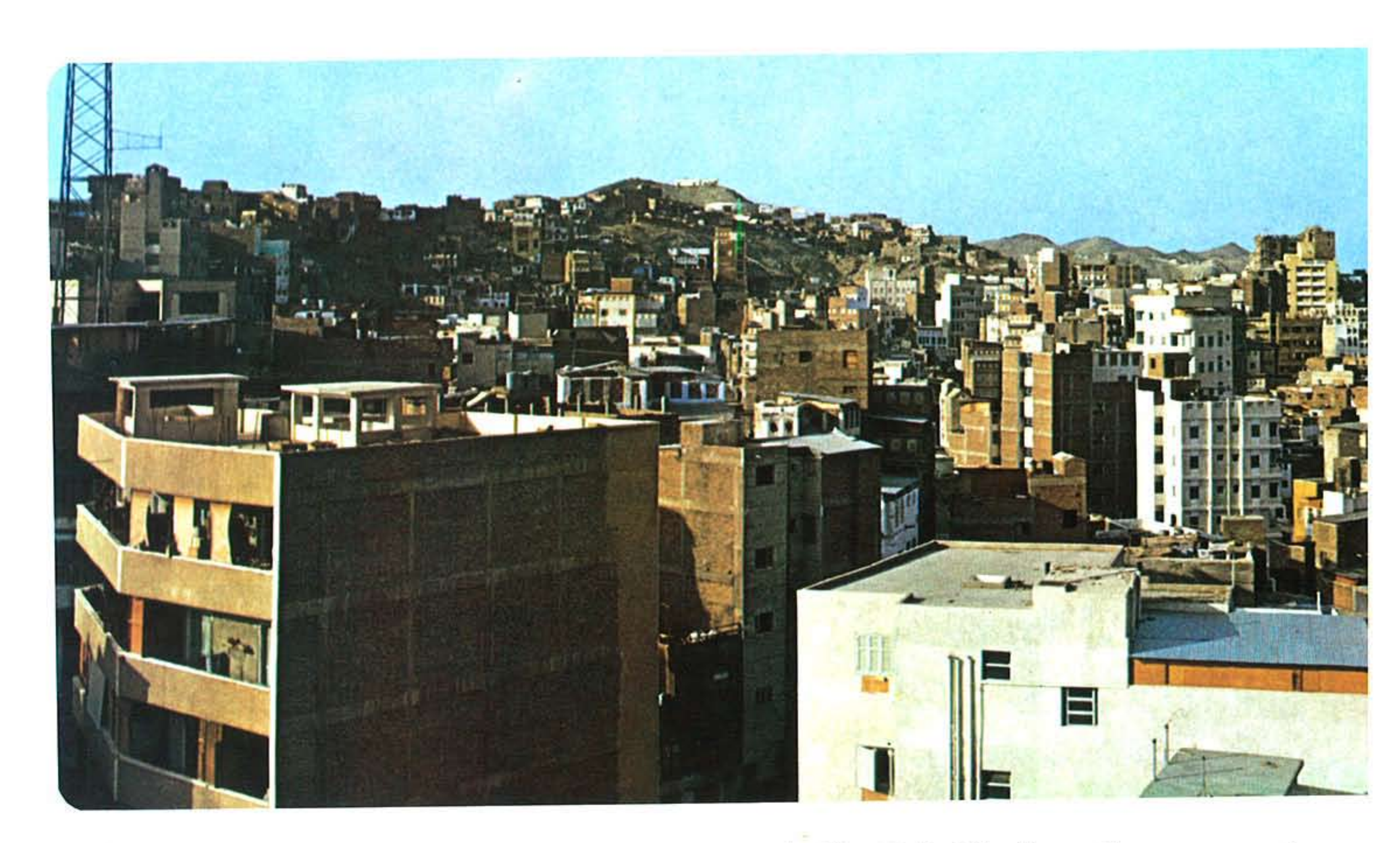


عملي ورخيص يساعد على تحديد القبلة، اتجه بعدها الى فكرة رسم خريطة جديدة للكرة الارضية تحدد عليها اتجاهات القبلة وفجأة اكتشف على الخريطة ان مكة المكرمة تقع في وسط العالم .. وقد بدأ بحثه برسم خريطة تحسب ابعاد كل الاماكن على الارض عن مدينة مكة المكرمة ثم وصل بين خطوط الطول المتساوية مع بعضها ليعرف كيف يكون اسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة. ثم رسم حدود القارات وسائر التفاصيل على هذه الشبكة مستعينا بالعقل الالكتروني لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة ورسم خطوط الطول والعرض بهذا الاسقاط الجديد واستعان بعالم مصري آخر هو الدكتور محمد الشافعي عبد اللطيف وقد اكتشف انه يستطيع ان يرسم دائرة يكون مركزها مكة المكرمة وحدودها خارج القارات الارضية الست ومحيطها يدور مع حدود القارات الخارجية ورسم خارطة للعالم القديم قبل اكتشاف امريكا واستراليا ومن خلال بحثه توصل الى معرفة الحكمة الالهية في اختيار مكة المكرمة لتكون مقراً لبيت الله الحرام ومنطلقا للرسالة السماوية.

اسماء مكة المكرمة

قال النووي (لا يعلم بلد اكثر اسماءً من مكة والمدينة

(٤) انظر جريدة الاخبار العالم الاسلامي التي تصدر في مكة المكرمة العدد ٥١٠ الصادر في ٩٧/١/٢٠ هـ الموافق ٧٧/١/١٠م نقل عن صحف عربية.



لكونها افضل بقاع الارض وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية). وقد اورد المؤرخون مجموعة كبيرة من اسماء مكة المكرمة ذكر الله سبحانه وتعالى في قرآنه الحكيم ثمانية منها:

مكة: قال تعالى (وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم، وكان الله بما تعلمون بصيرا) صدق الله العظيم.

وقد قيل انها سميت مكة لانها تمك الجبابرة اي تهلكهم .. وتذهب نخوتهم وانشدوا في معناه.

يا مكة الفاجر مكي مكا

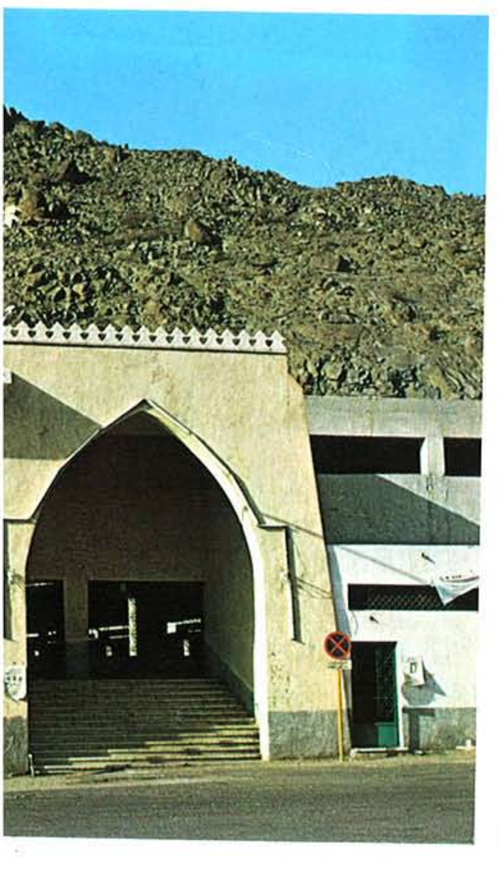
ولا تمكي مذحجا وعكا.

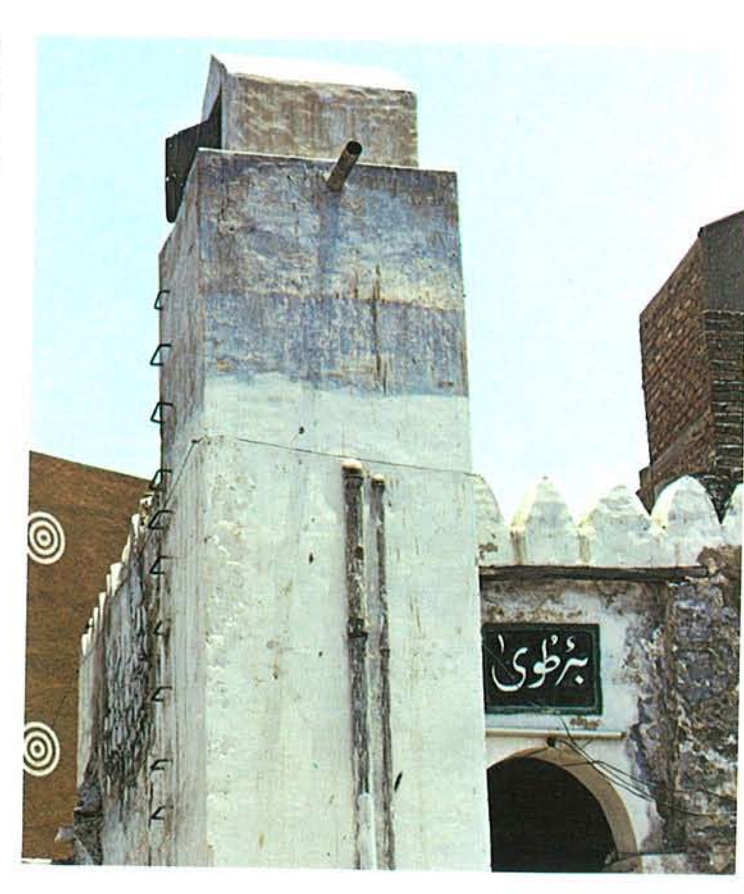
وقيل انها تمك الفاجر عنها اي تخرجه. وقيل كانها تجهد اهلها مأخوذة من قولهم تمككت العظم اذا اخرجت مخه والتمكك الاستقصاء. وقيل لانها تجذب الناس اليها من قول العرب امتكَ الفصيل ضرعاً. اذا امتصه ولم يبق منه شيئا. وقيل لقلة مائها وقيل لانها تمك الذنوب اي تذهب بها ومكة لا تتصرف للعملية والتأنيث ..

بكة: واختلف في معنى تسميتها (بكة) وقد ورد في القرآن الكريم (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) سورة آل عمران

وقيل انها سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة. اذا ألحدوا فيها اي تدقها والبك الدق او انها تبك اعناق الجبابرة او تدقها. ما قصدها جبار بسوء الا قصمه الله وقيل لازدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضا اي يزحمه في الطواف قال ابن عباس وقيل انها تضع من نخوة المتكبرين. وعن ابن جريج انما سميت بكة لتباك الناس قدام الكعبة. ويقال انما سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة. وقول صاحب (التاريخ القديم) لا يبعد ان يكون بكة ومكة بالباء والميم اسمان على مسمى واحد وهو (البلد الامين) الذي فيه وادي ابراهيم عليه الصلاة والسلام .. ويقول الشيخ محمد طاهر الكردي ولا يبعد ان يكون (بكة) بالباء – هو ما بين الاخشبين (جبل ابي قبيس وجبل قعيقعان) وهما متقابلان قريبان من بعض. والكعبة المشرفة تقع بينهما. ومكة (بالميم) هو نفس البلدة الطاهرة.

ام القرى: اخذا من قوله تعالى (لتنذر ام القرى ..) الآية واختلف في تسميتها فقيل لانها اعظم القرى شأنا. وقيل لان فيها بيت الله. ولما جرت العادة بان الملك وبلده مقدمان على جميع الاماكن سمي اما لان الام متقدمة وقيل لانها قبلة تؤمها جميع الامة. وقيل لانها اقدم الارض. وقيل





بئر طوى .. تقع حاليا في «جرول» وقد توضأ منها الرسول الكريم يوم جاء مكة معتمرا.

مسجد الراية .. ركز فيه الرسول الكريم الراية يوم فتح مكة.

لان فيها بيت الله تعالى.

القرية: قال تعالى في سورة النحل «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ..» والقرية اسم لما تجمع جماعة كثيرة من الناس من قولهم قريت الماء في الحوض اذا جمعته فيه ويقال للحوض مقراة.

البلد: قال تعالى في سورة البلد «لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد» الاية قال وفي التفسير (لا) صلة (اقسم بهذا البلد) مكة (وانت) يامحمد (حل) حلال (بهذا البلد) بان يحل لك فقال فيه وقد انجز الله له هذا الوعد ... يوم الفتح وقال ابن عباس هي مكة وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هي مكة والبلد في اللغة الصدر اي صدر القرى ..

البلد الامين: قال الله تعالى في سورة (التين) «والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين» وجاء في التفسير (تفسير الامامين الجلالين) – وهذا البلد الامين (مكة لان الناس فيها جاهلية واسلاما.)

البلدة: قال تعالى في سورة (النمل) «انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شئ وامرت ان اكون من المسلمين» فقيل انها مكة وفي التفسير (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرمها) جعلها حرما امنا لا



يسفك فيها دم الانسان ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم على قريش اهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب .. والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب) .. وقال ياقوت في معجم البلدان (باب) ثلاثة مواضع ، الاول في قوله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور) اراد بها مكة.

معاد: (بفتح الميم) قال الله تعالى في سورة (القصص) «ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد. قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال



مبين.» صدق الله العظيم .. والى معاد اي مكة كما في صحيح البخاري وعن ابن عباس قيل (لرادك الى معاد) الى مكة (وفي تفسير الجلالين (لرادك الى معاد الى مكة وكان (ص) قد اشتاقها ..

الوادي: قال الله تعالى في سورة (ابراهيم) «ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم» الآية وهنا (بوادي غير ذي زرع) هو مكة.

الحمس: الحمس او قرية الحمس الذين هم قريش ويقول صاحب الجامع اللطيف (اللهم الا ان تكون تسمية مكة بقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس منقولة عن اهل اللغة فلا يقاس عليها غيره، لكن في تسمية مكة بقرية الحمس الذين هم قريش دون من ذكر من العمالقة وجرهم وغيرهم من سكانها قبلهم او في دليل على فضل قريش ومزيد شرفهم وذلك لتميزهم بكونهم اهل الله وتسميتهم بذلك وهم في حال الشرك لما ورد في حقهم من الآيات والاحاديث والاخبار .. وان منهم سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم والحمس من اسماء مكة التي ورد ذكرها في غير القرآن ومن ذلك تسمية مكة ايضا بهذه الاسماء:

الناسة: ومعنى الناسة انها تنسى من الحد فيها اي تطرده وتنفيه.

النساسة: النساسة بالنون وتشديد السين الاولى والمعنى في ذلك كالمعنى في الناسة.

الحاطمة: لحطمها الملحدين.

صلاح: وسميت بذلك لامنها، وقد جاء قول سفيان ابن حرب لابن الحفربي:

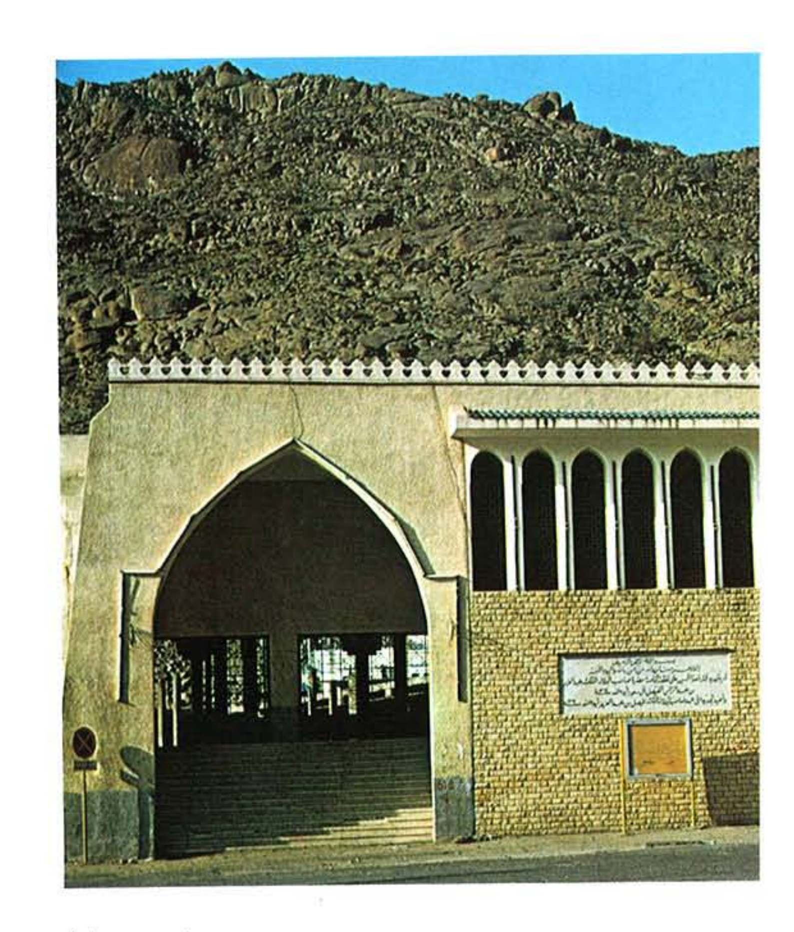
آبا مطر هلم الى (صلاح) فيكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديما وتأمن ان يزورك رب جيش

القادس: مأخوذ من التقديس اي التطهير يعني انها تطهر من الذنوب.

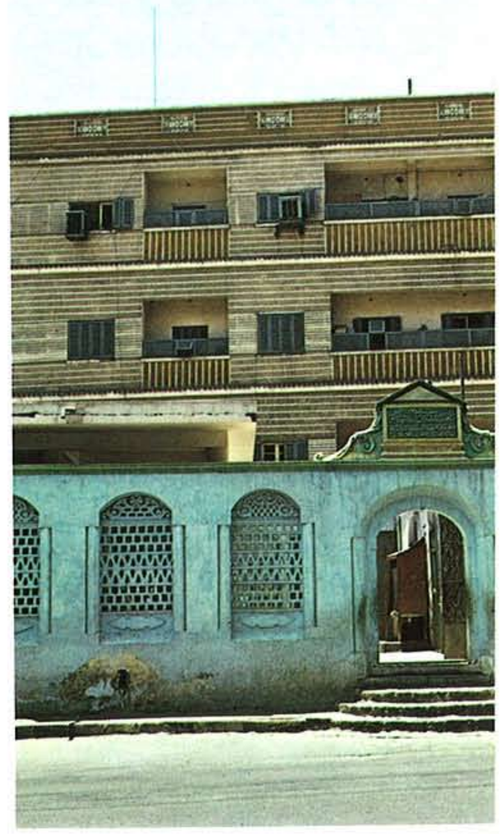
كوشي: قيل باسم بقعة منها منزل بني عبد الدارا ومن ان كوشي في ناحية قعيقعان وقيل ان كوشى بمعنى جبل بمنى.

المسجد الحرام: ولعله مأخوذ من قوله تعالى: (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) الآية

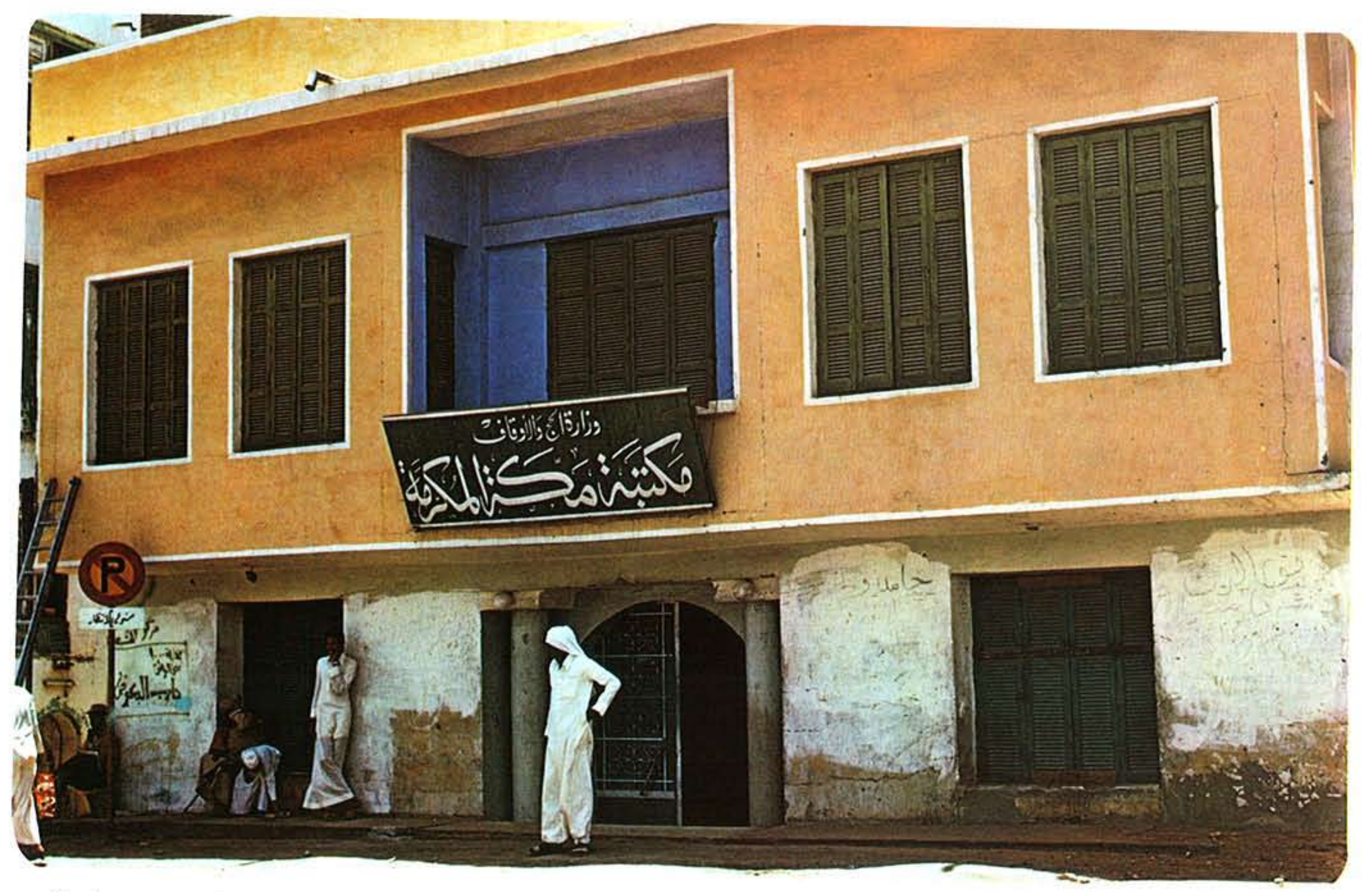
البيت العتيق: وذلك من تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز وشائع ولكن يرد في ذلك تسمية مكة باسماء



مسجد الخيف .. صلى فيه سبعون نبيا.



مسجد الجن .. فيه انزلت آيات من سورة الجن.



المكان الذي كانت به الدار التي ولد فيها الرسول الكريم

الكعبة كلها اذا لحظ هذا المعنى.

الرأس: قيل لانها شرق الارض كرأس الانسان فانه اشرف اعضائه.

المكتان: ولعل ذلك مأخوذ عن قول ورقة ابن نوفل الاسدي:

ببطن المكتين على رجائي   حديثك انى راى منه خروجا

وقال السهيلي بعد ان ذكر هذا البيت (كما ورد في الجامع اللطيف) مثنى مكة وهي واحدة لان لها بطاحا وظواهر وانما مقصد العرب في هذه الاشارة الى اعلى البلد واسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المعنى.

ومن شعر عبدالله بن سعد بن ابي سرح القرشي في حصار عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ارى الامر لا يزداد الا تفاقما   وانصارنا بالمكتين قليل
واسلمنا اهل المدينة والهوى   الى اهل مصر والدليل دليل

ام رحم: لان الناس يتراحمون فيها ويتواعدون.

ام زحم: من الازدحام.

الباسة: لانها تبس الملحد فيها اي تهلكه من قوله تعالى (وبس الجبال بسا).

الناسة: لانها تنس الملحد اي تطرده وقيل لقلة مائها والنس قرية النمل ونقرة الغراب كلاهما علامتان لموضع زمزم من امر عبد المطلب بحفرها وعدهما بعضهم اسمين مجازا ومن اسماء مكة كذلك هذه المجموعة التي وردت في كتب المؤرخين:

العرش – العريش – المقدسة – القادسة – الحرم – البره – المعطشة – الرتاج – ام صبح – ام روح – ساق – النابيه – طيبة – سبوحة – السلام – العذراء – ام موثى – الناشة – الباسة – نادره – العروض – السيل – مخرج مدق – ام رحمن.

وحسبنا الان ان نشير الى نظم القاضي ابو البقاء ابن الضياء الحنفي رحمه الله حيث نظم سبعة ابيات جمع فيها من اسماء مكة شرفها الله نحو ثلاثين اسما وهي:

لمكة أسماء ثلاثون عددت
    ومن بعد ذلك اثنان منها اسم بكة
صلاح وكوثى والحرام وقادش
    وفاطمة البلد العريش بقربه
ومعطشة ام القرى رحم ناسة   وناسه راس بفتح الهمزة

مقدسة والقادسة وناسة وراس رتاج كام كوثى كبرة
سبوحة عرش ام رحمان عرشنا كذا حرام البلد الامين كبلدة
كذاك اسمها البلد الحرام لام-
ـها وبالمسجد الاسنى الحرام تسمت
وما كثرة الاسماء الا لفضلها
حباها به الرحمن من اجل الكعبــة

مســاجد مكــة

عرفت مكة بعد الاسلام مجموعة من المساجد التي تمثل اليوم اهم الآثار الاسلامية فيها ومن اشهر هذه المساجد:

مسجد الراية:

وقد صلى فيه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كما ركز فيه الراية يوم فتح مكة وقد عمره عبدالله بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله العباس كما عمر عام ٦٤٠ م وعام ٨٠١ ويقع حاليا في شارع الغزة امام عمارة الجفالي.

مسجد الخيف:

في منى وقد صلى فيه سبعون نبيا .. وفيه قبر سبعين نبيا وقيل ان فيه قبر آدم عليه السلام

مسجد الاجابة:

صلى فيه النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ويقع اليوم بالمعابدة.

مسجد الكبش:

في منى وسمي كذلك بالكبش الذي فدى به اسماعيل بن ابراهيم.

مسجد التنعيم:

وهو عند حذود الحرم شمال مكة الغربي وفيه اعتمرت السيدة عائشة ام المؤمنين ويذكر بعضهم غيره في طريق وادي فاطمة .. ولكن اكثر الروايات تؤكد المسجد المعروف.

مسجد الجن:

ويقع قبيل الحجون بالمعلاة وفيه انزلت الآيات من سورة الجن.

مسجد البيعة:

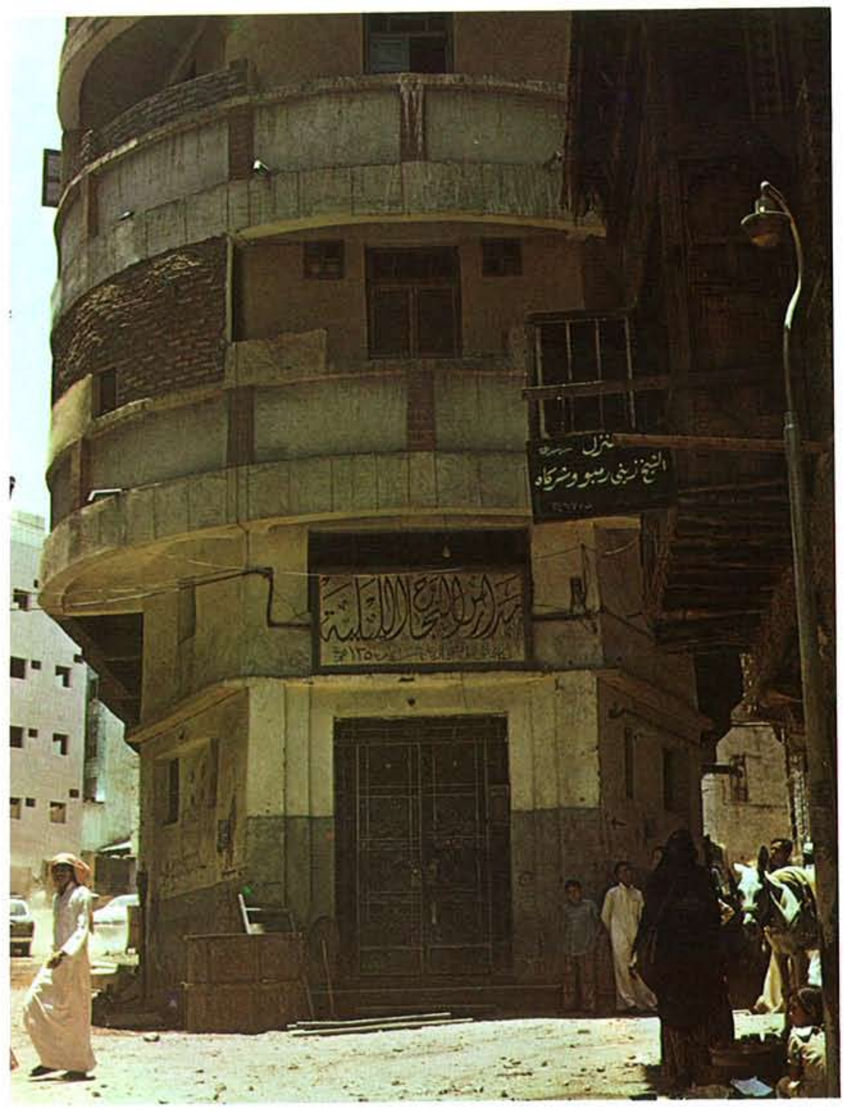
يقع على امتار من منى على يسار الداخل اليها مما يلي المعابدة قرب جمرة العقبة وفيه بايع النبي صلى الله عليه وسلم الانصار بحضرة العباس بن عبد المطلب.

مسجد الفتح:

صلى فيه الرسول الكريم ويقع قرب الجموم من وادي فاطمة.

مسجد الكوثر:

وهو مسجد صغير يقع وسط منى. وفي احد المنعطفات المتصلة بشارع الجمرات على يمين القاصد الى عرفات ويقال ان سورة الكوثر نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم.



شعب علي حيث الدار التي ولد بها الامام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه.

مسجد ابي قبيس:

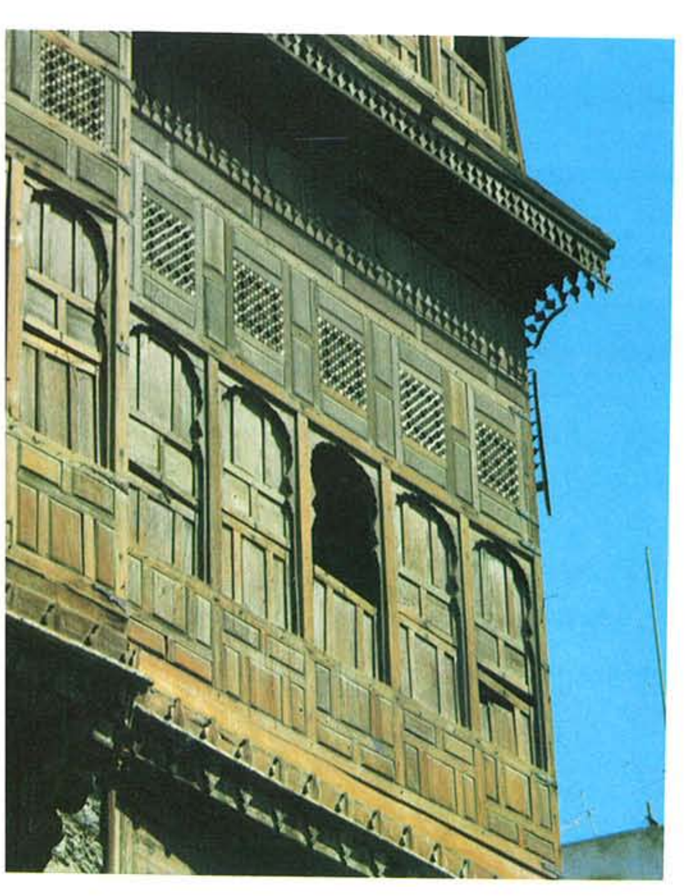
حيث حدث انشقاق القمر ويقع على جبل ابي قبيس.

مسجد خالد ابن الوليد:

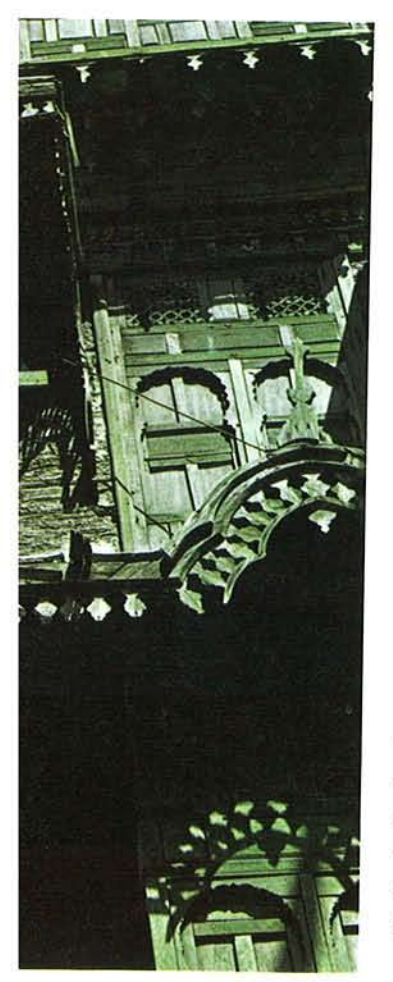
بحارة الباب.

مسجد ذي طوى:

وفيه صلى النبي صلاة الفجر ويقع اليوم بجرول



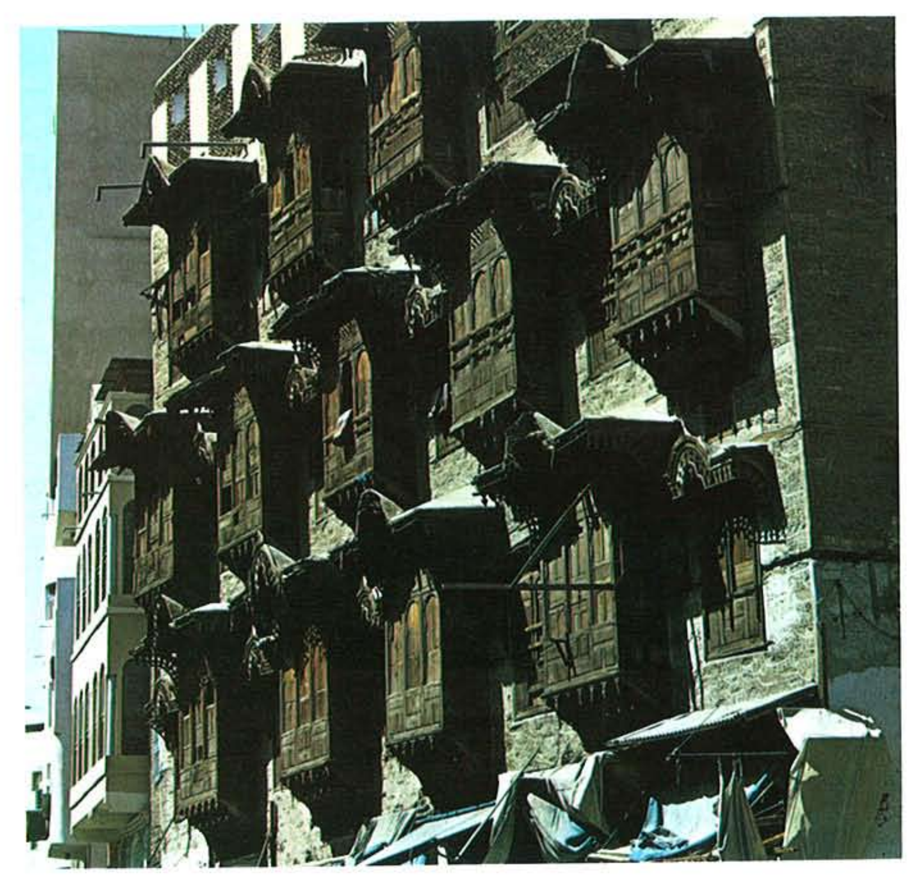
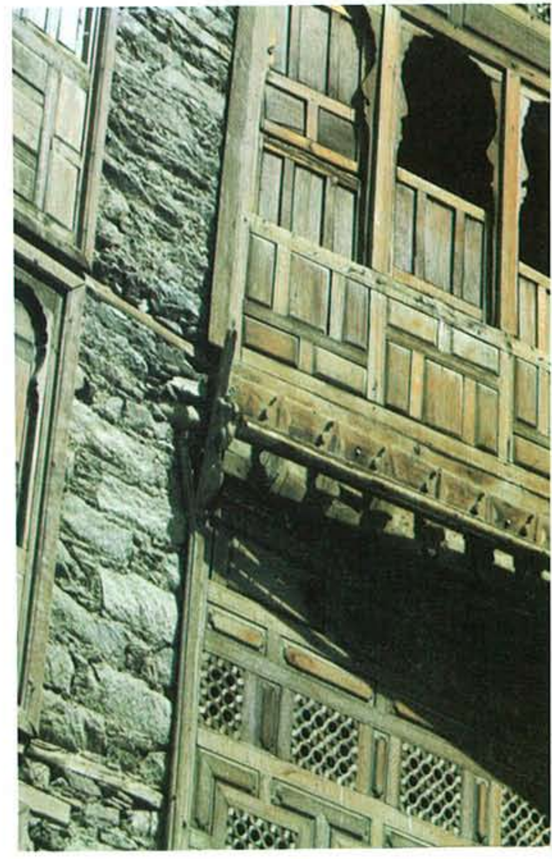
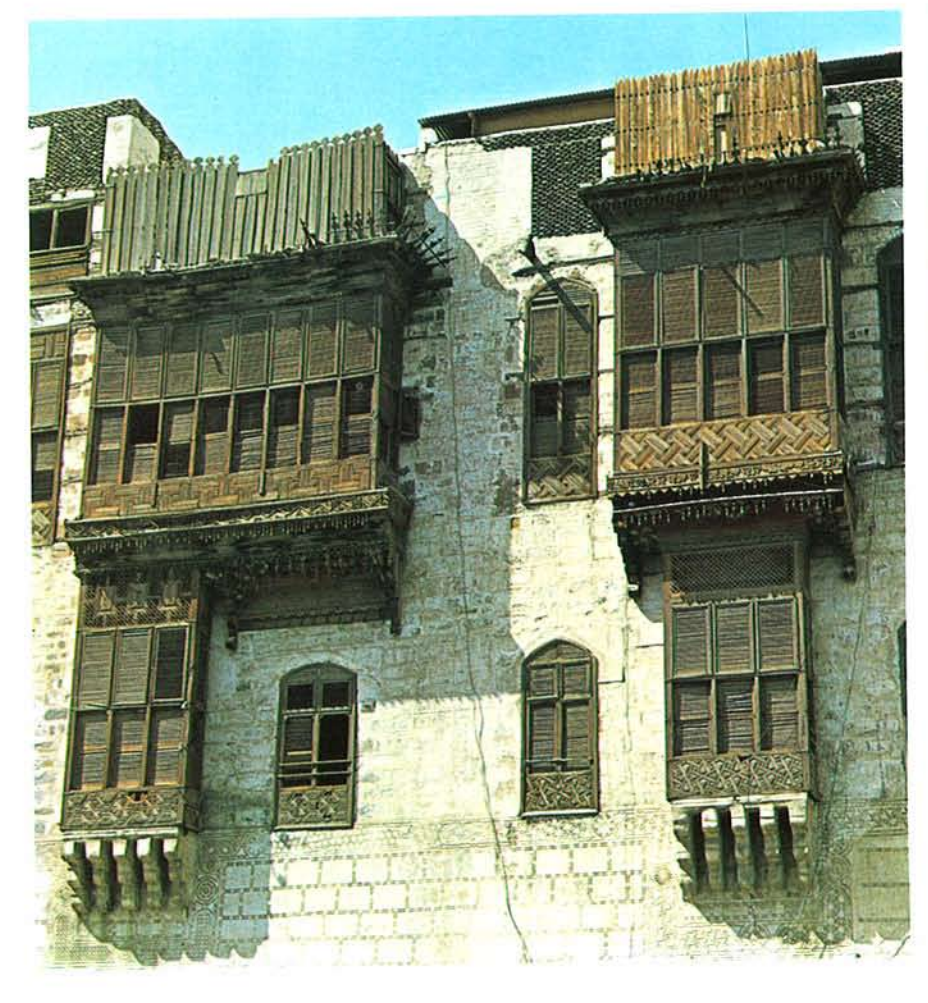




تتميز منازل مكة المكرمة القديمة بالرواشين التي تعطي للمنزل شكلا جذابا .. وقد تفنن اهل مكة في تصميم رواشين منازلهم فاتخذت اشكالا مختلفة (كما هو واضح في الصور) .. والروشان عبارة عن بروز في واجهة المنزل مصنوع من الخشب .. ويطلى احيانا ببعض الألوان .. وهو يشكل مجموعة من النوافذ التي لها خصائص تسمح للهواء بالتسرب من اجل تهوية الغرف. في مصر يسمون الرواشين «مشربيات» مفردها مشربية .. وقد عرفت بأنها «برج ذو نوافذ خشبية بتصميم زخرفي يتخللها الهواء لتبريد اواني الشرب وترطيب الغرف .. وقد كثرت في عصر المماليك».

ويعتقد البعض ان كلمة روشان ليست عربية .. وهي اقرب الى التركية على اساس ان ظاهرة الرواشين في الاصل تركية مع ان الفيروز ابادي اورد في القاموس المحيط – الجزء الرابع ان الروش هو الكوة .. وفي تفسير مادة الراشن يقرب من مفهوم الروشان.




جبـال مكـة المكرمـة

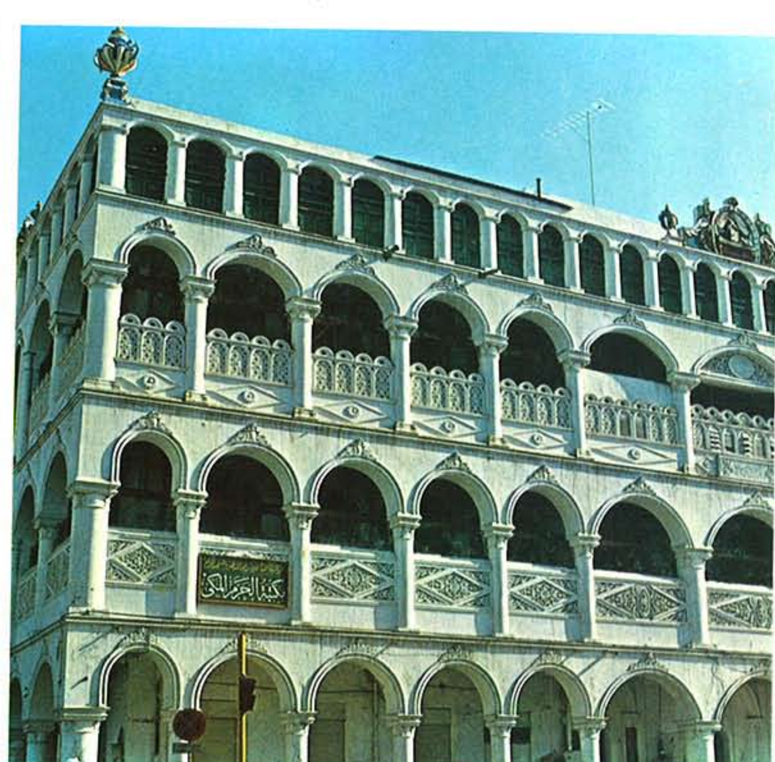
ذكرنا ان مكة تحيط بها الجبال: .. هذه الجبال التي شهدت كل احداث مكة قبل الاسلام وبعده فاكتسبت اهمية تاريخية ومن اشهر هذه الجبال:

ابي قبيس: بلفظ التصغير (كانه تصغير قبس النار) ويشرف على الكعبة من الشرق وجهه الى جبل قعيقعان في الغرب ومكة بينهما وقيل سمي باسم رجل من مدحج كان يكنى ابا قبيس لانه اول من بنى فيه قبة .. ابو المنذر هشام (ابو قبيس): «الجبل الذي بمكة كناه آدم عليه السلام بذلك حين اقتبس منه هذه النار التي بأيدي الناس الى اليوم» وقيل ان الحجر الاسود كان مستودعا فيه عام الطوفان .. وقيل ان في هذا الجبل انشق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم حسب رواية ابن مسعود فيما ذكر الفاكهي .. وهو أحد أخشبي مكة المكرّمة .. وارتفاعه ٤٢٠ مترا.

قعيقعان: (جبل هندي حاليا) ويقابل ابا قبيس ويقابل من الكعبة المشرفة ما بين الركن العراقي .. والميزاب وهو احدا خشبى مكة و ارتفاعه ٤٣٠ مترا.

ثور: جبل ضخم يقع اسفل مكة (جنوبا) وقد سمي ثورلأن ثور بن عبد مناة ولد عنده فنسب اليه: وهذا الجبل اصعب ارتقاء من جبل حراء .. عال .. وشامخ وليس حول مكة اعلى منه وبه غار ثور الذي اختفى فيه الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يوم خرج مهاجرا الى المدينة المنورة مع صاحبه ابي بكر الصديق رضى الله عنه وقد اشار اليه القرآن الكريم في الآية الكريمة (الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) سورة التوبة .. وارتفاع هذا الجبل ٧٥٩ مترا.

حراء (النور) وهو جبل شامخ يقع شمال مكة على يسار الذاهب الى عرفات وقد اورد ياقود في معجمه انه على ثلاثة اميال من مكة وانه جبل شامخ اعلى من جبل ثبير وفي اعلاه قمة شامخة. وفي ميسرة القمة غار حراء. وجبل حراء يعرف اليوم باسم جبل النور وهو في ضاحية مكة على بضع كيلوات منها يصعب صعوده .. وبه (غار حراء) الذي كان الرسول الكريم يتعبد فيه قبل البعثة وبه نزلت أول سورة من القرآن الكريم (اقرأ باسم ربك الذي خلق ..) الاية وارتفاع هذا الجبل ٦٣٤ مترا.





مظهران من مظاهر البناء الحديث والوسيط في مكة

الخندمة: بالقرب من جبل ابي قبيس ويقال ان في الخندمة قبر سبعين نبيا، وتوجد جبال اخرى مثل جبل عمر (٤٢٥ مترا) وجبل الحفائر (٣٥٠ مترا) وجبل ثبير .. وثنية كدا.

الدور الاثرية

دار النبي:

حيث ولد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ويقع بشعب عامر شرقي مكة. وقال الازرقي في كتابه (تاريخ مكة): ان البيت الذي ولد فيه الرسول (ص) هو في دار محمد بن يوسف الثقفي اخ الحجاج وكان عقيل بن ابي طالب اخذ من الرسول الكريم داره لما هاجر: ولم تزل الدار بيد عقيل وولده حتى باعها ولده محمد ابن يوسف الثقفي فادخلها في داره التي يقال لها البيضاء .. وعرفت بدار ابن يوسف وبقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران ام الخليفتين هرون سنة ١٧١ هـ فجعل دار الرسول مسجدا يصلى فيه وفصلته عن دار ابن يوسف وفي مكانه اليوم مكتبة مكة المكرمة.

دار خديجة بنت خويلد:

وتقع بزقاق الحجر بمكة: ويقال له ايضا زقاق العطارين وزقاق الصاغة كما يسمى اليوم وذكر الازرقي ان الرسول عليه الصلاة والسلام بنى بخديجة فيها وانها توفيت فيها ولم يزل الرسول الكريم ساكنا بها حتى هاجر الى المدينة وقد ولدت بهذه الدار فاطمة رضي الله عنها واخوتها من خديجة واصبحت الدار اليوم مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.

دار الارقم ابن ابي الارقم المخزومي:

وتسمى دار الارقم .. او دار الخيزران كان يجتمع فيها المسلمون سرا يتعلمون الدين .. ويقيمون الشعائر حتى اسلم عمر بن الخطاب وعز الله به الاسلام فجهر المسلمون بدينهم .. وفيها اسلم عمر .. ثم صارت هذه الدار للخيزران اهداها اليها المهدي بعد ان اشتراها المنصور من اولاد الارقم. وكانت هذه الدار في زقاق على يسار الصاعد الى الصفا .. وبابها يفتح الى الشرق وقد دخلت اخيرا في مشروع توسعة الحرم المطلة على باب الصفا.

دار مولد علي:

وتقع بشعب علي وهي الدار التي ولد فيها الامام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه.

دار الهجرة:

○ وهي دار ابي بكر الصديق وتقع بالمسفلة خلف شارع ابراهيم ومكانها الان مسجد.

○ الدار التي ولد فيها حمزة بن عبد المطلب عم النبي وهي قريبة من باب اليمن.

○ الدار التي ولد فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجبل الذي يسميه اهل مكة (التوبى)

دارا ابي سفيان:

على يمين الصاعد من المسعى قبيل المدعى كما ذكره بعض المؤرخين وفي مكانها كانت الدار التي جعلها النبي (ص) مامنا لقريش يوم فتح مكة فقال: «من دخل دار ابي سفيان كان آمنا»

مدارس مكة وآبارها وعيونها

روى المؤرخون انه كانت في مكة المكرمة (١١) مدرسة موقوفة .. كما كان يوجد بها ٥٨ بئرا داخل اسوارها اما العيون فذكروا انها كانت كثيرة لكنهم لم يذكروا عددها ولم يبق منها حاليا الا عين زبيدة[٥].

بئر زمزم:

اول من اظهرها الامين جبريل عليه السلام سقيا لاسماعيل عليه السلام عندما ظمى ولو لم تخوض عليه ام اسماعيل كانت عينا تجري على ما في البخاري. وذكر الفاكهي ان الخليل عليه السلام حضر زمزم بعد جبريل عليه السلام ثم غبها عليه ذو الفرس وقد غيبت بعد ذلك زمزم لاندراس موضعها ثم منحها الله تعالى عبد المطلب جد النبي (ص) لكرامته فحفرها بعد ان اعلمت له في المنام بعلامات استبان له موضعها فلم تزل ظاهرة حتى الان وعولجت في الاسلام غير مرة ولزمزم اسماء كثيرة ذكرها الفاكهي منها ستة وعشرون اسما كما ان لها فضائل مروية عن النبي (ص) منها: خير ماء على الأرض زمزم.

هذا غيض من فيض .. ووشل من بحر .. وتاريخ مكة المكرمة رحب .. وضارب في اعماق الآف السنين.

(٥) راجع كتاب (شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز) تأليف الزركلي جـ ٣ ط بيروت ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م عن عين زبيدة.

سيول مكة التاريخية

حصلت من قديم الزمان بمكة عدة سيول اضرت بها ضرراً عظيماً وأشهرها سيول السنوات التالية: ٨٠، ١٠٤، ٢٠٨، ٢٥٣، ٣٤٩، ٥٥٩، ٥٧٣، ٦٥٠، ٦٦٩، ٧٣٣، ٧٣٨، ٧٥٠، ٨٠٢، ٨٢٥، ٩٧١، ١٠٢١، ١٠٢٤، ١٠٣٣، ١٠٣٩، ١٠٧٣، ١٠٩١، ١٠٩٣، ١٣٢٥.

المراجع

١-ابراهيم رفعت:
مرآة الحرمين او الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ ١٩٢٥

٢-ابن ظهيرة:
جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين ابن ابي بكر بن علي .. الجامع اللطيف في فضل مكة (وأهلها) وبناء البيت الشريف - القاهرة - دار احياء الكتب العربية ١٣٤٠ هـ. ١٩٢١ م. ٤١٣ ص.

٣-الازرقي:
محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - تأليف الازرقي - صممه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه رشدي الصالح ملحس - مكة المكرمة - المطبعة الماجدية. ١٣٥٢هـ - ٢ جـ في ٢ حم.

٤-الفاسي:
محمد بن احمد بن علي بن محمد .... - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - القاهرة - مكتبة النهضة الحديثة ° ١٩٥٦ م - ١ و ٢ جـ ٢ مج.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الامين - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ٧٩ هـ - ٢٥٩ حـ ١.

٥-محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي
التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم - مكة المكرمة مكتبة النهضة الحديثة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م - ٤جـ في ٤ مج

٦-محمد لبيب البتنوني:
الرحلة الحجازية. ط ٢ القاهرة مطبعة الجمالية ١٣٢٩ هـ - ٣٣٤ ص

٧-حسن - د. حسن ابراهيم حسن
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة حـ ١ ط ٨-١٩٧٤ م.

المسافات بين مكة المكرمة ومدن وبلدان المملكة الاخرى

مكة المكرمة الرياض ٩٨٩ كم
المدينة ٤٤٧ كم
جدة ٧٢ كم
الظهران ١٤٤٢ كم
الدمام ١٤٥٦ كم
الخبر ١٤٢٥ كم
الخرج ١٠٧٣ كم (عن طريق الرياض)
نجران ٨٩٨ كم
النعيرية ١٦٣٠ كم (عن طريق الظهران)
الهفوف ١٣١٧ كم
ينبع البحر ٤٢٠ كم (عن طريق جدة)
ابقيق ١٣٤٥ كم
أبها ٦١٠ كم (عن طريق الطائف)
أبو حدرية ١٥٨٠ كم (عن طريق الظهران)
بدنة «عرعر» ٢٤٦٠ كم (عن طريق الظهران)
بريدة ٩١٥ كم (عن طريق الطائف)
تبوك ١١٣٣ كم
جيزان ٨١٩ كم
حائل ٨٩٤ كم
خريص ١٠٢٠ كم
رأس تنورة ١٤٨٥ كم
رفحة ٢١٨٠ كم (عن طريق الظهران)
السفانية ١٧٠٠ كم
سلوى «قطر» ١٤٧٣ كم
السليل ١٥٤٥ كم (عن طريق الرياض)
الطائف ٨٨ كم
طريف ٢٧٢٢ كم (عن طريق الرياض)
العمانية ١١٧٠ كم
العضلية ١١٨٠ كم
عنيزة ٩٦٥ كم
عين حرض ١٤١٠ كم (عن طريق العضلية)
القطيف ١٤٤٥ كم
القيصومة ١٨٨٠ كم (عن طريق الظهران)

الوطن العربي

للشاعر:
د. عبده بدوي



تقدّم على موجةٍ من حنينٍ وقَبِّلْ معَ الفجر مَجْد الوطنْ
وآباءنا في جُفون الْحقُولْ يَشُقُّون بالفأس قَلْبَ الزّمن
وأطفالَنا يَسْبِقُون الطّيور ويختبئونَ بريش الْفَنَنْ
وأبطالَنا في الذُّرى صامدينْ وفي وجْهِهِمْ ذكْرياتٌ تئنْ!
وَعزْماً يُجلجل فوق السّحاب ويركز للحقّ فجراً أغنْ!

* * *

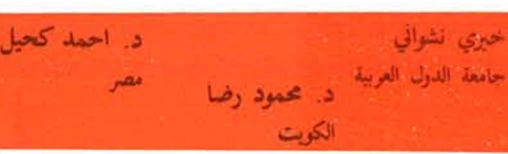
بلادي .. ما أنتِ إلاّ الحْنان وإلاّ خُطى النّور في الأنْفُس
عَشِقْتُك لا أمة غرَّدتْ وأخرى هنالك لم تَهْمس
ولكنْ من النّور عند «الخْليج» أحبُّك – يأمّ – للأطْلسي
فمن راحتَيْك نهلتُ الحْنان وما زلْتُ من هَدْبه أحتَسي
إلى أنْ غدوتُ وفي خاطري صباحٌ رحيبُ الرُّؤى مُؤنسي!

* * *

هنا الشّرْقُ قام يهزّ الجناح وَيهْزجُ بالأمل الطّيِّب
ويغرُس أنى تمشّتْ خطاهُ ضياءً بقلب الدُّجى المتْعَب
أغاريدهُ وشَّحَتْ لهفتي وَمُدّتْ برفْق على منكبي
وأعلامُه أوْرَقَتْ في السَّماء ورفَّتْ على فجْره المعْشب
لقد كان ضَعْفاً وشيخُوخةً وها هو زَحْفٌ! وفجر صبي!

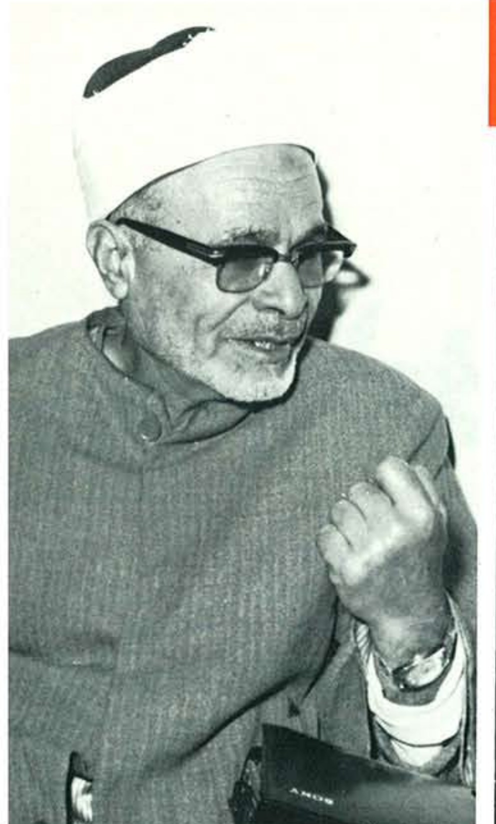
* * *

غداً سوف تورقْ كلَّ النفوس وَتحْنو بأحلامها الزَّاهرة
وَتخفْق أجنحةٌ للسلام على صَدْرِ أيّامنا السَّاحرة
ويجتمعُ الشّرْقُ في فكرةٍ كما جُمِّعَ الْهُدْبُ في دائرة
لقد ألقيتْ بذرةٌ من ضياء فدبَّتْ أغاريدها الغائرة
بأعماقِها عربٌ سائرون إلى وحدةٍ حرَّةٍ قاهرة!


د. احمد كحيل
مصر

د. محمود رضا
الكويت

خيري نشواني
جامعة الدول العربية











مبارك جنيد
البحرين

د. شكري فيصل
سوريا

عبد الله الغزالي
موريتانيا

أبناؤنا.. واللغة العربية

○ أسباب ضعفهم في اللغة ○ ووسائل معالجة هذا الضعف

د. محمد باكلا
السعودية



اشترك فيها:

- د. محمد حسن باكلا
- خيري نشواتي
- د. شكري فيصل
- محمد جواد رضا
- د. احمد حسن كحيل
- مبارك علي جنيد
- عبدالله يوسف الغزالي

إعداد: محمد مبارك

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واللسان الذي حفظه الله مع الذكر الحكيم، لترتبط به امة العرب، ويحفظ به تراث الاسلام، والاهتمام باللغة العربية ينبع من عقيدة دينية، ثم من عاطفة وطنية وقيم حضارية وضرورات اجتماعية.

والفيصل في قيمة اللغة هو مقدار ما تحمله من حضارة، وذلك يعني ان الناطقين باللغة هم الذين يرفعون من قيمتها او يقللون من شأنها، ولا يكون رفع قيمة اللغة بالافراط في مدحها ولكن بتطويعها لمتطلبات العلم والحضارة مع الابقاء على شخصيتها ومواطن الجمال فيها. وقد شاء العلي القدير جلت حكمته ان تختلف السنة البشر فاختلفت بذلك ثقافتهم وفنونهم ونتج من ذلك وبمرور الزمن اختلاف تراثهم.

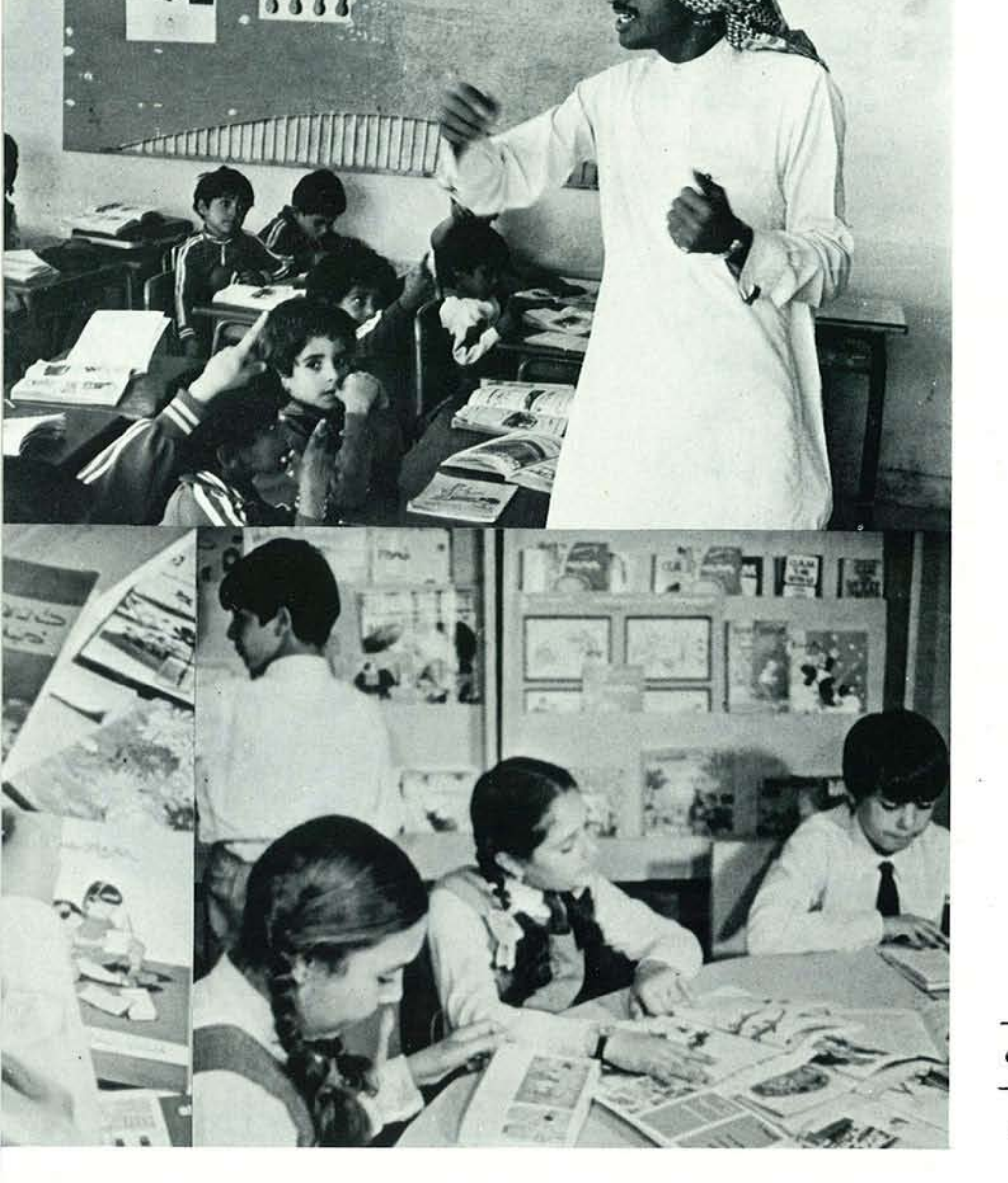
ولم تحتفظ كل اللغات التي عرفها الاقدمون ببقائها، فقد اندثر الكثير منها باندثار حضارة الناطقين بها مثل الهيروغليفية، والانجليزية والفرنسية وغيرهما من اللاتينية وتطورت كل منها في اتجاه فاصبح لها خصائصها المميزة.

وهناك فرق شاسع بين اللغة التي كتب بها شكسبير والانجليزية المعروفة الآن مع قصر الفترة الزمنية بينهما (٣٨٠ سنة) ولكن لغتنا العربية ظلت محتفظة بقوامها قبل ١٤٠٠ عام .. فمن منا لا يستطيع ان يفهم الآن قول «الحطيئة» وهو الشاعر المخضرم الذي عاصر الجاهلية وصدر الاسلام.

ولست ارى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد
ومالابد ان يأتي .. قريب ولكن الذي يمضي بعيد

تنمية وعي القراءة لدى الطفل

بقلم : يعقوب الشاروني



أصبحت القراءة في نظر المدنية الحديثة لها نفس الاهمية الحيوية التي للمشي او النظر أو الكلام، والذي يقرأ، ويفهم ما يقرأ في سرعة كبيرة، يمكن أن ينهي من الاعمال أضعاف ما ينهيه القارئ العادي.

والقراءة هي أساس التعلم بمعناه المعروف، فالشخص الذي يقرأ، شخص نام وقادر على استمرار النمو. فالقراءة مظهر هام من مظاهر الشخصية، وهي عامل هام من عوامل نموها.

وبالاضافة الى هذا، فالقراءة مفتاح أساس من مفاتيح المعرفة، تفتح أمام الانسان آفاقاً واسعة شاسعة.

والطفل في العصر الحديث يبدأ تعلم القراءة منذ طفولته الاولى، لكنه لا يتعلمها منذ سنواته الاولى بالصورة التي نعرفها، انما يستعد لها. وكما أن الطفل لا يتعلم الجري الا اذا استعد له في مراحل المشي، ولا يتعلم المشي الا اذا تكون عنده الاستعداد لتعلمه، فانه لا يتعلم القراءة الا اذا تكوّن عنده الاستعداد لتعلمها.

الطفل .. والكتاب

ومن هنا، كان الاهتمام بكتاب

المختلفة التي تهتم بالمضمون في معظم برامجها ولا تهتم باللغة وقواعدها.

ومن المعروف ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تضع اللغة العربية ونشرها، والتراث العربي الاسلامي وحفظه واحياءه في المنزلة الأولى من انشطتها ومشروعاتها وان الاجهزة والمعاهد المتخصصة في المنظمة تنهض بتنفيذ هذه المهام ضمن خطط وبرامج زمنية محددة وعلى مستوى الوطن العربي والعالم الاسلامي والدول الاجنبية».

اعداد المعلمين

اما الدكتور محمد حسن باكلا وكيل معهد اللغة العربية بجامعة الرياض فيركز على اعداد معلمي اللغة العربية ويقول:

«لا تزال التسميتان المترادفتان «معلم اللغة العربية» و «مدرس اللغة العربية» موضوع هزء واحتقار الكثيرين من المتعلمين والمثقفين. وبالرغم من تشجيع المدرسين واعدادهم اعدادا صحيحا ولائقا بمكانتهم الا ان هذا التشجيع والاعداد تنقصهما حلقات كثيرة من الدراسة والبحث للتعرف على نواحي الضعف والعجز والقصور كما وكيفا، ومعالجة هذه الأمور علاجا ناجحا من ناحية، كما ينقصهما المنهج والتوجيه من ناحية اخرى على الرغم من صدق النية في الأخذ بيد مدرس اللغة العربية والرفع بمستواه الى المكان اللائق.

واللغة العربية وقد بلغت شأوا لا يستهان به بين لغات العالم تمر بمرحلة تطور سريع لم يسبق ان مرت به من قبل. فهل اعطينا لهذه المرحلة حقها من الدراسة والبحث خاصة في اعداد المعلمين وتدريبهم؟ وماذا قدمنا للغة العربية حتى الآن من خدمات في سبيل تدريسها وتطوير اساليب التدريس؟ وكيف يمكن ان نربي جيلا من مدرسي اللغة العربية لديه وعي لغوي وادراك موضوعي برسالته نحو مجتمعه وأمته؟ ..

اذا اجبنا على هذه الاسئلة وترجمنا ذلك عمليا .. فأعتقد انه يمكن بسهولة معالجة الضعف الملاحظ من جانب ابنائنا في اللغة العربية».

المشكلة .. عالمية!!

وكانت اجابة الاستاذ محمد جواد رضا عميد كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت (آخر مؤلفاته فلسفة التربية وأثرها في تفكير معلمي المستقبل والتربية والتبدل الاجتماعي في الكويت والخليج) على النحو التالي:

«ان ضعف اللغة ظاهرة عالمية ويشكو منها في الولايات المتحدة الامريكية كما يشكو منها في أوروبا، وعلماء الاجتماع التربويون يعزون الظاهرة الى انتشار وسائل التكنولوجيا في الكتابة ووسائل الاعلام العامة.

فالآن .. الطالب الامريكي بدلا من ان يجود الخط، يأخذ مقررات في تعلم الضرب على الآلة الطابعة فيستطيع ان يضرب في الدقيقة الواحدة اكثر من ٤٠ كلمة، فيكتب اسرع واجمل مما كان يكتب بيده.

ووسائل الاعلام ايضا بدأت تنافس المدرسة كمؤثر تربوي نظرا للدوافع التجارية والاقتصادية حيث اخذت تشيع في الحياة اليومية لغة ميسرة واحيانا رديئة، واحسن ما يمكن ان يلاحظ في حياتنا العربية كثرة المسرحيات العامية واقبال الناس عليها لقربها الى مداركهم، وبهذا تكاد تكون المسرحية المكتوبة بالفصحى لا تجد لها مكانا واذا وجدت فالمشاهدون لها قليلون.

هذا هو البعد العالمي لضعف اللغة عموما .. وكل الدول لديها الحرص في تأصيل لغتها، وآخر ما فعله رئيس وزراء فرنسا الاسبق د. جاك شيراك، ان الف لجنة برئاسة مسيو بوسيه «لغوي فرنسي مشهور ومعاصر» وربطت اللجنة برئيس الوزراء نفسه وطلب اليها ان تتابع اسباب تدني اللغة الفرنسية وكيفية معالجتها.

وأعتقد ان عناية مماثلة يجب ان تعطى للغة العربية على صعد عالية خصوصا وان اللغة العربية وثيقة الصلة بالدين والتشريع وانهما يعتمد في فهمهما وتفسيرهما على البنية اللغوية وأعرابها وهذا ظاهر في المذاهب الاسلامية عموما ..



أما على الصعيد المحلي .. فاني أعزو مشاكل اللغة العربية الى الوضع الاجتماعي الذي أسند الى المعلم والى اللغة نفسها فنحن نعيش الآن في ظل الارتباك الاقتصادي والزيادة في الاسعار في اختلال ميزان القيم الاجتماعية .. فالشباب يفكرون في الوقت الحاضر في تلك العلوم التي تدر عليه مداخيل عالية كالطب والهندسة والتكنولوجيا وما اليها، ولم يعد الاقبال على دراسة اللغة والعلوم المماثلة يضمن مركزا اجتماعيا مشابها في حين انه في العصر العباسي كان الاشتغال

بالعلوم اللغوية يمثل امتيازا اجتماعيا ويستجلب معه منافع اجتماعية من قبل الدولة، فاذا لم يحدث تبدل في هذه النظرة فان المشكلة ستظل قائمة لزمن طويل .. يضاف الى هذا ان اللغويين العرب لم يدخلوا اساليب البحث العلمي الحديثة الى دراسة اللغة العربية واكتفوا في الغالب حتى الوقت الحاضر بتكرار ما فعله الأقدمون .. الامر الذي لم يعد يثير تحديا عقليا لدى الشباب وبهذا فهو يصرفهم عن اللغة او الاهتمام بها».

تعددت الاسباب

أما الاستاذ مبارك على جنيد المرشد التربوي لمشروع التأهيل التربوي في اثناء الخدمة بوزارة التربية بالبحرين، فقد أجاب قائلا:

تعود الاسباب التي ادت الى صعف ابنائنا في اللغة العربية الى الاسباب التالية:

١) ضعف اعداد معلمي اللغة العربية.

٢) عدم تطوير المناهج المدرسية بما يتفق والاتجاهات التربوية الحديثة.

٣) عدم القيام بالمهام الاساسية التي ينبغي ان يكون عليها التوجيه التربوي.

٤) قلة البحوث التجريبية في اللغة العربية.

٥) عدم تعاون الاجهزة الاعلامية في الاهتمام باللغة العربية.

٦) الادارة المدرسية تقف كثيرا موقفا سلبيا في سبيل تطوير اللغة بعد اهتمامها بتحضير الطلاب لتعلم لغتهم وتربية سليقتهم اللغوية.

٧) قد يعود الضعف ايضا الى عدم تطوير الاساليب التعليمية في تدريس التربية الدينية .. مما يعكس النظرة الى عدم الاهتمام بتطوير الاساليب التعليمية في تدريس اللغة العربية ولذلك نجد انه من الصعب على الاجنبي تعلم اللغة العربية لانه سيصطدم بأساليب عقيمة لتعليمها في حين ان العربي يمكنه بسهولة تعلم اللغة الاجنبية لان هناك وسائل ايضاحية وتعليمية تشجع على تعلمها.



المشكلة .. بين التفاؤل .. والتشاؤم

اجاب الدكتور شكري فيصل استاذ كرسي الأدب العربي بجامعة دمشق وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق اجاب على سؤالنا بما يلي:

«في البداية يحسن بنا ان نقول ان مثل هذا السؤال يوحي بان هناك فعلا جوانب من الضعف ولكن يحسن الا ننسى ايضا ان هناك جوانب اخرى تدفع الى التفاؤل والى النظر الى الامر بعين اخرى هي عين الرضا. ولقد تعودنا في الغالب ان نركز على الجانب السلبي باكثر من تركيزنا على الجانب الايجابي فاذا كان هذا من الحذر فلا بأس به اما اذا كان من التشاؤم فان فيه كل اليأس.

لا انكر وجود جوانب من الضعف ولكن الا نستطيع ان نلاحظ كذلك ان الحركات التعليمية في الوطن العربي قد انقذت اجيالا كثيرة ودفعت بها شوطا او اشواطا في طريق المعرفة، وبصورة خاصة في طريق استخدام اللغة العربية وفهم المقروء منها وتذوق ما نستمع اليه. وبالجملة فان اللغة العربية تمضي قدما في طريق الانتشار.

غير ان بعض العوائق تقف في طريق الانتشار وتوحي لنا بان جوانب الضعف هي الجوانب المتغلبة.

ولهذا فاني اوثر ان ننظر الى الموضوع نظرة متعادلة وان نحمد ما تم في هذا السبيل اولا ثم ننظر في بعض سلبياته من جهة اخرى وليس هناك عمل من غير سلبيات ولهذا فان المؤتمرات التي تنعقد لدراسة مشاكل اللغة ومدرسي اللغة العربية مثل ندوة خبراء اللغة العربية التي نظمتها جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية بالاشتراك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال شهر ربيع الاول ١٣٩٧ هـ ١ مارس ١٩٧٧ م انما تعد لمواجهة هذه العيوب ومحاولة القضاء عليها.



هذا اولا .. ومن ناحية اخرى يجب ان نلاحظ ان الضعف في اللغة العربية ليس قاصرا على العرب فحسب. وانما هي ازمة تشمل العالم كله مصدرها في رأيي ان اللغة لها نظام ولها صياغة وتخضع لقواعد وتحتاج الى رعاية هذه القواعد فهي لهذا كله تمثل جملة من القيود، والناس على المستوى العالمي

يعانون نوعا من التفجر ضد كل قيد وتسود بينهم نزعات من الانطلاق هي أثر لجو عالمي سائد.

فاذا جاء الطالب الى الفصل، وجلس يستمع الى درس العربية وهو درس يأمره وينهاه فانه لا يلبث ان يستشعر بعض الضيق، وتكون مهمة معلم اللغة العربية هنا ان يتغلب على هذا الاحساس بالضيق بفطنته وقدرته التربوية واسلوبه الذي ينفذ به الى قلوب هذه الاجيال.

واذا فليست المشكلة خاصة بالطلاب العرب ولكنها في تقديري مشكلة عامة، بعد هذا يأتي شئ آخر فالطالب يشعر وهو بين جدران الصف انه يتعلم اللغة العربية على نحو يختلف قليلا او كثيرا عما يسمعه في البيت والسوق بل وفي المدرسة ايضا، فهناك هذا التعارض بين لغتنا السليمة وبين العاميات التي انحدرت اليها والتي أخذت تغزوها منذ حين بعيد. ولهذا تبدو اللغة وكأنها لغة واحدة ضمن جدران الفصل في حصص اللغة العربية وواحدة اخرى ضمن جدران المدرسة والبيت وفي السوق وما الى ذلك.

ولهذا اعتقد انه لابد ان تكون المعالجة هنا تتناول امتصاص الفروق بين العاميات المختلفة وبين اللغة العربية.

نقطة اخرى في هذا هي ان الطالب يتعلم لغة اجنبية اخرى وبعض هذه اللغات الاجنبية احيانا اسهل في قواعدها من اللغة العربية او على الاقل يكون مدرسها قادرا على نقلها الى الطلاب على شكل أيسر. وهكذا يتعرض الطالب اذن من حيث لا يشعر الى هذين التيارين المتعارضين فيورثه ذلك ايضا بعض الاحساس بالضعف امام استخدام اللغة العربية وقد يقوده الى شئ من النفرة التي لا تمكن المدرسة ان تحقق غاياتها في التعليم.

هذه الجملة من القضايا يمكن ان تكون جوابا مباشرا او غير مباشر احيانا عن اسباب الضعف في اللغة. على ان هناك اسبابا كثيرة اخرى تتصل بان الطالب يتعلم شيئا في المدرسة ولكن لا يحس ان المجتمع من حوله يساعده على متابعة هذا العلم. فما يبنيه معلم اللغة العربية لا يلبث ان يهدمه زميل آخر يدخل الفصل فيتحدث بالعامية، ثم يهدمه ما يسمع في البيت وفي الاسواق، وآخر ذلك ايضا ان وسائل الاعلام ايضا تشارك احيانا في الجانب الايجابي وكثيرا ما تشارك في الجانب السلبي».

اللغة .. بين القاعدة والتطبيق



ويقول الدكتور احمد حسن كحيل رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الازهر واستاذ اللغة العربية بجامعة الامام محمد ابن سعود وله عدة مولفات منها:

- التبيان في تصريف الاسماء.
- دراسات عربية.

«يرجع ضعف ابنائنا في اللغة العربية الى عدة اسباب اهمها عدم اهتمامهم بدراسة القواعد مع التطبيقات، وعدم حفظ القرآن ولوكان هؤلاء الطلبة يلقنون القرآن تجويدا لبرعوا في اللغة العربية.

ولو عني المدرسون بقواعد اللغة واولوها عناية مع ملاحظة الطالب اثناء القراءة والمطالعة وتصحيح الاخطاء وملاحظة حسن التعبير لاجادوا اللغة العربية ولوجدوها اسهل عليهم من سائر المواد.

واللغة العربية ممارسة وقراءة وسماع، أما قواعد فحسب فلا قيمة لها وليست الا عبئا ثقيلا على الطالب يكرهه وينفر منه، واذا كره الانسان شيئا احس بصعوبته وأهمله.

اما عن نشر اللغة والثقافة العربية فوسائل الاعلام تتحمل مسؤولية خطيرة في هذا، فلابد ان نهيئ للطفل وللطالب جوا يستمع فيه الى اللغة العربية الفصيحة في المنزل وهذا يكون بوسائل الاعلام المختلفة، وكما قلت سابقا .. العناية بقراءة القرآن وسماعه مجودا والحرص على القراءة الصحيحة وحفظه من جيد الكلام العربي شعرا ونثرا .. هذا كله يقوم الألسنة ويصلح النطق .. وعلى الاساتذة ان يلتزموا النطق الصحيح اثناء التدريس حتى يكونوا قدوة لطلابهم.

اللغة العربية .. والاستعمار



ويقول الاستاذ عبدالله يوسف الغزالي استاذ التربية بمدرسة المعلمين في نواكشوط بموريتانيا:

«ان هذا الموضوع لا يمكن ان نعالجه الا من الجذر، فيلزم ان نبحث عن اسباب الداء لنضع اصابعنا على الدواء. وارى ان الاستعمار الذي اصيبت به الامة العربية في السابق .. كان

من اهم الاسباب في اضعاف اللغة العربية والحط من شأنها، لأن .. اضعاف المتحدثين بلسان ما في لغتهم يزعزع القيم الثابتة في الامة، واللغة العربية هي الوعاء الحاوي للاسلام والقرآن الكريم.

وقضية اللغة قضية مهمة جدا وحاول الاستعمار ان يشكك فيها وانها ليست لغة تعبير وان العصر عصر تكنولوجيا والمسألة ليست مسألة تراث .. واذكر ان احد الاساتذة الاجانب قال لي ان كلمة اسد وردت باكثر من لفظ، وان القارئ لا يستطيع ان يختار اللفظ المناسب .. فقلت له ان العملية لا تتطلب اكثر من ذوق لغوي بحيث نستطيع رص الكلمات مع بعضها البعض كعقد.

كما اني اعتقد ان عزوف الطلاب عن اقسام اللغة العربية وتعلمها يعد نوعاً من التهرب من الواقع .. فهو ينحو ناحية التقليد للأقوى .. كما قال ابن خلدون:

«المغلوب مولع بتقليد الغالب».

وأرى ان العلاج يقتضي نظرة تقدمية واذا كنا نريد بناء المجتمع العربي فلابد من اعطاء قيمة كبيرة جدا لهذه اللغة ولحملة هذا التراث، فلا نكون اقل في هذا من الألمان والفرنسيين مع لغاتهم .. فمدرس اللغة الفرنسية لدى الفرنسيين هو مدير المدرسة فتتمثل فيه اكبر قيمة من قيم الأمة، كما يجب رفع اجورهم، وان تنظم حملة اعلامية تجاه معلمي اللغة العربية ومنح الحوافز المادية والمعنوية لمعلمي اللغة العربية.

تعليق

من اللقاءات السابقة والآراء الواردة في هذه الندوة بصدد اسباب ضعف ابنائنا في اللغة العربية .. نود ان نضيف ان اللغة العربية نمت وترعرعت وانتشرت في ظل الدين الاسلامي الحنيف وكانت وعاءً فضفاضًا اتسع لكل ما هو جديد في العلم والسياسة والاقتصاد وكان المسلمون الاولون يرون في تعلم اللغة العربية تقربا الى الله، لانهم بها يستطيعون قراءة كتاب الله العزيز الحبيب الى نفس كل مسلم .. ولهذا الترابط الوثيق بين اللغة العربية والدين الاسلامي فقد كانت دائما هدفا لاعداء الاسلام.



للشاعر: محمد علي السنوسي

جَلَّلَ الشَّيب عذاري ومحا (اللّيلَ) نهاري
وذوت نضرة نفسي وخبَتْ جذوة ناري
وتهاوَتْ زهرات الورد مني والعَرار
وانطوت نشوة روحي واغاريد هزاري
اسودي اصبح مُبيضًا وطرفي في انحسار
وجداري بات منقضا وَجهري كسرار

ونسيمي غير رفاف ومائي غير جار
ومضى عمري اباديدَ نِثارا في نثار
من رأى غضاً بلا ماء ندي الاخضرار
من رأى بدرا طوى الآفاق من غير سرار
يصعد الانسان في العمر ليهوى في انحدار

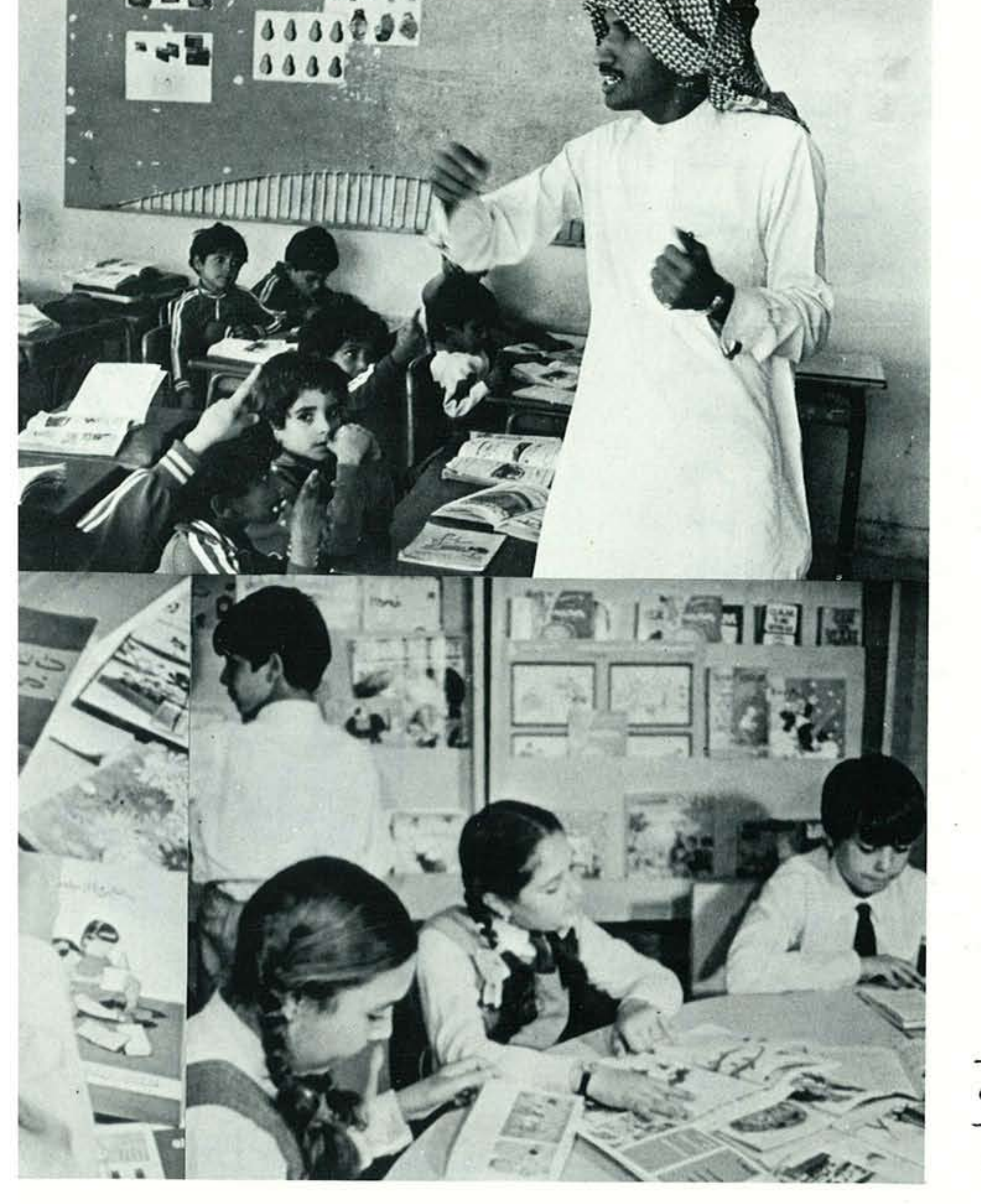
* * *

طار (عصفور شبابي) من يدري رغم حذار
وتوارى خلف أيام طوال وقصار
ونأى عني بعيدا بعيدا في الصحاري
ياشبابا ضاع كالأمطار في عرض القفار
كيف ولى ولماذا والى أي ديار
ومتى طار وأني لست والله بدار
كنت الهو ويجد الدهر في قطف ثمار
يأخذ (اللؤلؤ) من كفي ويسخو بالمحار
كنت مسحورا ومأسورا بتغريد القماري
احسب الايام لا تملك تمزيق اطاري
واظن الدهر لا يقوى على لفح سراري
سادرا في ضجة الموج وتيار البحار
(ياشبابي) آه لو عدت ولو بعض نهار
لم أكن أعرف مقدارك في فجر اغترار
سوف أفديك اذا عدت بماسي ونضاري
وأحليك بعقبان الأماسي والقصاري
وأناغيك بألفاظ كألحان الكناري
وأراعيك بألحاظ كوطفاء السواري
وأصوغ الأنجم الزهر سوارا والذراري
واضعا كفك في كفي بعزم واقتدار
راشفا من ثغرك الحلو رحيقي وعقاري
شاعرا أنك كنز في يميني ويساري
ياشبابي آه من نار حنيني وادكاري



تنمية وعي القراءة لدى الطفل

بقلم: يعقوب الشاروني



أصبحت القراءة في نظر المدنية الحديثة لها نفس الاهمية الحيوية التي للمشي او النظر أو الكلام، والذي يقرأ، ويفهم ما يقرأ في سرعة كبيرة، يمكن أن ينهي من الاعمال أضعاف ما ينهيه القارئ العادي.

والقراءة هي أساس التعلم بمعناه المعروف، فالشخص الذي يقرأ، شخص نام وقادر على استمرار النمو. فالقراءة مظهر هام من مظاهر الشخصية، وهي عامل هام من عوامل نموها.

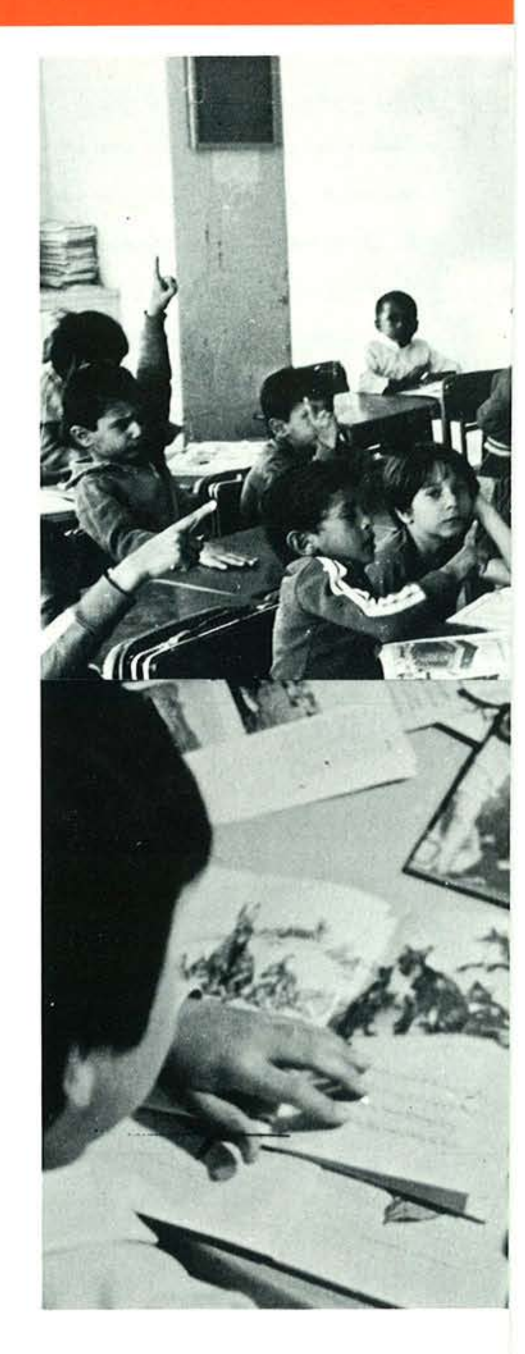
وبالاضافة الى هذا، فالقراءة مفتاح أساس من مفاتيح المعرفة، تفتح أمام الانسان آفاقاً واسعة شاسعة.

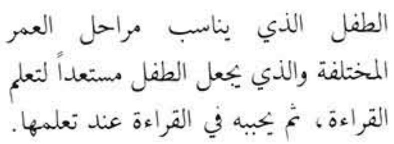
والطفل في العصر الحديث يبدأ تعلم القراءة منذ طفولته الاولى، لكنه لا يتعلمها منذ سنواته الاولى بالصورة التي نعرفها، انما يستعد لها. وكما أن الطفل لا يتعلم الجري الا اذا استعد له في مراحل المشي، ولا يتعلم المشي الا اذا تكون عنده الاستعداد لتعلمه، فانه لا يتعلم القراءة الا اذا تكوّن عنده الاستعداد لتعلمها.

الطفل .. والكتاب

ومن هنا، كان الاهتمام بكتاب

• كما أن الطفل لايتعلم الجرى إلا اذا استعد له فى مراحل المشى، ولايتعلم المشى الا اذا تكوّن عنده الاستعداد لتعلمه، فانه لايتعلم القراءة الا اذا تكوّن عنده الاستعداد لتعلمها.





الطفل الذي يناسب مراحل العمر المختلفة والذي يجعل الطفل مستعداً لتعلم القراءة، ثم يحببه في القراءة عند تعلمها.

ان الطفل الذي يعبر في أي سن من سنوات حياته عن رغبته في القراءة، فانما يفعل ذلك نتيجة للخبرات التي اكتسبها في بيئته والمشاهد، أن هناك دافعاً، يبدو كأنما هو دافع طبيعي، يدفع الاطفال الى الاهتمام بالكتب. وأن هذا الدافع يبدأ من مرحلة مبكرة، ويستمر حتى يتعرف الاطفال معاني الرموز المكتوبة في سن ست سنوات.

ان الاطفال، قبل ان يبلغوا سن السادسة بوقت طويل، يكونون قد شاهدوا آباءهم وهم يقرأون، وقد خبروا ما تحتويه بيوتهم من كتب ومطبوعات. ولابد أن نملأ محيطهم بكتب تقترب من الألعاب، وتساهم الحواس المختلفة في التعرف عليها، فهناك الكتب المصنوعة من القماش او الورق المقوى حتى تقاوم عبث الاطفال وطريقة تعاملهم العنيفة مع الاشياء. وهناك كتب الكتابة فيها بارزة حتى تتحسسها الاصابع الصغيرة، وأخرى لها طابع اللعب تطوى وتفرد وتفكك وتتحرك على عجلات. وهناك كتب فيها أجزاء تتحرك او اجزاء تتجسم اذا فتحت الصفحات، وكتب تصدر عن أغلفتها اصوات موسيقية اذا ضغطنا عليها، وفي كل هذه الانواع من الكتب، تقوم الصور الملونة الواضحة بدور أساسي في جذب اهتمام الطفل. وحتى سن السادسة، تأخذ الصورة مكان الصدارة وتقل أهمية الكلمة .. ولكن بعد سن السادسة، تزداد أهمية الكلمة الى أن تتوازن مع أهمية الصورة. وبعد العاشرة أو الحادية عشر، تزداد قيمة الكلمة عن الصورة، وتصبح المساحة المخصصة للكلمات اكبر كثيراً من مساحة الصورة، الى أن تصبح الكتابة هي العنصر الاساسي بعد سن الرابعة عشر او الخامسة عشر.

وتميل الالوان في المرحلة الاولى الى الالوان الزاهية، مع استخدام المساحات اللونية الصريحة، مع ميل احياناً الى المبالغة في الاداء، ثم تقل هذه الصفات فيما بعد السادسة الى أن تصل الى شيْ من الواقعية فيما بعد سن ١١ أو ١٢.

كذلك نجد حجم الحروف كبيراً في المرحلة الاولى، وهو ما يتناسب، مع قدرات الطفل ومع قلة الكلمات في النص، ثم يقل الحجم تدريجياً الى ان يصل الى الحجم العادي لحروف الطباعة

تنمية وعي القراءة لدى الطفل

في مطبوعات الكبار وذلك في الكتب الموجهة الى سن ١٤ أو ١٥.

بيئة الطفل

* * * * *

والاطفال عندما يولدون في بيئة تشجع على القراءة، فيجدون الوالدين والكبار يقرأون، وينشأون في منزل به مكتبة تحفظ فيها الكتب وتعامل باحترام، وتخصص للأطفال كتبهم مع مكان خاص لحفظها، في مثل هذه البيئة، تنمو قدرة الاطفال على القراءة بنفس الطريقة التي تنمو بها قدرتهم على الكلام. وعندما يذهبون الى المدرسة، وتبدأ فترة تعلمهم القراءة بالمعنى المدرسي، فانهم يجدون لديهم قائمة كبيرة من الأفكار والمدركات والاتجاهات النفسية التي كونوها نحو القراءة مع كثير من الخبرات التي تعينهم على فهم ما يقرأون.

ان القراءة في حقيقتها عملية معقدة، وليست مجرد التعرف على اسماء الحروف وكيفية نطقها، أو مجرد التعرف على شكل الكلمات ونطقها. ان عملية القراءة تتضمن بالاضافة الى ما سبق، وفي نفس الوقت، القدرة على فهم معاني الكلمات، وفهم معاني الجمل، والربط بين تسلسل الاحداث، مع القدرة على التركيز والتذكر والاستيعاب، وعلى اعادة التعبير عما تمت قراءته.

لهذا يجب أن يؤكد على أن الاستمرار في حب القراءة والاقبال على الاطلاع واحترام الاطفال للكتب، يجب أن تسبقه خبرات عديدة في بيت يحب الاطفال، ويعمل على انماء شخصياتهم، ويحيطهم بالكتب المناسبة لاعمارهم، ويعطيهم المثل في أشخاص بالغين يهتمون أن يقرأوا للطفل، وأن يزودوه بمعين من الخبرات، المختلفة بأن يمنحوا للطفل فرصة الاتصال المباشر بالاشياء والحقائق، وذلك بتركه يلاحظ ويتعلم من خلال الرحلات والتجول، وزيارات المتاحف والمصانع والحقول، ثم تركه يتحدث عما شاهد، فتنشأ لديه ثروة لغوية، وتتكون لديه بذور مختلف الافكار ووجهات النظر في الاشخاص والاشياء.

كيف نعامل اطفالنا

* * * * * * * *

كذلك يجب الصبر على أسئلة الطفل، فان سلوك الكبار نحو اجابة الاطفال عن كل ما يسألون عنه، من أهم وسائل تنمية قدرة الاطفال على فهم ما يقرأون.

كذلك يجب أن نعاون الطفل على التعبير بوضوح عما يجول في خاطره، وان نظهر الاهتمام بمحاولته للتعبير عما يفكر فيه، ولنعاونه على استعمال الكلمات وعلى نطقها بدقة. ولنعاونه على ان يعتاد سماع القصص وعلى ان يعيد روايتها، بل ان يضيف اليها اذا اراد.

ولنذكر ان الاطفال يرغبون في تعلم القراءة، لكن لنحذر أن ندفع طفلا ما قبل سن المدرسة نحو تعلم القراءة دفعاً، بل لنجعل جهودنا محصورة في هذه الفترة، في اعداده للقراءة دون ان تخرج عن نطاق المتعة البريئة واللعب المسلي، فان تعليم طفل لم يسبق له التعلم أسهل كثيراً من استئصال عادة خاطئة نتيجة محاولة تعليم الطفل قبل السن المناسب.

ويجب دائماً ان ننظر الى الخطأ على أنه خطوة طيبة في سبيل الطريق السليم، لذلك يجب أن نحذر تماماً من السخرية بأخطاء الطفل اللغوية، لان الخوف من الوقوع في الخطأ كثيراً ما يعوق الاطفال عن التعليم.

كذلك يجب أن نذكر ان النضج الانفعالي للاطفال لا يستكمل حتى سن ست سنوات، بل أحياناً حتى سن أكبر من ذلك، بشكل يسمح بتكوين الروح الرياضية لذلك يجب تحاشي الالتجاء الى المنافسة كوسيلة من وسائل الحفز في مجال التعليم. فيجب الحذر من مقارنة طفل بآخر حتى لو كان أخاه كوسيلة للحفز على التعلم.

وكما يجب اختيار الكتب المناسبة في

موضوعها وصورها لكل سن، كذلك يجب اختيار الكتب المناسبة في حجم الحروف لكل سن. ذلك انه قبل سبع سنوات، يصعب على الاطفال تركيز أبصارهم فترة طويلة على الاشياء الدقيقة.

التعامل مع الذين حرموا من التزود بخبرات

* * * * * * * * * * *

واذا كان هناك اطفال كثيرون لم تتح لهم أسرهم او بيئاتهم ان يتزودوا بالخبرات اللازمة للتهيؤ للقراءة فمن واجب القائمين على تثقيف الاطفال او الاشراف على مكتباتهم أن يقوموا بتنمية الاتجاهات اللازمة لاقبال الاطفال على المطالعة وحب الكتاب، مثل تنمية عادات الاصغاء والتركيز والانتباه لدى الطفل، وعادة صياغة الافكار صياغة لغوية، والقدرة على التعبير عن النفس وعلى خلق الصور وصياغتها في كلمات.

وفي هذا السبيل، لابد أن نضع بين أيدي مثل هؤلاء الاطفال مجموعات من الكتب المشوقة الممتعة، يقلبونها بانفسهم، نحدثهم عنها ونحببهم فيها، وقد يكون من المناسب ان نبدأ معهم بكتب تناسب سناً أصغر من سنهم، ولكنها وضعت أصلاً لمن نما معه وعي القراءة منذ طفولته الاولى.

كذلك يجب على المشرف على نادي الاطفال أو أمين مكتبة الاطفال ان ينظم حلقات اسماع يومية للاطفال، يقرأ لهم بصوت مرتفع، ثم يسمع أسئلتهم ويجيب عليها، ويتيح لهم ان يعيدوا قص ما سمعوا، ويعيد عليهم ما قرأ اذا أعجبهم حتى يحفظوه، ويطلب ان يسأل كل منهم الآخرين أسئلة حول ما سمعوا، وان يجيبوا بأنفسهم على هذه الاسئلة، وان يربط ما قرأوا بالرسم وباللعب، وبالتمثيل وبالاغاني وبالموسيقى، فيرسمون موضوعات يختارونها من بين ما سمعوا، او يؤلفون تمثيلية يؤدونها مشتركين فيها جميعاً، مستمدة مما سمعوا او قرأوا. ويمكن تخصيص يوم من كل أسبوع للرسم ويوم آخر للتمثيل، من واقع ما تم قراءته او الاسماع اليه، فيساعد هذا مجموعة الاطفال على الارتباط بالمكتبة في هذه الايام المحددة، كما يشجعهم على التركيز والمتابعة حتى يمكنهم الاشتراك في هذه الانشطة.

كذلك يجب الاهتمام في كل مناسبة بأن نبين للاطفال مفاهيم العناية بالكتب، وفهم الصور والمعاني للكلمات، وان نعطيهم قدوة دائمة في كيفية المحافظة على الكتاب واحترامه والاستفادة منه.

كذلك يمكن تكليف الاطفال بكتابة موضوعات لصحيفة الحائط، وفي هذا المجال يجب الاعتماد على المواد التي يكتبها الاطفال بأنفسهم عن خبراتهم الخاصة وبلغتهم والفاظهم هم.

كما يحسن تعويد كل طفل على ان يصطحب معه الى المكتبة كراسة للمطالعة يسجل فيها ما أعجبه او يلخصه، مع تسجيل بيان بما أتم قراءته في كل يوم. وعلى المشرف على مكتبة الاطفال او نادي الاطفال ان يحرص على اظهار مزيد من الاهتمام والعناية يومياً بكل ما يكتبه كل طفل في كراسته هذه، وان يطلب من الاطفال بين الحين والحين ان يقرأوا منها على زملائهم.

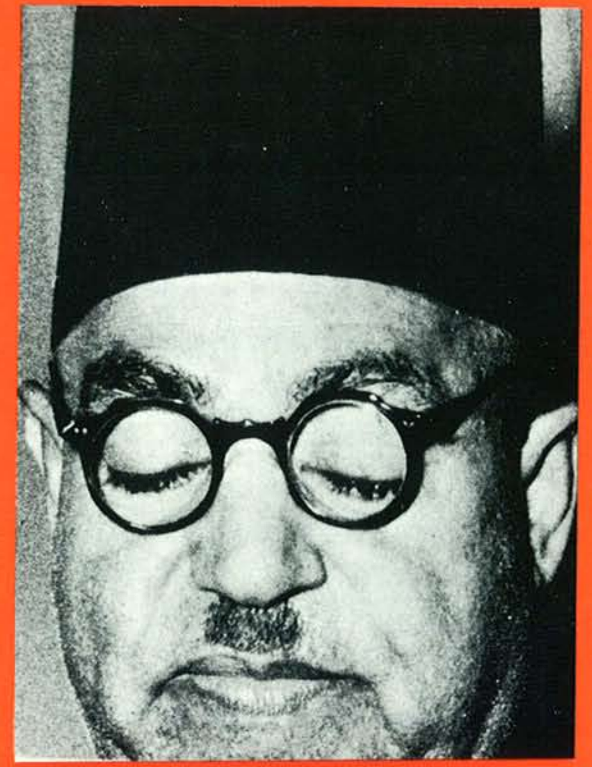
كذلك يمكن عقد ندوات مكتبية في يوم او يومين محددين من كل أسبوع. يعرض فيها ،طفل أو عدد من الاطفال ملخصاً لكتاب أو قصة معينة، ثم يتلقون الاسئلة حول الكتاب، او نترك الاطفال يقصون كل ما يعرفون حول موضوعات مشابهة حدثت لهم او سمعوها ويناقشهم المشرف في كل هذا بما يجعل هذه اللقاءات حية مثمرة لحماس الاطفال وخيالهم.

كذلك يمكن اقامة مسابقات للقراءة الحرة بين الاطفال، بتحديد عدد من الكتب يقرأها الاطفال، ثم يجيبون على أسئلة حولها في يوم معين.

ان المشرف على نادي او مكتبة الاطفال، اذا كان متحمساً لعمله يفهم عالم الاطفال ويحترمه ويقدره، يمكن ان يبتكر كثيراً من مثل هذه الوسائل التي تجعل الكتاب صديقاً حميماً لكل طفل، مثل قص القصص او عرض الموضوعات العامة او القصصية بشرائح الفانوس السحري، او اصطحاب الاطفال الى الزيارات والرحلات المرتبطة بموضوعات الكتب خاصة العلمية، لحفزهم على قراءتها.



حادثتان .. في حياة الزيات



في حياة المرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة «الرسالة» حادثتان كان لهما تأثير كبير على نفسه .. الأولى موت ولده (رجاء) والأخرى فقدانه كتابه (العراق كما رأيته) الذي كان قد كتبه خلال اقامته في العراق وضمنه انطباعاته التي لا تتكرر ثانية بنفس القوة ونفس التأثير.

حين عاد الزيات الى مصر سنة ١٩٣٣ م وأراد طبع الكتاب صادف أن نزل القاهرة في ذلك الوقت الزعيم العراقي ياسين الهاشمي فأطلعه على الكتاب (كما ترويه الدكتورة نعمات فؤاد) .. وبعد أن قرأه في ليلة باركه .. لكنه اوصاه بالتريث بعض الشيء في نشر القسم السياسي منه وعندما عاد الزيات بالكتاب الى بيته وجد تجارب مجلة الرسالة تنتظره، وكان من رأيه مراجعتها كلها بنفسه فوضع الكتاب بجانبه وانشغل بتجارب الرسالة وهو في أثناء هذا يلقي البروفات على الأرض، وعندما دخلت الخادم جمعت فضلات الأوراق كما أعتادت وألقت بها في القمامة وكان من بينها أصول كتاب العراق.

والعجيب أن الزيات قضى سحابة يومه كله لم يتذكر الكتاب بل أياماً بعد هذا، وفي يوم بعيد تذكر الكتاب وطفق يبحث عنه في كل مكان في البيت دون أن يعثر عليه، وأخيراً تذكر كل شيء .. وأيقن ان الخادم طوحت به، مع أوراق البروفات، وأسقط في يده.

وذهب الكتاب الذي لم ينشر منه الا بضع صفحات مثل مقال (حديقة في بغداد) أنه يذكر منه كثيراً، ولكن كتابته مرة أخرى شيء آخر.

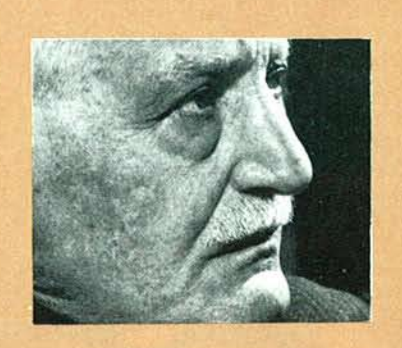
يختبرون عمل الانسان بالميزان



اعتاد الأهلون باحدى القرى الانجليزية منذ سنوات أن يعدوا ميزاناً كبيراً في ميدان القرية في يوم معين من كل عام، كي يزنوا فيه أعضاء المجلس البلدي المشرفين على ادارة شئون القرية في حفل خاص، فاذا ظهر أن وزن أحد الأعضاء قد زاد عن وزنه في العام الذي سبقه أعفي من عمله وعد مهملاً، فلولا كسله واهماله ما استطاع أن يكتنز شحماً.

العم العقاد





كان الأستاذ عباس محمود العقاد يوقع مقالاته وكتاباته بالحرفين الأولين من اسمه (ع.م. العقاد) متأثراً بالمجلات الأجنبية التي كان يقرؤها، فلفتت أنتباه هواة النكتة من رفقائه فأطلقوا عليه (عم العقاد) وتفننوا في النكتة وأصبحوا يتفكهون (ماذا تقول ياعمنا .. حاضر ياعمنا .. مرحباً بعمنا).

الألوان .. والأحزان

تاريخ الانسان على ظهر الأرض مسرح لعجائب الأطوار وتباين الاوضاع .. ومن طريف ما يتمثل فيه اختلاف الأذواق .. بل تناقضها في موضوع الألوان ودلالتها على الفرح أو الحزن ..

يتحدث (أبن بطوطة) أنه شاهد أهل الصين يتخذون البياض لونا لملابس الحداد.. ومن ينعم النظر في النبذ التاريخية التي جمعها العلامة (أحمد تيمور) خاصة بالألوان في الحداد يستطيع أن يستخلص منها أن التعبير عن الحداد لم يكن مقصورا على السواد وانما كان مثله البياض والخضرة والصفرة والزرقة.

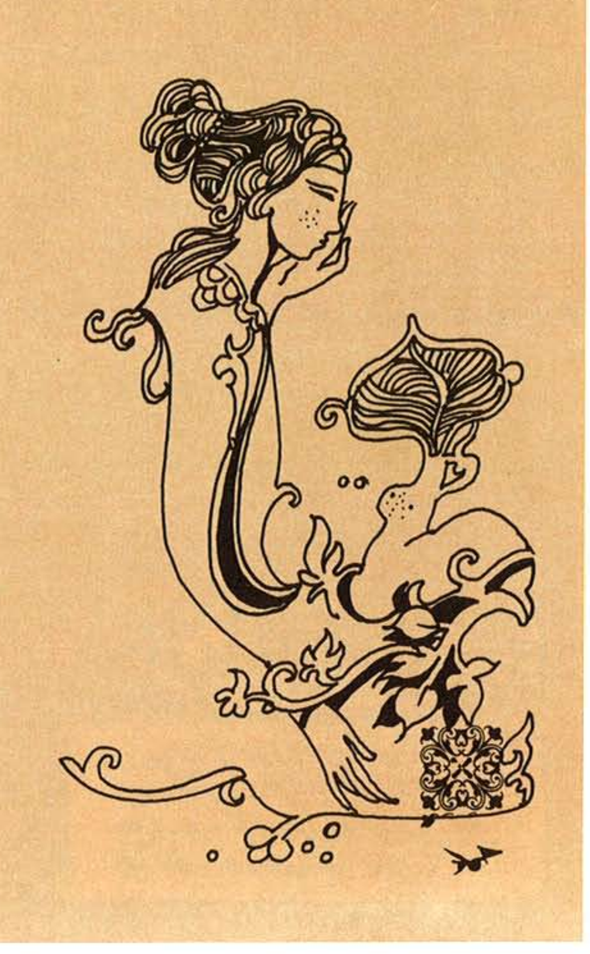
وفي (الاندلس) كان (بنو أمية) يلبسون البياض في الحداد وقد استخدم (الحصري) ذلك في معنى شعري لطيف فقال:

اذا كان البياض لباس حزن بأندلس وذاك من الصواب
فهاأنا قد لبست بياض شيبي لأني قد حزنت على شبابي

واما الخضرة فقد كان من عادة الفاطميين أن يلبس ولي العهد حلة خضراء عند موت الخليفة وهي لباس الحزن ثم يبدلها عند مبايعته بثياب الخلافة.

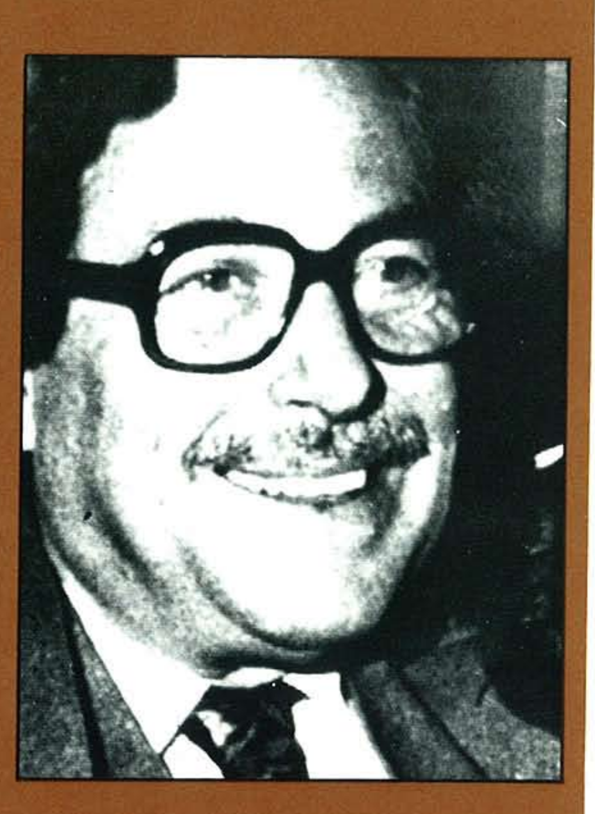
واما الصفرة فقد أثبت (الديري) في أوراقه ان علامة الحزن كانت وضع مئزر أصفر على الرأس.

وأما الزرقة فقد حدثنا (أبن الخطيب) المؤرخ لغرناطة ان لباس الحزن فيها كان أزرق اللون.





تنيسي وليامز .. والاسم المستعار



تنيسي وليامز القصصي الأميركي .. كان ابناً لبائع أحذية، ومنذ كان في الثانية عشرة من عمره وهو يتمنى أن يصبح كاتباً مسرحياً..

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره نظم بعض القصائد الشعرية كما كتب بعض القصص القصيرة .. لكن أباه لم يكن يرى في عمل ابنه الا سخافات .. وفي الثانية والعشرين عمل كاتباً في شركة للأحذية..

ويبتسم وليامز .. وهو يستعيد الى ذاكرته أيامه الأولى ويقول:

(لقد كنت أكتب في بعض المجلات القصصية (اعترافات) بامضاء «زوجة مهجورة» وكنت في سبيل الحصول على دولارات قليلة اكتب مقالات ارشادية عن (كيف تحتفظين بحب زوجك).

ويقول وليامز:

«ان الشمس توقظني صباحاً، فأذهب الى مكتبي وأظل أكتب حتى أشعر بالتعب، وعادة استغرق أكثر من ثلاث ساعات ولم أكن رجلا اجتماعيا بمعنى الكلمة، فاني قليل الاختلاط بالناس، وقد يكون هذا راجعاً الى أني رجل غير سعيد القلب، ومع ذلك كنت في كتاباتي أحاول أن أكون باسماً مشرقاً .. اذ يجب حين أكتب أن أنزع ثوبي القاتم الحزين.»

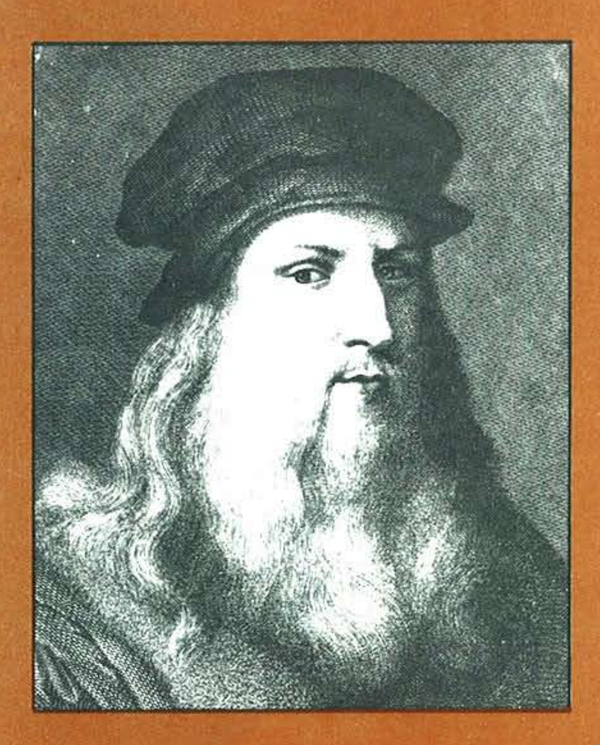
عـــادة جيـدة

الدكتور عبد الهادي التازي مدير المركز الجامعي للبحث العلمي في الرباط بالمملكة المغربية واحد من الذين تفردوابعادة قد تكون غريبة على من لم يتعرفوا على نشاطاته ودأبه الجدير بالاعجاب في مجالات البحث والتحقيق.

ذلك ان الدكتور التازي يحرص دائماً على أن تكون بطاقة التهنئة الخاصة في المناسبات والأعياد والتي يوجهها الى الأصدقاء والزملاء في مجالات البحث العلمي والتحقيق متضمنة صورة لرسالة تاريخية أو اقتباس من أحد المصادر الأصيلة التي يكون قد توصل الى اكتشافها أو العثور عليها بحاسة البحاثة المدقق مؤثراً في الوقت ذاته أن تكون بين أيدي اصدقائه ومحبيه للتهنئة من ناحية .. ولتذكيرهم بتاريخ وأمجاد وحضارة الأمة الاسلامية والعربية من ناحية أخرى.



الموناليزا .. بلا حواجب



- حين رسم الفنان (ليوناردو دافنشي) لوحته المشهورة (الموناليزا) أو (الجيوكوندا) في القرن الخامس عشر، رسمها بغير حواجب .. فقد كانت الموضة في ذلك الحين ان تنزع المرأة حاجبيها.

قيصر الكيمياء .. يرسب في الكيمياء

المعروف عن (جوان جاكوب برزيليوس) انه أحد علماء الكيمياء .. بأبحاثه التي نشرها في هذا المجال حيث ذاع صيته بعدها .. وعين مساعد استاذ للكيمياء والصيدلة في مدرسة الطب بجامعة استوكهلم .. وهي وظيفة أنشئت خصيصاً له .. .. واليه يعزى وضع الرموز الكيميائية .. هذا الى جانب حصوله على لقب «بارون» وعرف زهاء نصف قرن من الزمان بلقب (قيصر الكيمياء).

لكن الطريف .. والغريب انه رسب في الامتحان النهائي في مادة الكيمياء بالذات عندما كان يدرس الطب في جامعة (ابسالا) .. وعندما تخرج من المدرسة العالية اعطاه المسؤولون اجازة كان مدونا فيها انه (حقق آمالاً مشكوكاً فيها).

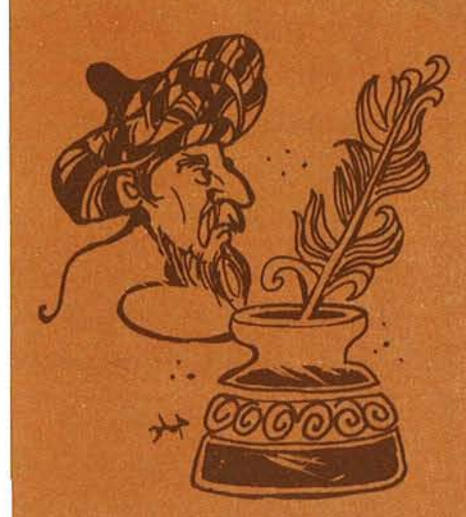
محبرة الكاتب ... والحموات

ما أكثر شروط الحموات على أزواج بناتهن ولكن (الخطيب) مؤرخ (بغداد) يضيف الى شروط الحموات شرطاً طريفاً .. ذلك أنه لا يجوز أن يكون للزوج (محبرة) .. لأن الكتابة تشغله عن زوجته وهي في رأيهن أشد أذى على الزوجةِ من الضرائر ..

وقد اورد القصة التالية:

تزوج محمد بن أحمد المحتسب وبينما هو ذات يوم يجلس على عادته وقد أخذ يكتب شيئاً والمحبرة بين يديه، اذ أقبلت أم زوجته، فلما رأت المحبرة أخذتها وضربت بها الارض فانكسرت وسال مدادها .. فعجب الرجل من أمرها وسألها: ماذا جنت المحبرة؟ فأجابته: بس .. هذه شر على ابنتي من ثلاثمائة ضرة!!

وهكذا قالت الحماة لزوج ابنتها (بس!) .. قالت ذلك منذ تسعة قرون



التقويم الهجري



بقلم :

احمد عبد الغفور عطّار

يكاد يكون التاريخ الهجري توقيفا، لانه مبني عليه ومشتق منه، والتوقيف: ما جاء عن الله، فتاريخنا الهجري على التحقيق مقدس ومبارك وحق، واتفق له مع كل هؤلاء الضبط الذي نفتقده في غيره من التواريخ والتقاويم.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز «ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين»، انما النسيئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء عملهم والله لا يهدي القوم الكافرين».

فالشهور – كما كتبه الله واثبته نظامه المحكم المبني على سير القمر ومنازله منذ خلق السماوات والارض – اثنا عشر شهرا تتألف منها السنة القمرية، وترتيبها معروف في الاسلام ابتداء بالمحرم وانتهاء بشهر ذي الحجة.

والشهر مدة الزمان من اول ظهور الهلال حتى سراره، وعدد لياليه تسع وعشرون كما جاء في الحديث الشريف: (الشهر تسع وعشرون) والشهر: الهلال

بين التقاويم الأخرى

لظهوره وشهرته، وفي القرآن الكريم: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» اي من حضر دخول الشهر الذي لا يكون الا برؤية الهلال.

والشهور العربية الاثنا عشر مرتبطة بالقمر، يبدأ اول الشهر باهلاله، وينتهي بسراره، ويستغرق دورانه حول نفسه ٢٧,٣٢ يوما، ولكي يعود القمر الى مركز البداية يحتاج الى ٢,٢١ يوم، وبذلك يكون مجموع الشهر ٢٩,٥٣ يوما، وهي ايام الشهر القمري.

والحديث الشريف: (الشهر تسع وعشرون) حتى فاذا لم يبد الهلال بعد ليلة التاسع والعشرين اكملت عدة الشهر فكانت ايامه ثلاثين.

وارتباط الشهر العربي بالقمر يؤكده قول الله عز وجل: «والقمر قدرناه منازل» وقوله سبحانه وتعالى: «وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون».

وحساب الشهور قائم على الليل والنهار، وقد قال الله في محكم كتابه: «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا».

وذكر الليل قبل النهار يثبت ارتباط حساب الشهر بالقمر، وما ذكر الليل والنهار معا في القرآن الكريم الا كان السبق لليل في الذكر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى عام حجة الوداع كما روى الشيخان وغيرهما من حديث ابي بكر: (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض، السنة اثنا عشر شهرا، منها اربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان».

والمقصود من استدارة الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض العودة الى حساب الشهور كما كان منذ بدء الخليقة، لان العرب كانوا قد تلاعبوا في حساب الاشهر حسب اهوائهم، فأحلوا وحرموا، وقدموا وأخروا حسب اهوائهم، فكان منهم من يسمي المحرم صفرا فيحل فيه القتال، ويسمي صفر المحرم ويحرم فيه القتال، ومنهم من تلاعب بالسنة فيحرم في سنة القتال ويحله في اخرى، وبعضهم يجعل سنتين حلالا وسنتين حراما.

وهذا هو النسيئ الذي ذكره الله جل جلاله، فكان بسببه التلاعب بالشهور حتى يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة حتى قيل: ان حجة سيدنا ابي بكر الصديق سنة تسع من الهجرة وقعت في شهر ذي القعدة، اما حجة النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة بحجة الوداع فكانت في شهر ذي الحجة.

وكان بعض العرب يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا، وبعضهم يجعلونه اثنى عشر شهرا وخمسة وعشرين يوما.

وما ثم تلاعب مصحوب بالباطل بالنسبة للشهور مثل هذا النسيئ الذي حرمه الله الذي اعاد الحق الى نصابه في كتابه وعلى لسان نبيه بعودة الزمان الى هيئته التي كان عليها منذ خلق الزمان يوم خلقه السماوات والارض وقضى على التلاعب بازهاق الباطل واحقاق الحق.

ومن رحمة الله بعباده ان جعل الشهور قمرية وربط بالقمر كثيرا من اركان الاسلام كالصوم والحج وبعض اوقات الصلاة الى كثير من الاحكام مثل الرضاع وعدة الطلاق ومدة الايلاء حتى يستطيع من لا علم عنده ادراك هذه الامور.

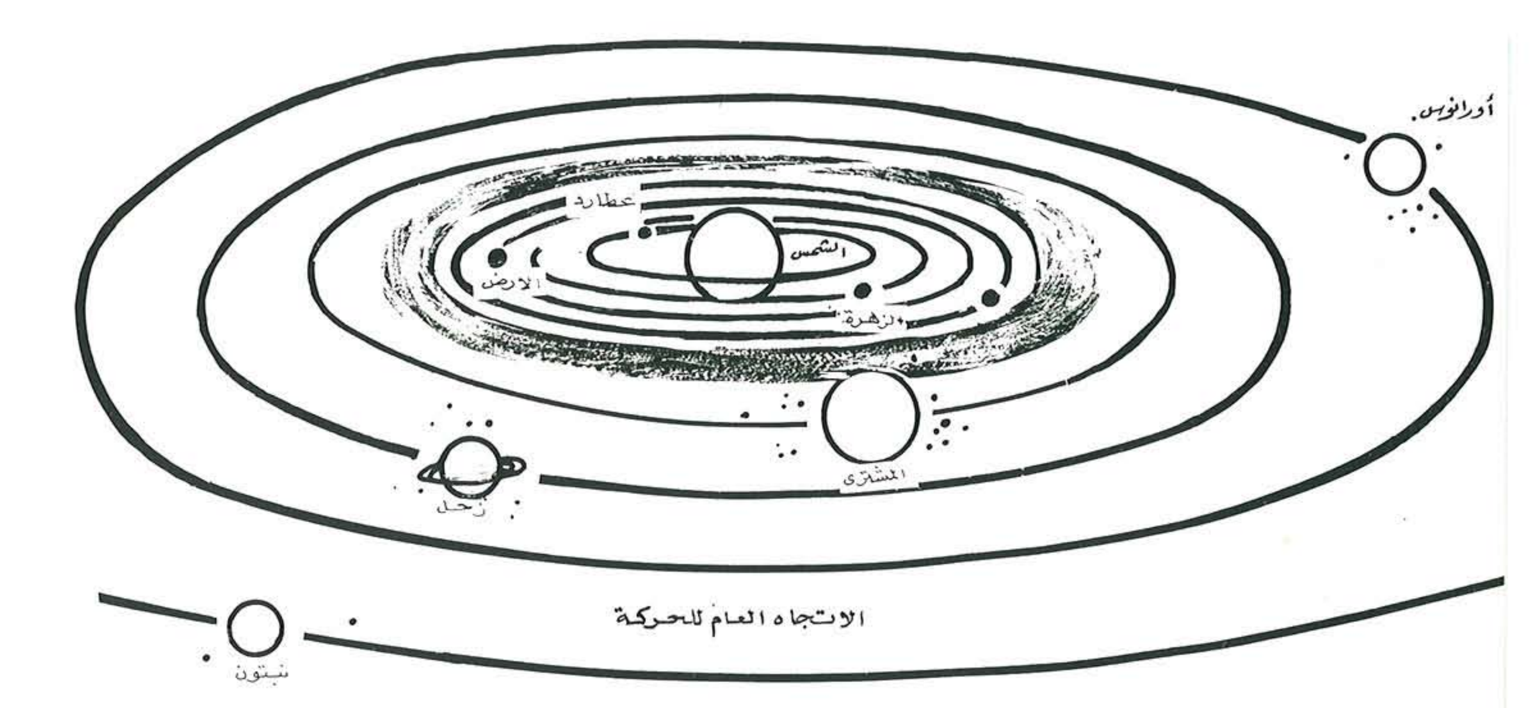
ومن مزايا الشهور القمرية ان الصوم والحج يأتيان في كل فصول السنة واجزائها، وبذلك يختلف على الصائم والحاج كل احوال المناخ وتقلب الاجواء من حر وبرد واعتدال فيتحملان حرارة القيظ في صبر، او يشكران الله تعالى على اعتدال الجو.

واذا تيسر لمسلم الحج ثلاثين سنة دراكا يكون قد اداه في جميع اجزاء السنة ومختلف الاجواء، وكذلك الصائم.

ولا يقلل من شأن الحساب القمري الاستعانة بالشمس في تحديد مواقيت الصلاة في الظهر والعصر حيث يكون تحديد اوقاتها بالزوال، لان هذه الاستعانة تكون في وقت يغيب فيه القمر.

واتخاذ الشمس لمعرفة الحساب ليس ممنوعا في الاسلام، فكلا الشمس والقمر للحساب بدليل قوله تعالى: «والشمس والقمر بحسبان».

وتحديد الاوقات بالقمر ايسر



للناس، لانه قائم على المشاهدة والواقع، حيث يتفق الناس في هذا العلم «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» وفي وسع الناس ان يروا الهلال في دخول رمضان او شوال او ذي الحجة.

ولا يحتاج في حساب القمر الى مهارة عقلية كما يحتاج اليها حساب الشمس، ولهذا كان اليسر في اتخاذ الحساب القمري، وهو حساب دقيق ومضبوط، فان للقمر منازل واذا نزل احدها ظهر وعددها ثمانية وعشرون، وهي[1] :

١- الشَّرَطان، مثنى شَرَط بفتح الراء، وورد الاسكان وهما نجمان، ويقولون: هما قرنا الحمل.

٢- البطين، بالتصغير، وورد مكبرا فيقولون: البطن، وهو كواكب خفية كأنها نقط، ويزعمون انه بطن الحمل.

٣- الثّريا، ويعرف بالنجم.

٤- الدَّبران، كوكب احمر، بين يديه كواكب كثيرة مجتمعة من ادناها اليه كوكبان صغيران يكادان يلتصقان، والمنجمون يسمونه قلب الثور.

٥- الهقعة، ثلاثة كواكب صغار.

٦- الهنعة، كوكبان احدهما قريب من الآخر.

٧- الذراع، وهي ذراع الاسد المقبوضة، وللاسد ذراعان مقبوضة ومبسوطة فالمقبوضة منهما هي اليسرى الجنوبية، وهي الّتي ينزلها القمر.

٨- النثرة، وهي ثلاثة كواكب متقاربة.

٩- الطرف، كوكبان يقال: انهما عينا الاسد.

١٠- الجبهة، وهي جبهة الأسد، اربعة كواكب خلف الطرف.

١١- الزبرة، زبرة الاسد، كوكبان على اثر الجبهة.

١٢- الصرفة، كوكب واحد نير.

١٣- العواء، خمسة أنجم.

١٤- السماك، وهو سماكان: الاعزل ينزل به القمر، والآخر الرامح ولا ينزاه

١٥- الغفر، ثلاثة كواكب بين زباني العقرب والسماك الأعزل.

١٦- الزباني، كوكبان مفترقان، وهما زبانيا العقرب اي قرناه.

١٧- الاكليل، وهو اكليل العقرب، ثلاثة كواكب معترضة.

١٨- القلب، قلب العقرب، كوكبان.

١٩- الشولة، كوكبان مضيئان صغيران بطرف ذنب العقرب، وقيل: ربما قصر القمر فنزل بالغفار احد كواكب ذنب العقرب، ونزول القمر بالشولة على المحاذاة.

٢٠- النعايم، وهي ثمانية كواكب: اربعة في المجرة، وهي النعايم الواردة، واربعة خارجها، وتسمى النعايم الصادرة.

٢١- البلدة، رقعة خالية من الكواكب بين النعايم وسعد الذابح، وربما عدل القمر في بعض الاحيان فنزل بالقلادة، وهي ستة كواكب صغار خفية

---

[1] الازمنة والامكنة للمرزوقي: طبع حيدر آباد ج (ص ١٨٦ وما بعدها)

فوق البلدة مستديرة تشبه القوس.

٢٢- سعد الذابح، كوكبان غير نيرين.

٢٣- سعد بلع، نجمان، احدهما خفي.

٢٤- سعد السعود، كوكبان.

٢٥- سعد الاخبية، ثلاثة كواكب متحاذية فوق الاوسط منها كوكب رابع، والسعد منها واحد، والثلاثة اخبية.

٢٦- الفرع الاول، وهو فرع الدلو الاول، والدلو اربعة كواكب مربعة واسعة، ويجعلون اربعة الكواكب عراقى الدلو، وفرغة مصب الماء من بين العراقي.

٢٧- الفرع الثاني، وهو العرقوة السفلى، وقالوا: يقصر القمر احيانا فينزل بالكرب الذي وسط العراقي الاربع، والكرب من الدلو ما شد به الحبل من العراقى، وربما نزل القمر ببلدة الثعلب وهو بين الدلو والسمكة.

٢٨- الرشاء، وهو السمكة، كواكب في مثل حلقة السمكة، وفي موضع البطن منها من الشق الشرقي نجم منير ينزل به القمر.

وينزل القمر كل ليلة منزلا من هذه المنازل، وتأخذ منه عودته الى مركزه الذي بدأ منه تسياره يومين وثلث يوم تقريبا، ويرى القمر وهو في هذه المنازل الثمانية والعشرين واضحا .. وفي اليومين الاخيرين لا يرى. وحدد الشهر القمري بتسعة وعشرين يوما واثنتي عشرة ساعة واربع واربعين دقيقة واذا ضربناها في اثني عشر شهرا كان الناتج ٣٥٤ يوما و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة، وهذا الحاصل هو عدد ايام السنة القمرية التي تسمى الحسابية.

وهناك شهر قمري إصطلاحي يقوم على عدد الايام دون اعتداد حركة القمر، ويتفق مع السابق في اعتبار اول السنة المحرم، ويفترقان في عدد ايامه، فالمحرم في الاصطلاحي ثلاثون يوما، ويكون صفر تسعة وعشرين، وربيع الاول ثلاثين، وربيع الآخر تسعة وعشرين، وهكذا شهر ثلاثون وشهر تسعة وعشرون حتى يأتي ذو الحجة ويكون تسعة وعشرين، ويزيدون في كل ثلاثين سنة احدى عشرة مرة، وهذه الزيادة حاصلة من جمع الكسور التي بكل شهر وهي خمس يوم وسدسه، وصار مجموع الكسور احد عشر يوما على ذي الحجة يوما فآخره، فتسمى سنة الزيادة كبيسة.

واما الشهر الشمسي فمختلف في عدد ايامه عن الشهر القمري الذي يكون ٢٩ احيانا و ٣٠ احيانا اخرى، أما الشهر الشمسي فقد يجئ بعضه ٣٠ يوما وبعضه ٣١ يوما وشهر ٢٨ او ٢٩ في بعض السنوات .. فشهور يناير ومارس ومايو ويوليو واغسطس يكون ٣١ يوما وشهور ابريل ويونيو وسبتمبر ونوفمبر ٣٠ يوما.

اما شهر فبراير فعدد ايامه ٢٨ وبعد كل ثلاث سنوات يكون ٢٩ يوما، وسبب هذه الزيادة ان جملة ايام السنة ٣٦٥¼ ويسقطون الربع في الحساب ثلاث سنوات متواليات، وفي الرابعة يتكون من مجموعة اربعة الارباع يوم يضاف الى شهر فبراير فتكون السنة كبيسة.

وعدد ايام شهور السريان المسماة شهور الروم مثل عدد شهور السنة الشمسية، وها هي ذي الشهور السريانية: تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول وكانون الثاني وشباط وآذار ونيسان وآيار وتموز وآب وايلول.

ويعرف التقويم السرياني بتقويم الاسكندر، وهو تاريخ ذي القرنين، وهو التقويم السلوقي ايضا، وهو يحسب من يوم الاثنين اول اكتوبر سنة ٣١٢ قبل الميلاد - ويذكر البتاني انه يحسب من اول سبتمبر سنة ٣١٢ قبل الميلاد.

وهو مثل التقويم اليوليوسي، ويستعمل في الكبس طريقته.

واذا كان بدء السنة السريانية تشرين الاول الذي يقابل شهر اكتوبر فان اهل الشام (سوريا ولبنان والاردن وفلسطين) جعلوا بدء السنة شهر كانون الثاني ليتم اتفاقه مع بدء السنة اليوليوسية والتقويم الجريجوري الميلادي وهو شهر يناير ثم شباط مقابل فبراير وهكذا.

وكان هذا التقويم مستعملا لدى نصارى الشام، اما المسلمون فكانوا ملتزمين بالتقويم الهجري والذي كان كل المسلمين يلتزمونه، ثم استبدلوا به التقويم الجريجوري (الميلادي) وكان امرهم كما جاء في كتاب رب العزة «يستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير».

وكل التقاويم التي اريد منها تنظيم الزمن اعتمدت ووربى الشمس (امر الارض) والقمر وكانت السنة القمرية اسبق من الشمسية حتى كان اسم الشهر في اكثر اللغات مشتقا من اسم القمر [٢] وفي اللغة العربية اطلق على القمر نفسه اسم الشهر.

وسبب ربط التقاويم بالقمر دون

---

[٢] الاسلام دعوة عالمية، للعقاد

مجموعة التقاويم في العالم

السنة الشمسية

هي المدة التي تتم فيها الارض دورة كاملة حول الشمس مبتدئة من نقطة معينة من مدارها الى ان تعود اليها.

الشهر القمري

هو المدة التي يتم فيها القمر دورة كاملة حول الارض، وتقاس عادة من مولده لمولده التالي، ويتعين المولد بوقوع القمر بين الارض والشمس في خط مستقيم.

السنة القمرية

هي ١٢ شهرا قمريا وتساوي ١٢×٢٩٫٥٣٠٨٨ يوما= ٣٥٤٫٣٦٧٠٥٦ يوما= ٣٦ ثانية، ٤٨ دقيقة، ٨ ساعة، ٣٥٤ يوما وتسمى سنة قمرية وسطية، وهي تنقص عن السنة القمرية بنحو ١١ يوما.

التقويم المصري القديم

يروى انه اول تقويم وضع في العالم، وعلى اساسه بني التقويم اليولياني ثم جاء التقويم الجرجواري الذي تتبعه الآن معظم الدول.

التقويم اليولياني

في سنة ٤٦ قبل الميلاد استدعى يوليوس قيصر الفلكي المصري سوسيجينيس من الاسكندرية وطلب اليه ان يضع نظاما ثابتا للتقويم فكان التقويم اليولياني.

التقويم الجرجواري

يعتبر في الحقيقة تعديلا للتقويم اليولياني بقصد اصلاح خطأ فيه فاستدعي البابا جرجوري الثالث عشر الراهب كريستوفر كلافيوس وعهد اليه هذا الامر.

التقويم القبطي

وضع التقويم القبطي على اساس التقويم المصري القديم واعتبرت فيه السنة ¼ ٣٦٥ يوما كما في التقويم اليولياني.

التقويم الهجري

وضع في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم الاربعاء ٢٠ جمادي الآخرة سنة ١٧ هـ، وقد اتخذ فيه اول المحرم من السنة التي هاجر فيها النبي (ص) مبدأ للتاريخ الاسلامي، بالرغم من ان الهجرة لم تقع في هذا اليوم، فالثابت ان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بارح مكة المكرمة قبل ختام شهر صفر ببضعة ايام ومكث ثلاث ليال في غار ثور ثم خرج ليلة غرة ربيع الاول قاصدا يثرب، ووصل الى قباء (على بعد فرسخين من يثرب) يوم الاثنين ٨ ربيع الاول وقت الظهر واستراح هناك ايام الثلاثاء والاربعاء والخميس.

الشمس ان الشمس تبدو على حالة واحدة ولم يكن لدى الناس من العلم والفن ما يعنيهم على ضبط حساب الزمن باتخاذ الشمس مصدر هذا الحساب فآثروا عليها القمر الذي لا يخفى على العين مولده حتى يتدرج الى التمام ثم يأخذ في التناقص حتى يختفي.

واستطاع الناس ان يخترعوا التقاويم عندما بنوها على القمر بعد ان تتبعوا مولده وحركاته، وعندما تقدم العلم وعرف من الشمس ما لم يكن معروفا اعتمدوها في بعض تقاويمهم، فصارت لديهم سنة شمسية كما كانت لديهم سنة قمرية.

ولم تستطع الشمس ان تسلب القمر وجوده في بعض التقاويم فبقي اساسها حتى اليوم وسيبقى حتى يرث الله الارض والشمس والقمر.

وعرف التقويم منذ عرف الانسان الحضارة والقراءة والكتابة، وعرفه الصين والهند وفارس والبابليون والسومريون والشام واليمن ومصر.

ولعل العراق من اقدم الامم معرفة للتقويم اذا لم تكن اسبقها، فقد عرف السومريون التقويم معرفة ثاقبة، فالسومريون عرفوه حق المعرفة، والبابليون اهتدوا منذ اقدم العصور الى الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية، ورأوا هذا الفرق كبيرا فعمدوا الى اضافة شهر الى السنة القمرية لتتم مساواتها بالسنة الشمسية وعرفوا الاسبوع.

وذكر الباحثون ان هذا الحساب نشأ لدى السومريين ولم يهتدوا الى قاعدة ثابتة

التقويــم الســرياني

يسمى أحيانا بالتقويم السيلوسيري لانه منسوب الى سيلوسس نيكاتور
احد قواد الاسكندر المقدوني الذي اختص بسوريا بعد موته.

التقويــم الفارســي

ينسب هذا التقويم ليزدجرد شهريار آخر ملوك آل ساسان بفارس.

التقويــم الجلالــي

سبق استعمال هذا التقويم في بلاد فارس، وينسب لجلال الدين مالك سلطان خراسان، وقد وضعه الشاعر الفارسي الشهير عمر الخيام مع سبعة من العلماء في ٩ رمضان سنة ٤٧١ هـ (١٥ مارس سنة ١٠٧٩ يوليانية).

التقويــم الاغريقــي القديــم

دونت به بعض الحوادث وكانت له صلة وثيقة بالالعاب الاولمبية التي كان لها شأن عظيم في تاريخ الاغريق، وقد اتخذ فيه الاوليمبياد الاول مبدأ لتسجيل التواريخ وهو يوافق ١٧ يوليه سنة ٧٧٦ ق.م.

التقويــم العــبري

احتفل موسى عليه السلام مع بني اسرائيل بعيد الفصح (وهو خروجهم من مصر) مساء يوم ١٤ من الشهر الذي كان جاريا اذ ذاك وكان اليهود وقتها يفركون (سبل) الحنطة ويأكلونها، وظهور الحنطة في مصر يكون دائما قريبا من الاعتدال الربيعي وقد اعتبر مبدأ هذا الشهر اول سنة لهم وكان يسمى (أبيب) ثم سموه بعد ذلك (نيسان).

تقويــم العرب في الجاهليــة

كانت سنة العرب في الجاهلية ١٢ شهرا قمريا تضبط من رؤية الهلال الى رؤيته ثانيا، وكانت للشهور اسماء غير الاسماء الحالية ذكرها البيروني في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) – والمسعودي في كتابه (مروج الذهب) والروايتان مختلفتان كالآتي:

رواية البيروني	رواية المسعودي
١–المؤتَمِر	١–ناتِق
٢–ناجِر	٢–ثقيل
٣–خوَّان	٣–طليق
٤–صوان	٤–ناجر.
٥–حَنتَم او حَنين	٥–سماح
٦–زَبَّاء	٦–أمنح
٧–الأصَم	٧–أحلك
٨–عادل	٨–كسع
٩–نافِق	٩–زاهر
١٠–واغِل او وَغل	١٠–برط
١١–هواع اورَنَّه	١١–حرف
١٢–برَك	١٢–نعس

لادخال الشهر الزائد على السنة القمرية الا في عصور حمورابي الذي كان في سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد[٣]

وقد شاع في القرن السادس (ق.م.) استعمال دورة زمنية قدرها ثماني سنوات ليضموا بعد تمامها شهر النسيئ، اما في سنة ٣٨١ ق م فاستعملوا دورة اساسها تسع عشرة سنة اضافوا في خلالها الى السنة شهرا هو آذار الثاني في كل من السنوات الثالثة والسادسة والحادية عشرة والرابعة عشرة والسابعة عشرة من كل دورة، ثم اضافوا شهر ايلول في كل سنة تاسعة منها.

((ومن ملاحظة القدماء لهاتين السنتين الشمسية والقمرية وتقسيمهم مدار الفلك الى اثني عشر برجا تكاد تتفق مع المتعارف عليه الآن نشأت طريقة التقسيم الستيني التي اشتهر بها السومريون، والتي ورثناها عنهم واتبعناها في تقسيمها للزمن (٤).

وبينما هم مهتمون بتحديد طول السنة الشمسية اعترضهم تحديد الطول الصحيح للشهر فاتخذوا الطريقة المتبعة في الشرق الأدنى لتعيين مبدأ الشهر وهي لحظة ميلاد الهلال الجديد، واهتدوا الى ان طول الشهر يبلغ ثمانية وعشرين يوما ونصف يوم، فترتب على ذلك ان يكون بعض الشهور ٢٩ يوما وبعضها ٣٠ يوما.

واسفرت طريقة التقسيم الستيني عن ايجاد وحدات الزمن الصغرى، واخترعوا الساعة المائية في القرن السابع قبل

(٣) تاريخ العالم نشر مكتبة النهضة المصرية المجلد الثاني ص ٢٧١–٢٧٢

(٤) تاريخ العالم ٢: ٢٧٣–٢٧٤

الميلاد.(٤)

وفي كتب الهند المقدسة مثل «منوسمرتى» (٥) تقسيم للزمن جاء فيه بالفقرة ٦٤، ٦٥: ان كل يوم نهار وليلة، يعدل ثلاثين مهورت، والشمس تميز الليل من النهار، الليل للراحة، والنهار للعمل. والمهورت ٤٨ دقيقة كما ذكر مترجم «منوسمرتى» الذي قيل انه الف في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد.

والتقويم الهندي اقدم من هذا التاريخ.

ونحن نرى ان تقسيم الزمن في اساسه امر توقيفي بدليل الآيات التي قد مر الاستشهاد بها، ثم تأخر الانسان حتى انحط الى درك الحيوان، ثم بدأ مرحلة جديدة في تاريخه حتى تحضر واهتدى الى تقسيم الزمن.

وتقسيم السنة الى اثني عشر شهرا تقسيم توفيقي تم يوم خلق الله السموات والارض، ولا يعرف بالضبط اليوم الذي خلق الله السماوات والارض فيه، ولا الايام الستة، اهي كأيامنا ام هي ايام الله التي تختلف مددها عن ايام البشر، ولكن الثابت انه يوم.

وفي سفر التكوين ذكر للايام واعمار اولاد آدم عليه السلام واحفاده، وذكر سفر التكوين اعمار من عاصروا ابا البشر او خلفوه، ومما جاء فيه ان شيث ابن آدم عاش ٩١٢ سنة، ثم نوح عاش ٩٥٠ (٦) ولا يعرف اهي سنة تشبه سنواتنا ام هي غيرها؟ وان كان في سفر التكوين نص يفهم منه انها مثل سنواتنا، فقد جاء فيه (٣/٦): «قال الرب: لا يدين روحي في

(٥) ترجمة الاستاذ احسان حقي.

(٦) في القرآن الكريم: «ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون» العنكبوت: ١٤



الانسان الى الابد لزيغانه، هو بشر، وتكون ايامه مئة وعشرين سنة».

فسنوات شيث ونوح - اذن - مثل سنواتنا، وكانوا يعمرون طويلا، لان الله كان راضيا عنهم لصلاحهم، فلما زاغوا اختصر اعمارهم فجعل اقصى ما يعيشه الانسان مئة وعشرين سنة.

ويحدد مؤرخو التوراة زمن شيث باربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وهو تاريخ غير صحيح في رأينا، لان خروج آدم من الجنة وهبوطه الى الارض سطر ابيض في تاريخ البشرية لم يدون عليه تاريخ.

والتقويم السومري كان معروفا في الالف الثالث قبل الميلاد، وكان السومريون قد اهتدوا الى تقسيم الزمن الى يوم وليل ونهار وشهر وسنة، كما عرفوا الاسبوع.

وهذا يدلنا على ان تواريخ سفر التكوين امر لا يوثق به ولا يطمأن اليه، ومن الجائز عندي ان من جاؤا بعد السومريين او عاصروهم قد افادوا من تقويمهم ويكاد عملهم يكون اسبق ما عرف من التقاويم في نظري حتى الآن.

واما تاريخ بني اسرائيل فقد ورد على لسان موسى ذكر شهر ابيب (سفر الخروج ٤/١٣) مع ان الاسرائيليين يسمون الشهور بالاعداد، فيقولون: الشهر الاول فالثاني فالثالث الى الثاني عشر، وذكر قبل سبي بابل اسماء اربعة شهور هن: أبيب، وزيو، وايثانيم وبول، وتتألف سنتهم من اثني عشر شهرا، ولديهم سنتان احداهما مدنية تقوم عليها اعمالهم المدنية والزرع والحصاد، واخرى مقدسة ترتبط بها عباداتهم واعيادهم الدينية.

وقد ظهر من الاحافير المجراة في (جازر) تقويم منقوش على الحجران السنة اثنا عشر شهرا، ويعود هذا الى عهد سليمان.

وتبدأ السنة المقدسة بهلال نيسان لخروجهم في اليوم الخامس عشر منه، وها هو مسرد بالسنة المقدسة وما يقابلها من شهور السنة المدنية(٧)

١- شهر نيسان او ابيب، ويقابل من المدنية الشهر السابع، ويبدأ بهلال نيسان او آذار.
٢- زيو، ويقابل من المدنية الشهر الثامن.
٣- سيوان، ويقابل من شهور السنة المدنية الشهر التاسع.
٤- تموز، ويقابل الشهر العاشر.
٥- آب، ويقابل الشهر الحادي عشر.
٦- ايلول، ويقابل الشهر الثاني عشر.
٧- ايثانيم، ويقابل الشهر الاول.
٨- بول، ويقابل الشهر الثاني.
٩- كسلو، ويقابل الشهر الثالث.
١٠- طيبيت، ويقابل الشهر الرابع.
١١- شباط، ويقابل الشهر الخامس.
١٢- آذار.

(٧) ما يخص التقويم الاسرائيلي مقتبس من «قاموس الكتاب المقدس» تأليف نخبة من ذوي الاختصاص. صدرت الطبعة الاولى سنة ١٩٦٨ والثانية سنة ١٩٧١ وكلتاهما ببيروت.

وترتبط شهور السنة المقدسة لدى اليهود بالشمس في الحساب، اما شهور السنة المدنية فقمرية، وقد عرف في عصر مبكر، وقد جاء في سفر التكوين بالاصحاح الاول في الفقرة الرابعة عشرة: «وقال الله: لتكن انوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات واوقات وايام وسنين».

وعرف تقسيم الزمن الى نهار وليل والى شهر وسنة قبل الطوفان، وكان الشهر قبله وبعده ثلاثين يوما، ففي سفر التكوين بالاصحاح السابع والثامن: ان تعاظم مياه الطوفان بقى مئة وخمسين يوما، ابتداء من اليوم السابع عشر في الشهر الثاني حتى يوم السابع عشر من الشهر السابع.

ويدل ما جاء في توراتهم بصدد هذا التقسيم صحة ما جاء في القرآن فيما يخص عدة الشهور، وانها اثنا عشر شهرا، وتقسيم الايام والليالي.

وما جاء في القرآن الكريم يثبت ان تقسيم الزمن توقيفي، وليس من اصطلاح البشر، وان السنة قمرية.

وبنو اسرائيل اتخذوا السنة الشمسية وجعلوها سنتهم المقدسة، فربطوا بها مواقيت عباداتهم واعيادهم، واتخذوا السنة القمرية وجعلوها سنتهم المدنية.

والسنة السريانية هي السنة الرومية، ولكن التقويم المعروف الآن بالميلادي فهو التقويم الجريجوري، وهو اصطلاح للتقويم الروماني قام به يوليوس قيصر (٤٥ ق.م) وحيث ان القيمة ¼ ٣٦٥ يوما اكبر قليلا من القيمة الحقيقية فقد تراكمت الفروق حتى انتقل الاعتدال الربيعي من ٢١ مارس في القرن الرابع الى ١١ مارس في القرن ١٦ فأعلن جريجوري الثالث عشر حذف عشرة ايام من عام ١٨٥٢ واعلن ان السنين التي تقبل القسمة على مئة والتي كانت كبيسة طبقا للنظام القديم لا تعتبر كذلك الا اذا قبلت القسمة على ٤٠٠، ويختلف هذا التقويم ايضا عن اليوليوسي بان الاخير كان يبدأ في ٢٥ مارس بدلا من اول يناير[٨]

وشهور التقويم الميلادي الجريجوري: يناير، فبراير، مارس، ابريل، مايو، يونيو، يوليو، اغسطس، سبتمبر، اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر.

اما التقويم السرياني فشبيه بالجريجوري، وقد مر ذكر شهوره التي تبدأ بتشرين الاول.

وتقويم القبط القديم هو تقويم بختنصّر الاول كما يذكر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى وسنته ٣٦٥ بلا كسر، وشهوره: توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبه، امشير، برمهات، برمودة، بشنس، بؤونه، أبيب، مسرى.

ويبدأ القبط سنتهم بشهر توت ودخوله دائما يوم ٢٩ آب (أغسطس) وايام كل شهر ثلاثون، والخمسة المسترقة يلحقونها بالشهر الاخير، وفي السنة الكبيسة ستة ايام وحساب هذا التقويم شمسي وليس قمريا.

ويعرف تقويم القبط بالتاريخ الاسكندري او التقويم الاسكندري كما يعرف بتاريخ الشهداء، وهو يبدأ من سنة ٢٨٤ م وهي السنة التي ملك فيها الامبراطور دقلديانوس، اما العالم العربي البتاني فيذكر في كتابه «الزيج الصائي» ان بدء تاريخ القبط كان يوم الجمعة ٢٩ أغسطس سنة ٢٥ قبل الميلاد.

واما العرب فعرفوا بعض التقاويم وكانوا يؤرخون بالوقائع والاحداث الهامة التي كانت بينهم، فقريش واهل مكة كانوا يؤرخون بحروب الفجار وحلف الفضول (سنة ٥٧٠ – ٥٨٥ م) وبعام الفيل (٥٧٠ م تقريبا) وكان اكثر انتشارا لدى العرب، ويذهب بعض المؤرخين العرب الى ان مولد رسول الله سيدنا محمد عليه صلوات الله وسلامه كان في عام الفيل.

وكانت رسائل العرب بالحجاز خالية من التاريخ، فلما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة كانت رسائله غير مؤرخة وتلقى منه ابو موسى الاشعري رسالة غفلا من التاريخ، وان ذكر فيه اسم الشهر وكان شعبان، فبعث اليه رسالة يذكر له فيها انه ترده منه كتب لا تاريخ بها، ويشير الى كتاب عمر الاخير الذي جاء فيه اسم الشهر (شعبان) فسأله اي الشعبانين؟ اهو الذي مضى ام الذي سيأتي؟.

واستشار الصحابة فاشار من عنده رأي برأي، وقيل: ان عمر وعليا رأى احدهما او كلاهما اتخاذ الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي.

وكان الصحابة يحفظون القرآن، ووقفوا على الآيات البينات المحكمات فيما يتصل بالزمان وارتباطه بالشمس والقمر والليل والنهار

وآية «يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج» صريحة في ربط التاريخ بالقمر، فهو المعمول عليه دون الشمس في تحديد دخول اول السنة، وفي دخول رمضان وخروجه، واهلال شهر الحج، ويوم عرفه وايام التشريق، وايام الليالي البيض، وغير ذلك من امور الشرع الشريف واحكامه وفرائضه.

وادرك الصحابة كل هذه الاحكام المرتبطة بالقمر كما ادركوا ان الحساب فيها وفي كثير غيرها مرتبط بالقمر وبخاصة ان

[٨] الموسوعة العربية الميسرة (مادة) تقويم

الشهور التي ذكر الله عدتها شهور قمرية.

لهذا ربطوا بالقمر تاريخهم وبنوا عليه تقويمهم واصبحت العلامة الفارقة بين الاسلام وغيره من اهل الملل والنحل انه بنى حساب السنين على السنين القمرية الخالصة.

والسنة القمرية الخالصة تتكون من اثني عشر شهرا قمريا، وكل شهر قمري يحوي ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان، وبذلك تكون السنة القمرية الخالصة ٣٥٤ يوما و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٣٦ ثانية.

ولهذا لا يتفق اول السنة القمرية واول السنة الشمسية الا كل ثلاث وثلاثين سنة مرة واحدة على وجه التقريب لا التحديد، وتساوي على وجه التقريب ايضا كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين سنة شمسية.

وآية «وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب» تقرر بوضوح ان القمر هو مقياس الزمان.

ومولد رسولنا الكريم محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم كان يوم الاثنين من شهر ربيع الاول، واختلفوا في تحديد تاريخ اليوم، فذهب فريق الى انه ولد في اليوم الثامن وفريق في اليوم العاشر، وفريق في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول يوم الاثنين، وقيل: ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، وجزم ابن دحية انه كان لثمان مضت منه، وقال: «لا يصح غيره، لان عليه اجماع اهل التاريخ».

وعني اعظم العناية بعض علماء المسلمين بتحقيق مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهى احد اكابر العلماء في الدنيا وهو العلامة الفلكي محمود حمدي باشا الفلكي المصري الى تحقيق كل الاقوال، ثم جاء برأي جديد مبني على التمحيص والبحث الدقيق كان – على ما يعتقد ارجح الاقوال واصحها.

ذكر رحمه الله ان التواريخ المختلف فيما بينها في مولده عليه صلاة الله وسلامه هي ٨ و ١٠ و ١٢ من ربيع الاول، وليس منها، ما يوافق يوم اثنين، وان يوم الاثنين انما كان على التحقيق هو يوم ٩ ربيع الاول، وعليه يكون مولده صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الاول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ الميلادية وسنة ٨٨٢ من عهد ذي القرنين وسنة ٢١٦ من التاريخ العربي (الجاهلي) الذي كانت اشهره هي اشهر التاريخ الهجري باسمائها وترتيبها، وسنة ٤٠ من ملك كسرى انو شروان.

واما يوم الهجرة من مكة الى يثرب فهو يوم الاثنين غرة ربيع الاول ١٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ ودخل قباء يوم الاثنين ٨ ربيع الاول (٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م).

ولم يتخذ مبدأ التاريخ الاسلامي يوم الهجرة او يوم وصول المدينة، لان الصحابة الكرام راوا ان يبدءوا باول المحرم لانه اول السنة عند العرب، ورضيه المسلمون، وانما اتخذوا سنة الهجرة مبدأ التاريخ.

ولو اتخذ الصحابة يوم ٨ ربيع الاول او اي يوم فيه مبدأ التاريخ الاسلامي لحصل تضارب بين السنة المعروفة المبدؤة بمحرم والتي اخذ بها المسلمون وبين التاريخ الهجري الجديد، وتخلصوا من الخلاف بالموافقة على ان يكون بدء التاريخ من المحرم.

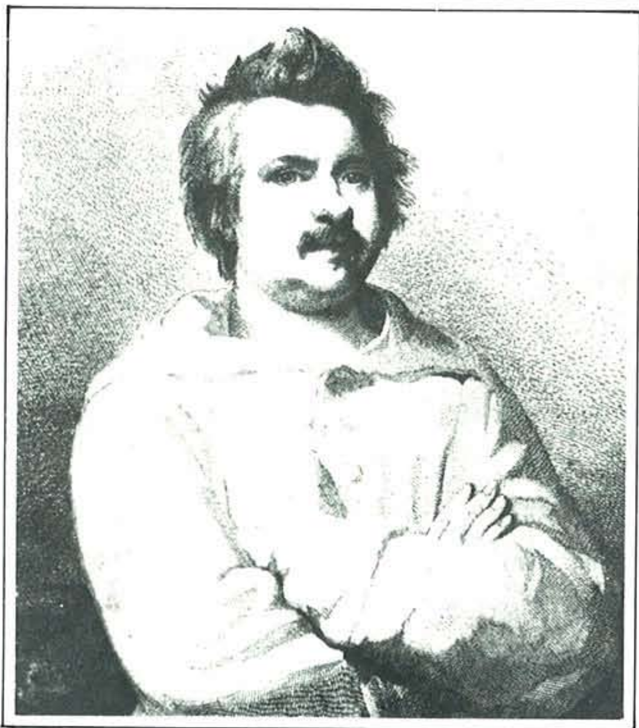
واذا كان التقويم الهجري ثبت في وجه التغيير والتبديل والاحتيال عليه بالترميم والتهذيب فان كل تقويم قديم تعرض لما امن منه التقويم الهجري.

يقول صديقنا العقاد رحمه الله: «وضعت التقويمات الفلكية لضبط الزمن وتقييد مواعيده، وتطويعه للحساب الذي تجري عليه الشهور والسنون، ولابد ان تجري عليه الاحقاب والدهور، ثم يأبى الزمن الا ان يلقى عبرته على كل معتبر، ويأبى الا ان تكون التقويمات نفسها مظهرا لهذه العبرة الخالدة التي لا خلود لعبرة سواها، وعبرته الدائمة الا دوام، وكذلك تحدثنا التقويمات التي وضعت لضبط الزمن المغير المتغير وتقييده بوتد وإلجامه بلجام، فما من تقويم من تلك التقويمات الفلكية بقي اليوم على الحساب الذي وضع عليه ومن شاء تمام العبرة فتمامها العجيب ان التقويم الذي بقي كما كان يوم وضعه هو التقويم الذي يقال: انه غير صالح للبقاء، لانه لا يصلح لحساب اعمال المعيشة ومواسم الزرع والحصاد، وذلك تقويم السنة الهجرية، فمنذ وضع هذا التقويم لم يتغير له نظام، وقد تغير بعده نظام كل تقويم قديم».

«ثم كبر النوع الانساني عن افق القمر وتطلع من فوقه الى افق الشمس الكبرى، ولكنه حاول ان يفرض عليها المسير كما يريد او كما ارادته العقيدة التي يؤمن بها في ترتيب مواسمه واعياده، وتوقيت عباداته وشعائره، فلم يزل مع الشمس في خلاف الى هذه الساعة وقد يبلغ به الغرور ان يترقب منها التحول على هواهم، لولا انها لا تستطيع ذلك، وان صحت عزيمتها عليه، لانه هو نفسه لا يتفق على هواه.

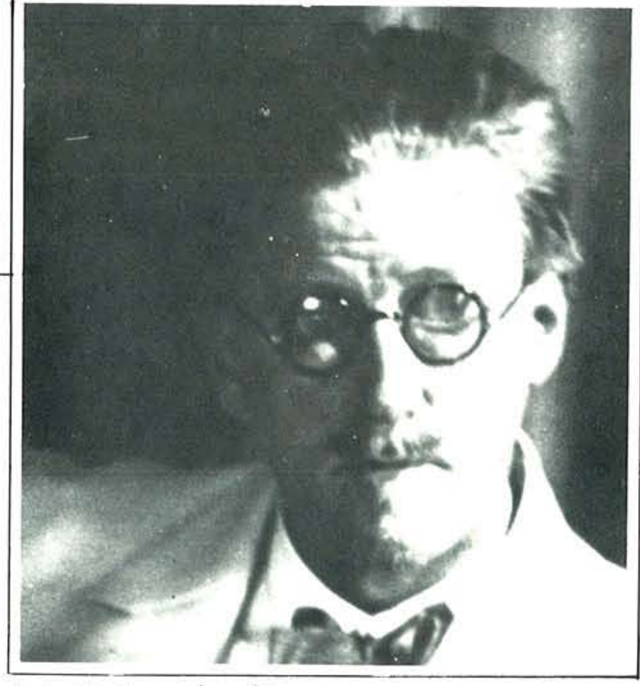
أزمة الفن في عالمنا المعاصر

بقلم: د. سمير سرحان





البوت ↓ ↑ جويس



يمر الفن والادب في عصرنا هذا بأزمة لم يشهدها من قبل في أي عصر آخر فمنذ أوائل الستينات من هذا القرن ظهر ما يسمى بالثورة التكنولوجية التي نقلت البشرية من العصر الصناعي الاول الذي يعتمد على الآلات التقليدية الى العصر الصناعي الثاني الذي يعتمد على الالكترونات والكمبيوتر .. وكانت الانتصارات العلمية في هذا العصر الصناعي الثاني من الضخامة والابهار بحيث أصبح المهتمون بالثقافة النظرية والفن على وجه الخصوص يشكون في مستقبل هذا النوع من النشاط الانساني .. بل ويعلنون حلول نهايته .. فمن ذا الذي يهتم ؟ هكذا يقولون في عصر الصعود الى القمر والصواريخ العابرة للقارات والكمبيوتر الذي يؤدي ملايين العمليات الحسابية في ثوان معدودة – من ذا .. الذي يهتم بقراءة رواية او النظر الى لوحة او الاصغاء الى قصيدة من الشعر ؟ وبدأ أيضاً ان ممارسة النشاط الفني أصبح شيئاً مملاً وغير مجد بالنسبة لمن يمارسونه أنفسهم ناهيك عن الجمهور العادي الذي يفترض فيه أنه الجهاز الذي يتلقى هذا الفن ويستمتع به ويقيمه .. والذي بدونه لا وجود لأدب أو فن الا اذا سلمنا ان الفنان أو الاديب ينشئ العمل الفني لنفسه فقط او لدائرة محدودة من اصدقائه. وهذا طبعاً غير وارد.

الاشكال الأدبية .. والفنية

ومما يزيد من تفاقم المشكلة ان بعض الاشكال الادبية والفنية التي كانت تلقى رواجاً وانتشاراً ضخماً في القرن التاسع

ديكنز ↑ ↓ باوند



عشر مثلاً لم يعد لها نفس المكانة اليوم كما أنها لم تعد تلبي لدى القارئ او المتلقي نفس الحاجات القديمة .. فالرواية مثلاً نشأت في القرن الثامن عشر في اوروبا لتلبي حاجة اساسية وهي تصوير المجتمع بما فيه من أخلاق وعادات ونماذج للسلوك البشري .. وقد كانت الرواية الاجتماعية في القرنين الثامن والتاسع عشر هي بحق سجل لحركة المجتمع ومرآة له تقوم – الى جانب قيمتها الفنية – مقام الصحافة وهذا ما حدا بكاتب كبير مثل **الروائي الفرنسي بلزاك** لأن يقول انه كان مجرد «سكرتير» للمجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر وهو يدون روايته «الكوميديا الانسانية» وان هذا المجتمع هو الذي كان يملي عليه الرواية أما دوره فكان ينحصر في التدوين .. وهذا القول وان كان ينطوي على مبالغة فنية من بلزاك الا انه يفصح عن حقيقة هامة وهي أن الرواية – كشكل فني – كانت مرآة للمجتمع بعاداته وتقاليده وانماط سلوكه وتركيبه البشري والاقتصادي..

مع ظهور الفن الحديث في القرن العشرين والذي بدأ عملياً بظهور **ازرا باوند وت.أس. اليوت** في النقد الادبي **وجيمس جويس** في الرواية بدأت الرواية تفقد وظيفتها الاجتماعية تماماً .. وتتحول بالتدريج الى تعبير ذاتي عن مشاعر الاديب ذاته واحساسه بالعالم من حوله .. وذلك لأن «موجة» الحداثة في الادب والفن اهتمت بهدم الواقعية والبحث عن اشكال جديدة في التعبير الفني والادبي تحطم القواعد الفنية التقليدية .. وينطبق نفس الاتجاه في الرواية على سائر الفنون .. فالموجة الحديثة في الادب والفن كانت تعني «التجريب» في الشكل الفني .. فظهر في الرواية مثلاً ما يسمى بأسلوب «تيار الوعي» الذي ينقل الحدث من الحقيقة الواقعية الى داخل عقل الشخصية والذي يلغي الزمن التقليدي القائم على السببية ليحل محله الزمن النفسي او اللحظة المكثفة التي تحتوي في طياتها على احساس الشخصية بالماضي والحاضر والمستقبل معاً في نفس اللحظة .. وفي المسرح مثلاً ظهرت عدة اتجاهات تهدف الى هدم ما يسمى «بالحائط الرابع» او بمعنى آخر الغاء عنصر الايهام المسرحي الذي نص عليه **ارسطو** وظل يسود فن الدراما حتى القرن التاسع عشر .. ليحل محله اشكال تجريبية مثل التعبيرية داخل المسرحية **(بيراندللو)** ومسرح العبث والمسرح الملحمي وغيرها .. وكلها اتجاهات تهدف الى هدم الاشكال التقليدية للمسرح التي تقوم على محاكاة الواقع في شكل منطقي له بداية ووسط ونهاية ويتطور من العرض الى الازمة الى الانفراج..

وقد اشتركت معظم هذه الاتجاهات – على تفاوت فترات ظهورها – في صفة واحدة وهي انها اتجاهات «رائدة» ولكنها جميعاً ومع بدء الستينات بدأت تفقد هذه الصفة لتصبح بدورها «تقليدية» وبعد ان كانت في يوم من الايام جديدة لها كل سحر الجديد وفعاليته اصبحت الآن مجرد اشكال تجريبية كانت صالحة لزمانها وأدت الغرض منها ولكنها لم تستطع ان تلبي حاجات القارئ او المتلقي الاساسية وهي ان تعكس له الحياة وتضيف الى فهمه لها ووعيه بها.

ازمة الفن في عالمنا المعاصر

وسائل الاعلام .. وازمة الأدب

وقد ضاعف من ازمة الادب في الستينات ايضاً طغيان وسائل الاعلام البصرية والسمعية كالاذاعة والتليفزيون على دور الكلمة المكتوبة، وذلك بما تقدمه هذه الوسائل من وجبات ثقافية خفيفة قد تغني الفرد العادي – ولو مؤقتاً – عن ان يتتبع الثقافة الجادة او – على اقل تقدير – قد تلهيه عن متابعة مثل هذا النوع من الثقافة الذي تقدمه الكلمة المكتوبة، وذلك لانها لا تتطلب نفس المجهود الذهني والجسماني او الوقت الذي تتطلبه القراءة العميقة المتأنية.

وقد حاولت بعض الفنون – والرواية بوجه خاص ان تتخطى الازمة بأن تعود الى أداء وظيفتها الاولى وهو تصوير حقائق المجتمع وسبل الحياة فيه ولكن بصورة اخرى تناسب العصر وذلك بأن تحاول ان تؤدي نفس الوظيفة التي يؤديها الريبورتاج الصحفي الذي يقدم من الحقائق والمعلومات ما يعطي للقارئ صورة متكاملة عن قطاع معين من قطاعات المجتمع .. فظهرت «الرواية الريبورتاج» عند «**ترومان كابوتي**» و «**توم وولف**» وغيرهما .. ولكن هذا النوع من الرواية الذي يقوم على التوفيق وجمع المعلومات وصياغتها في صورة قصة لم يستطع الاقتراب من الرواية الفنية والواقعية في القرن التاسع عشر كما كتبها «**ديكنز**» و «**بلزاك**» وغيرهما، كما انه لم يستطع في نفس الوقت ان يؤدي مهمة الريبورتاج الصحفي الحقيقي والذي لا يغلف الحقيقة في اطار من الفن..

كل هذه الحقائق والملابسات ادت الى ان يقع الادب والفن في أزمة حقيقية نظراً لانه بدأ يفقد الدور الذي كان يلعبه في الماضي سواء لانه حاد عن اداء وظيفته الاجتماعية واما لطغيان وسائل الاعلام عليه بما تقدمه من وجبات سهلة وخفيفة .. وحتى الاتجاهات الطليعية فقدت حداثتها وحماس الناس لها بعد حوالي خمسين سنة من ظهورها لانها اصبحت تمثل في حد ذاتها تقليداً ادبياً وفنياً.

الحلول المطروحة

ما هي اذن الوسيلة للخروج من هذه الازمة التي يعانيها الفن .. هل هي بالعودة الى القيام بالدور الذي لعبه في الماضي حتى القرن التاسع عشر وهو ان يكون مرآة تعكس لنا حياتنا .. اي باختصار العودة الى الفن الواقعي الذي يعطينا صورة امينة للواقع ؟

ولكن هذه الدعوة تقابل بمشكلات عديدة، فالواقع نفسه اصبح في السبعينات من التعقيد والتشابك بحيث لا يمكن لعمل فني واحد مهما كان طوله ان يلم به كما كان ديكنز مثلاً يلم بمشكلات المجتمع الانجليزي في القرن التاسع عشر.. كما ان الفنون التصويرية كالتليفزيون والسينما اصبحت اكثر قدرة من الكلمة المكتوبة على نقل صورة اكثر امانة للواقع عن طريق الصورة .. فهذه الوسائل هي بطبيعها «واقعية» لا يمكن للادب او الفن التشكيلي منافستها في نقل ابعاد الواقع كما هو.

الوسيلة في نظري هي ان نعترف للادب والفن بدوره في حياتنا الذي يختلف تماماً عن دور الصحافة من ناحية ودور الوسائل التصويرية كالسينما والتليفزيون من ناحية أخرى .. وهو ان يكون «فوق الواقعية» بمعنى ان الادب والفن الجاد لا يعني مطلقاً بتصوير الواقع كما هو فهذه وظيفة تؤديها الوسائل التصويرية بالاضافة الى انه غير قادر على هذا نظراً لتشابك الواقع وتعقد مشكلاته في العصر الحديث .. وانما يجب أن ننظر الى الادب والفن باعتباره وسيلة من وسائل «تجميع» الواقع في شكل فني مضيئ يكشف لنا عن اجزاء هذا الواقع ويمدنا برؤيا جديدة له .. فليست مهمة الاديب او الفنان ان يعطينا صورة مطابقة للواقع لانه مهما بذل من الجهد لا يقدر على اكثر من تصوير جزء ضئيل منه .. وانما تكمن مهمته الاساسية في اكتشاف المعنى او «النمط» الذي يكمن وراء هذا الواقع وذلك باكتشاف العلاقات الخفية التي تربط اجزاء الواقع المتناثرة بعضها بالبعض .. وعندئذ يستطيع الادب والفن ان يؤدي دورا فريدا في حياتنا لا غنى عنه فسوف يظل الانسان دائماً شغوفاً باكتشاف «المعنى» الذي يكمن وراء الحياة التي يعيشها .. فاذا قام الادب والفن بهذه الوظيفة فسوف يظل يلبي حاجة اساسية من حاجات الانسان مثلها مثل الطعام والشراب والنوم .. وعندئذ لن يكون هناك خوف على مستقبل الادب والفن في عصر الالكترونات والاقمار الصناعية.

رحلة في كتاب

الرواية المغربية

abdelkabir khatibi

le roman maghrébin

domaine maghrébin
collection dirigée par a. memmi



FRANÇOIS
MASPERO

من أين .. وإلى أين ؟

تأليف :
عبد الكبير خطيبي

عرض وتحليل :
فتحي العشري

في مقدمة كتابه «**الرواية المغربية**» يقول «**عبد الكبير خطيبي**» لقد حاولت ان اقدم اهم الروايات المغربية، تلك التي تعتمد على الرؤية الاجتماعية، فان ما يميز رواية عن اخرى هو ذلك الحس الاجتماعي المرتبط بداهة بالوضع السياسي...

ونستخلص من مقدمة «**عبد الكبير الخطيبي**» ظاهرتين على جانب كبير من الاهمية، الظاهرة الاولى هي ان فئة من المفكرين في فرنسا كانوا اكثر تفهما وتعاطفا وتحمسا لكتاب الرواية المغربية – ومعظمهم يكتبون بالفرنسية – من غيرهم، على الرغم من هجوم هؤلاء الكتاب الضاري على الحضارة الاوروبية والفرنسية بالذات خاصة بعد نشوب الحرب الجزائرية وعلى الرغم ايضا من تمسك هؤلاء الكتاب بقوميتهم العربية وقيمهم الاجتماعية ودينهم الاسلامي .. والظاهرة الثانية هي ان كتاب الرواية المغربية استطاعوا ان يثروا الحركة الادبية الفرنسية وان يسجلوا اسماءهم واعمالهم في تاريخ الادب الفرنسي، وابرز هؤلاء **محمد ديب مولود فرعون ومالك حداد وآسيا جبار وكاتب ياسين ومولود معمري ومارجريت كاروسا..**

ولقد صحب تألق هؤلاء الكتاب ظهور عدد من النقاد والدارسين لادبهم مثل **البير ميحى ومصطفى الاشرف وعبد الله لاروي ومحمد رشاد الحمزاوي وعبد الكبير خطيبي** نفسه .. اما في فرنسا فان ابرز من تصدى لهذا الادب الوليد اثنان من الدارسين اولها مدافعا وهو المصري المقيم في فرنسا الدكتور «**انور عبد الملك**» من خلال كتابه «الشرقية في خطر» والثاني مهاجما وهو ناقد الفيجارو الفرنسي «**روبير كامب**» المصدوم دائما في جرأة الكتّاب المغاربة وهجومهم المستمر على الفرنسيين وحضارتهم..

ولكن لماذا الرواية دون غيرها من اشكال التعبير الادبية ؟!

يقول «**عبد الكبير خطيبي**» ان الرواية شكل غربي لم يزدهر إلا في القرن التاسع عشر ولم يعرفه العرب إلا في القرن العشرين، ولهذا لا يصبح غريبا او مستغربا ان يلجأ العرب الذين يكتبون بالفرنسية الى هذا الشكل الراسخ لكي يضمنوه قضاياهم المثارة حتى يحققوا هدفين غاليين احدهما يرتبط بالشكل حيث تتوفر القيمة الفنية للعمل الادبي والاخر يرتبط بالانتشار حيث تسهل مهمة القراءة دون اللجوء الى الترجمة والتعرض لضياع المعنى اثناء القيام بعملية النقل من لغة الى اخرى..

ورغم هذه الاستعارة شكلا ولغة فان بعض الكتاب المغاربة قد حاولوا استحداث اشكال ادبية تساير طموحاتهم الفكرية مثلما فعل **كاتب ياسين** في روايته المتميزة «**نجمة**»

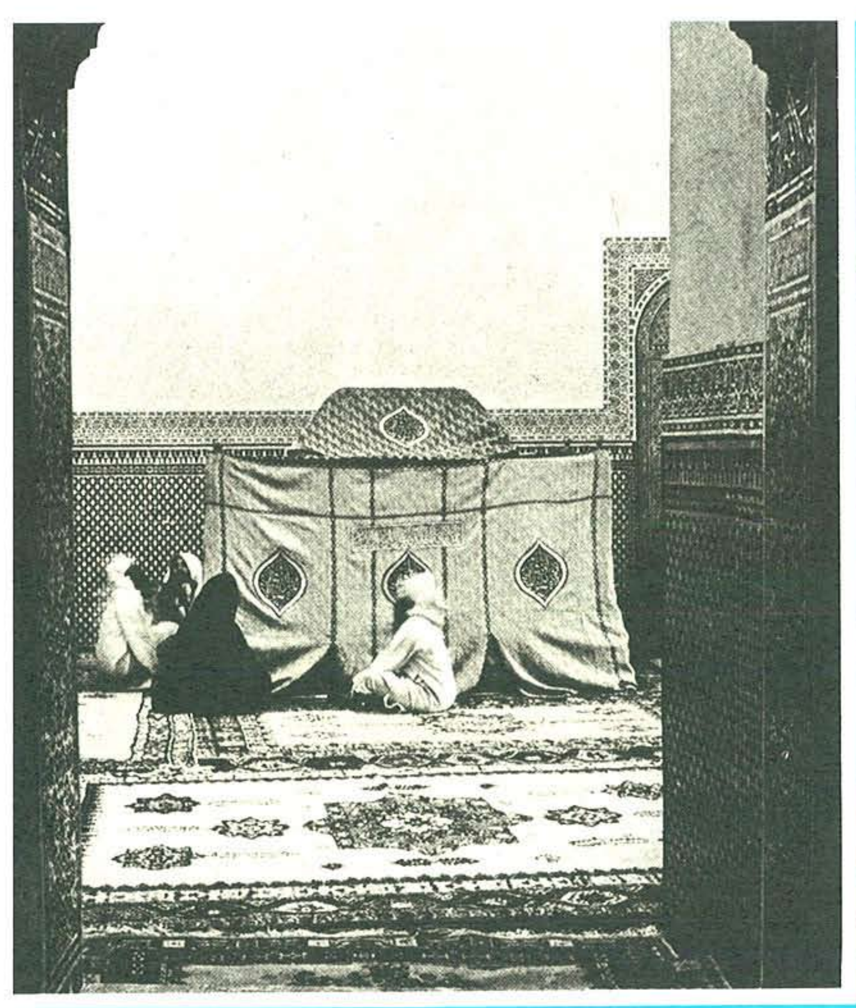
فاذا كان كتاب الجزائر قد ظلوا لفترت طويلة يكتبون بالفرنسية نتيجة تأخرهم في الحصول على الاستقلال وحاجاتهم الى مخاطبة المستعمر بلغته بل وبفنه، فان كتاب المغرب وتونس قد لجأوا مباشرة الى لغتهم العربية وان استعاروا هم ايضا الشكل الفني الغربي مع محاولة تعريب هذا الشكل وصهره في بوتقة التراث القومي والفلكلور الشعبي المتأصلين في الشرق الاوسط والممتدين عبر الشمال الافريقي..

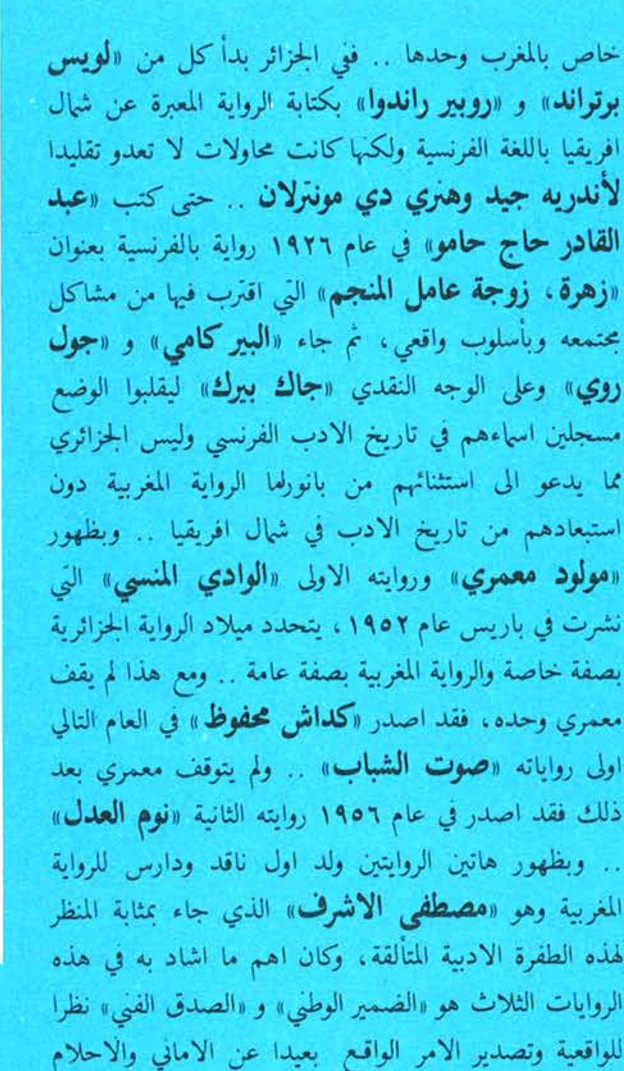
واذا كانت الموضوعات الانسانية الخالدة تنحصر في الحب والحقد والكراهية فان كتاب شمال افريقيا بصفة عامة قد اضافوا الى هذه المشاعر الشعور بالثورة وذلك منذ عام ١٩٤٥ على وجه التحديد وحتى الآن..

واذا كان هؤلاء الكتاب وخاصة الذين كتبوا بالفرنسية قد استهدفوا المستعمر، فماذا فعلوا بعد استقلال ١٩٦٨ النهائي وماذا هم فاعلون الآن ؟!

موقف الرواية المغربية

المعروف ان مصطلح «**الرواية المغربية**» يطلق على الجزائر وتونس فضلا عن المغرب حتى لا يشاع الاعتقاد بأنه مصطلح





خاص بالمغرب وحدها .. في الجزائر بدأ كل من «**لويس برتراند**» و «**روبير راندوا**» بكتابة الرواية المعبرة عن شمال افريقيا باللغة الفرنسية ولكنها كانت محاولات لا تعدو تقليدا **لأندريه جيد وهنري دي مونترلان** .. حتى كتب «**عبد القادر حاج حامو**» في عام ١٩٢٦ رواية بالفرنسية بعنوان «**زهرة، زوجة عامل المنجم**» التي اقترب فيها من مشاكل مجتمعه وبأسلوب واقعي، ثم جاء «**البير كامي**» و «**جول روي**» وعلى الوجه النقدي «**جاك بيرك**» ليقلبوا الوضع مسجلين اسماءهم في تاريخ الادب الفرنسي وليس الجزائري مما يدعو الى استثنائهم من بانورلما الرواية المغربية دون استبعادهم من تاريخ الادب في شمال افريقيا .. وبظهور «**مولود معمري**» وروايته الاولى «**الوادي المنسي**» التي نشرت في باريس عام ١٩٥٢، يتحدد ميلاد الرواية الجزائرية بصفة خاصة والرواية المغربية بصفة عامة .. ومع هذا لم يقف معمري وحده، فقد اصدر «**كداش محفوظ**» في العام التالي اولى رواياته «**صوت الشباب**» .. ولم يتوقف معمري بعد ذلك فقد اصدر في عام ١٩٥٦ روايته الثانية «**نوم العدل**» .. وبظهور هاتين الروايتين ولد اول ناقد ودارس للرواية المغربية وهو «**مصطفى الاشرف**» الذي جاء بمثابة المنظر لهذه الطفرة الادبية المتألقة، وكان اهم ما اشاد به في هذه الروايات الثلاث هو «الضمير الوطني» و «الصدق الفني» نظرا للواقعية وتصدير الامر الواقع بعيدا عن الاماني والاحلام والهرب الى المستقبل المجهول..

وفي المغرب اشترك كل من «**سي قدور بن شابريت**»، «**عبد الخالق آتوريس**» و «**محمد تازي**» في كتابة المقالات والقصص والانطباعات التي لم تقترب بعد من فن الرواية ولكنها كانت جميعا باللغة العربية، هذا اذا استبعدنا من المجال الروائي شاعر القومية العربية الكبير «محمد علال الفاسي» الذي ظهر جليا في عام ١٩٢٩ .. اما «**دريس شرايبي**» فقد هوجم عنيفا من مثقفي المغرب لمجرد انه اختار الحياة في باريس مع ان غالبية الكتاب قد عاشوا هناك زمنا طويلا امتد الى عام التحرير عام ١٩٦٨. وحتى الآن .. الا ان الهجوم ينطوي في حقيقته على المضمون الميتافيزيقي لروايات شرايبي نفسها، فهو يعترف بأنه ليس مع الاستعمار ويعترف صراحة بأنه ليس ضد الاستعمار، ويعلن عن رغبته في ان يكون كاتبا انسانيا عالميا وليس كاتبا اجتماعيا محليا .. وعلى الرغم من عودته الى ينابيعه الاصلية والاصيلة بعد ذلك الا ان الوقت كان قد فات على حد تعبير النقاد المغاربة بصفة عامة..

وفي تونس نص دستور ١٩٣٠ على تدريس اللغة العربية واعتبارها اللغة القومية للبلاد، ساعد على تطبيق هذا القرار الوطني انشاء كليتي الزيتونة وصديقي .. ولهذا برز الشاعر الكبير «**ابو القاسم الشابي**» على المستوى العربي وقدم «**علي الدواوجي**» اول رواية تونسية باللغة العربية عام ١٩٣٥ .. وارتبط الادب بالسياسة في تونس وساد المصطلح الفني الجديد للرواية النفسية الاجتماعية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وان تأثر كتاب المنطقة العربية فضلا عن تونس بكل من **بروست وكافكا وجويس**..

وقد مرت الرواية المغربية بثلاث مراحل:

**** المرحلة الاولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٣**

وهي المرحلة التي اعتمدت على الوصف التحليلي للحياة اليومية من ناحية وتمجيد البطولات التاريخية المستمدة من التراث الشعبي من ناحية اخرى، في الوقت الذي تفشت فيه ظاهرة الرواية البوليسية وخاصة في اوروبا وجنوب امريكا لجأ كتاب شمال افريقيا الى الف ليلة وليلة، ليؤكدوا على دور المغامرات المعتمدة على الحيلة والشجاعة والفداء في تراثهم القومي .. وابرز اعلام هذه المرحلة الاولى **مولود فرعون**



ومولود معمري ومحمد ديب (في اعماله الاولى)..

** **والمرحلة الثانية من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٨** وهي المرحلة التي استهدفت تغريب الثقافة الاوروبية اي جعلها ثقافة مغربية عربية خالصة، في الوقت الذي سادت فيه فكرة الخلاص والبحث عن الذات دون الالتفات الى تجارب الآخرين عملا بالحكمة القائلة بأن لكل شعب ظروفه وشخصيته وسيرته .. وابرز اعلام هذه المرحلة الثانية **البير ميحى** (من خلال روايته تمثال الملح) **وادريس شرايي** (من خلال روايته الماضي البسيط) **وكاتب ياسين** (من خلال روايته نجمة)..

** **والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٢ وهي مرحلة الادب الداعي الى الاستقلال المنصب اساسا على الحرب الجزائرية، بمعنى ان الالتزام بالوطن وبقضاياه هو الاساس بغض النظر عن اللغة التي يعبر بها الكاتب عن هذا الالتزام .. بل ادى هذا الازدواج الى كشف المستعمر لمجرد ضمان وصول هذه الصيحات اليه والى من يقرأون لغته لجهلهم بلغة الوطن المكافح .. وابرز اعلام هذه المرحلة الثالثة آسيا جبار ومالك حداد ومحمد ديب** (في اعماله الاخيرة)..

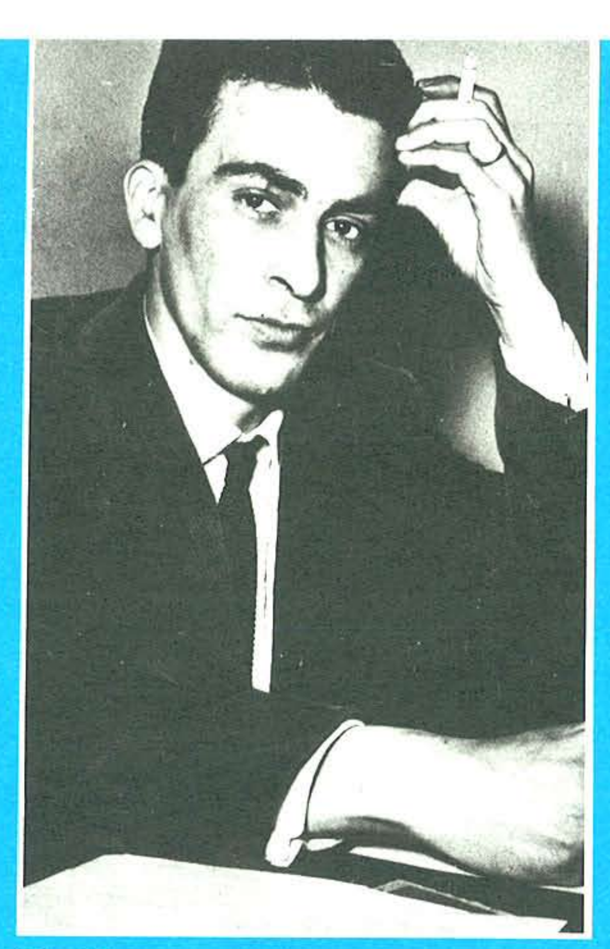
** **ولعل مرحلة رابعة** لا تزال في دور التكوين لانها مرحلة الهدوء والتقاط الانفاس تلك التي تلت الاستقلال النهائي واخذت تصفي الصراعات الداخلية وتعمل على البناء الوطني وتتطلع الى مستقبل افضل، ولهذا تناقص عدد الروايات من ناحية ولم تلمع اسماء جديدة في سماء الرواية المغربية على الاطلاق..

فنون الرواية المغربية

من خلال جدول بياني مبسط يتضح ان عدد الروايات التي كتبت بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٦٢ (اي على مدى ١٨ عاما) لم يزد عن ٤١ رواية، ٣٤ منها باللغة الفرنسية و ٧ فقط باللغة العربية موزعة على المغرب وتونس دون الجزائر..

ومن هذا الجدول ايضا يتضح ان عدد النسخ يتراوح بين ١٥٠٠ الى ١٥ ألف نسخة، لم يهتم بنشر طبعات شعبية منها غير «عمانويل روبليس» الجزائري الاصل الذي خصص للادب المغربي طبعة اسماها «ميديترانية»..

ومن هذا الجدول نتبين ان الروائيين المغربيين لم يزد

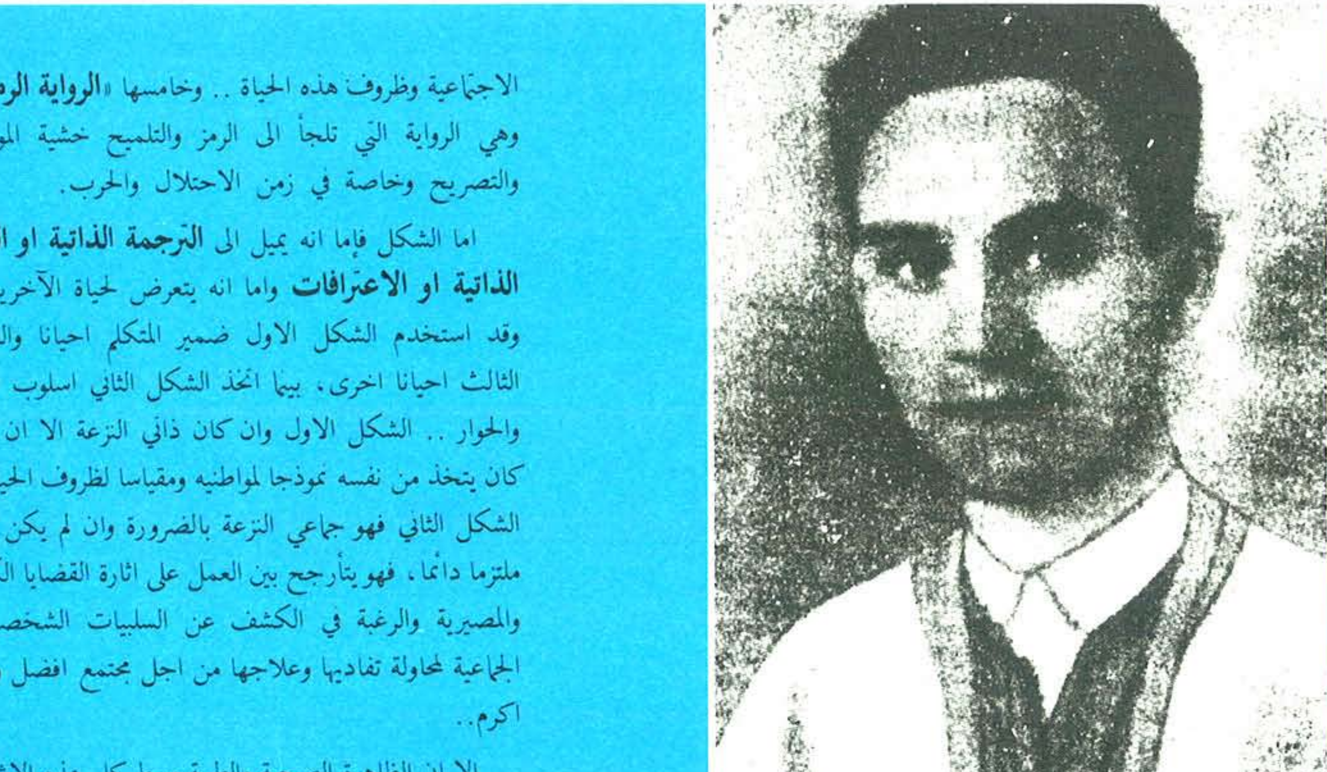


كاتب ياسين

عددهم على ٢١ روائيا ١٣ منهم يعملون بالصحافة والتعليم واثنان يعملان بالوظائف الحكومية واثنان يعملان بالمهن المختلفة واربعة متفرغون للكتابة..

فاذا كان الروائيون الذين يكتبون بالفرنسية قد تأثروا بأدباء أوروبا والفرنسيين منهم بصفة خاصة فان الروائيين الذين يكتبون بالعربية على قلتهم قد تأثروا بالأدباء العرب والمصريين منهم بصفة خاصة .. ومع هذا فان عددا من كتاب اللغة الفرنسية لجأوا الى الاعمال العربية المترجمة لكبار الكتاب مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستطاعوا ان يمزجوا بين تأثرهم الغربي ومحاولة التأصيل العربية .. ولهذا فان كانت الرواية المغربية قد كتبت باللغة الفرنسية الا ان الروح نفسها ظلت عربية بل ومحلية جدا في بعض الاحيان ..

وفي الوقت الذي لم يعان فيه كتاب اللغة الفرنسية من مشكلة ازدواج اللغة، فهم يكتبون مثلما يتكلمون مع فارق بسيط هو الفارق بين اللغة الرفيعة واللغة العادية وهو فارق نوعي يتصل بالاسلوب اكثر من اتصاله باللغة نفسها، فان كتاب العربية قد واجهوا مشكلة الفارق الكبير بين لغة الكتابة ولغة الكلام او بين الفصحى والعامية، فمنهم من التزم بلغة «القرآن الكريم» نصا وروحا ومنهم من لجأ الى الفصحى



ابو القاسم الشابي

الحديثة إن صحَ التعبير، ومنهم من كتب فصحى الجرائد والمجلات، وقليلون هم الذين جرأوا على استخدام العامية وان لم يكن استخداما كاملا، فقد قصدوا استخدامها على الحوار، اما السرد فقد ظل يكتب بالفصحى وان كانت هي الفصحى المخففة .. وهذه المشكلة لا تقتصر على كتّاب الرواية المغربية ولكنها تمتد الى الوطن العربي كله وخاصة بعد فشل المحاولة التي بدأها «توفيق الحكيم» وأطلق عليها مصطلح «اللغة الثالثة».

نوعية الرواية المغربية

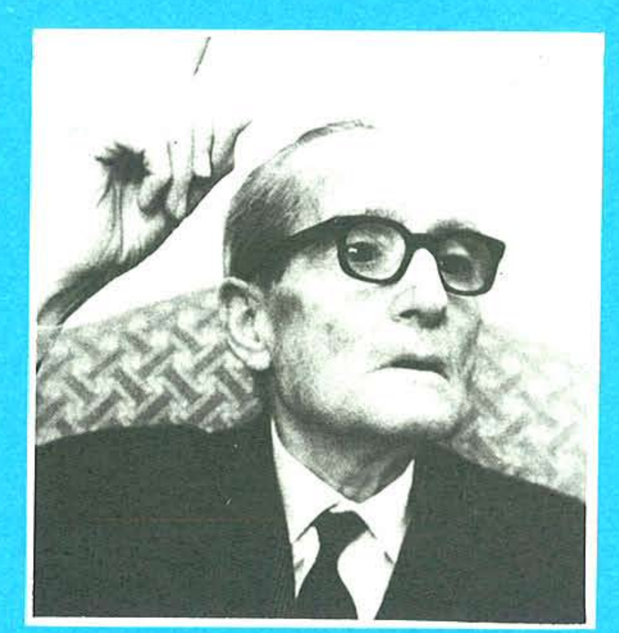
تنقسم الرواية المغربية الى خمسة انواع متميزة .. اولها .. «**الرواية الشعبية**» وهي الرواية التي تهتم بوصف وتحليل الحياة اليومية مع التركيز على العادات والتقاليد المتوارثة والمكتسبة .. وثانيها «**الرواية التاريخية**» وهي الرواية التي تستهدف البطولات المعاصرة بالرجوع الى البطولات التاريخية. وثالثها «**الرواية السيكولوجية**» وهي الرواية التي تنفذ الى الحياة الداخلية للناس .. ورابعها «**الرواية الواقعية**» وهي الرواية الاجتماعية التي ترسم صورة مكبرة للحياة الاجتماعية وظروف هذه الحياة .. وخامسها «**الرواية الرمزية**» وهي الرواية التي تلجأ الى الرمز والتلميح خشية المواجهة والتصريح وخاصة في زمن الاحتلال والحرب.

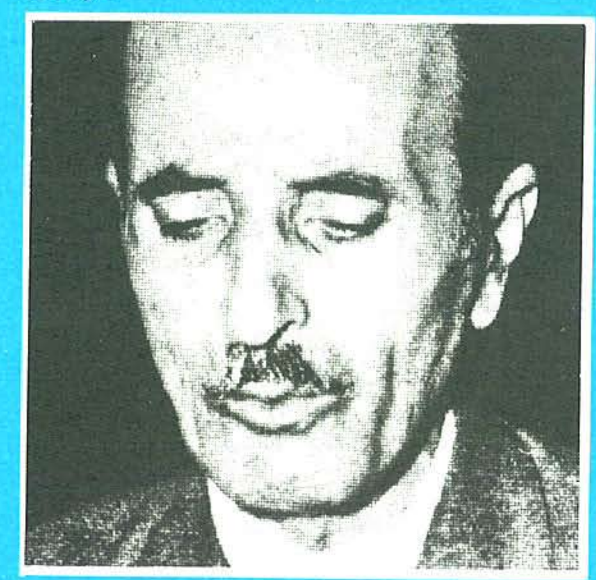
اما الشكل فإما انه يميل الى **الترجمة الذاتية او السيرة الذاتية او الاعترافات** واما انه يتعرض لحياة الآخرين .. وقد استخدم الشكل الاول ضمير المتكلم احيانا والضمير الثالث احيانا اخرى، بينما اتخذ الشكل الثاني اسلوب السرد والحوار .. الشكل الاول وان كان ذاتي النزعة الا ان كاتبه كان يتخذ من نفسه نموذجا لمواطنيه ومقياسا لظروف الحياة اما الشكل الثاني فهو جماعي النزعة بالضرورة وان لم يكن كاتبه ملتزما دائما، فهو يتأرجح بين العمل على اثارة القضايا الكبرى والمصيرية والرغبة في الكشف عن السلبيات الشخصية او الجماعية لمحاولة تفاديها وعلاجها من اجل مجتمع افضل وحياة اكرم..

الا ان الظاهرة الصحية والطيبة وسط كل هذه الاشكال والاساليب والمواصفات والاهداف هي ان ذلك الادب الروائي منذ مولده وحتى اشتداد عوده مرورا باعقد الازمات واروع الاختبارات لم يكن ادبا موجها او دعائيا بل كان ادبا انسانيا بأصدق المعاني واشرف النوايا والغايات..

ولا يعني ذلك ان كل كتاب الرواية المغربية قد حافظوا على هذا الاطار وتلك المضامين فقد لجأ البعض الى ما يسمى بالفن للفن دون الالتفات الى القضايا المصيرية الملحة والمشاكل الاجتماعية المثارة، فكان مصيرهم النقد والانتقاد وكان مصير اعمالهم الفشل والاهمال .. فالتونسي «علي الدواجي» حاول مقلدا المصري «عبد القادر المازني» استخدام الاسلوب الساخر في كتاباته العربية فضلا عن اختيارة لادب الرحلات، فقد طاف بموانئ البحر المتوسط وعواصم اوروبا - والمغربي «دريس شرايبي» حاول اكتشاف المجهول او الميتافيزيقا رغم تخصصه في الكيمياء مدعيا انه يقترب بذلك من الانسان في كل زمان ومكان دون ان يضطر الى حصر نفسه في انسان اوروبا المستعمِر او انسان المغرب المستعمَر .. ولكنه عاد بعد الهجوم العنيف على نظرته ونظريته الى المشاركة في احزان وطنه والعمل على التخلص والخلاص..

وهكذا لم تفلح ولم تنجح اساليب معروفة ومنتشرة في العالم اجمع ابرزها كما رأينا «الاسلوب الساخر» و«الميتافيزيقا» لان الظروف لم تكن ملائمة والحاجة الى ادب ملتزم كانت ملحة وان لم يتم ذلك بالتوجيه رغم ما حدث من ضغط على بعض الكتاب لتصحيح مسارهم وتهديف مسيرتهم..


محمود تيمور


ميخائيل نعيمة

فاذا كانت الميتافيزيقا او ما وراء الطبيعة والواقع هي المصدر الغربي المرفوض فان الرومانسية وهي المصدر العربي بقيادة جبران خليل جبران والمنفلوطي ونعيمة والشابي ومحمود تيمور تعد هي الاخرى مرفوضة .. اما المفروض فهو الذي جسم الصراع حقا، وذلك نتيجة للعوامل الخارجية .. فالمستعمر جاثم على صدر الامة وثقافته المزيفة تستهدف روح هذه الامة وضميرها .. ولهذا وقع الحمل الاكبر على كاهل هؤلاء الرواد الجدد او الرواد الشباب برغم طراوة كواهلهم وضعف بصائرهم وبصيرتهم .. تلك الكواهل التي ما لبثت ان اشتد عودها وتلك البصائر والابصار التي قويت رؤيتها بفضل الخبرة والممارسة برغم العزلة وربط الازمة وفي قلب ضراوة الاحداث..

يقول ميخائيل نعيمة «**الكاتب هو في الحقيقة فيلسوف، فهو يرى ما لا يراه الآخرون ويقول ما لا يقدر الآخرون على قوله**» ويرى محمود تيمور ان الكاتب «**مرآة المجتمع والناس فهو يعكس ما يرونه ويعبر عما يجيش بصدورهم وافئدتهم**».

وعلى هذا لا يمكن القول بأن الادب المغربي او الرواية المغربية قد اشعلت النضال ولكنها قد مهدت لهذا النضال بلك تأكيد، ونعني به نضال الجزائر الذي كان آخر معول ينزل على جدار الاستعمار ليمحو الهزيمة والعار عبر التاريخ الطويل الممتد والمتمدد ايضا .. وباتت كلمات الغضب والازدراء والدم والمقاومة من ابرز ما ورد في قاموس هؤلاء الكتاب.

رواد الرواية المغربية

يشترك رواد الرواية المغربية في صفات كثيرة كتلك التي ذكرناها حتى الآن، رغم انتمائهم الى ثلاثة اوطان عربية متاخمة الحدود، ولكن لكل منهم صفاته الخاصة بحيث يتميز ادبه سواء على مستوى الرواية المغربية او على خريطة الادب الروائي في العالم كله .. وكما تمثل المرأة العربية في عصرنا الحديث في كافة المجالات والانشطة الانسانية والاجتماعية نراها وقد مثلت في عالم الرواية المغربية خير تمثيل..

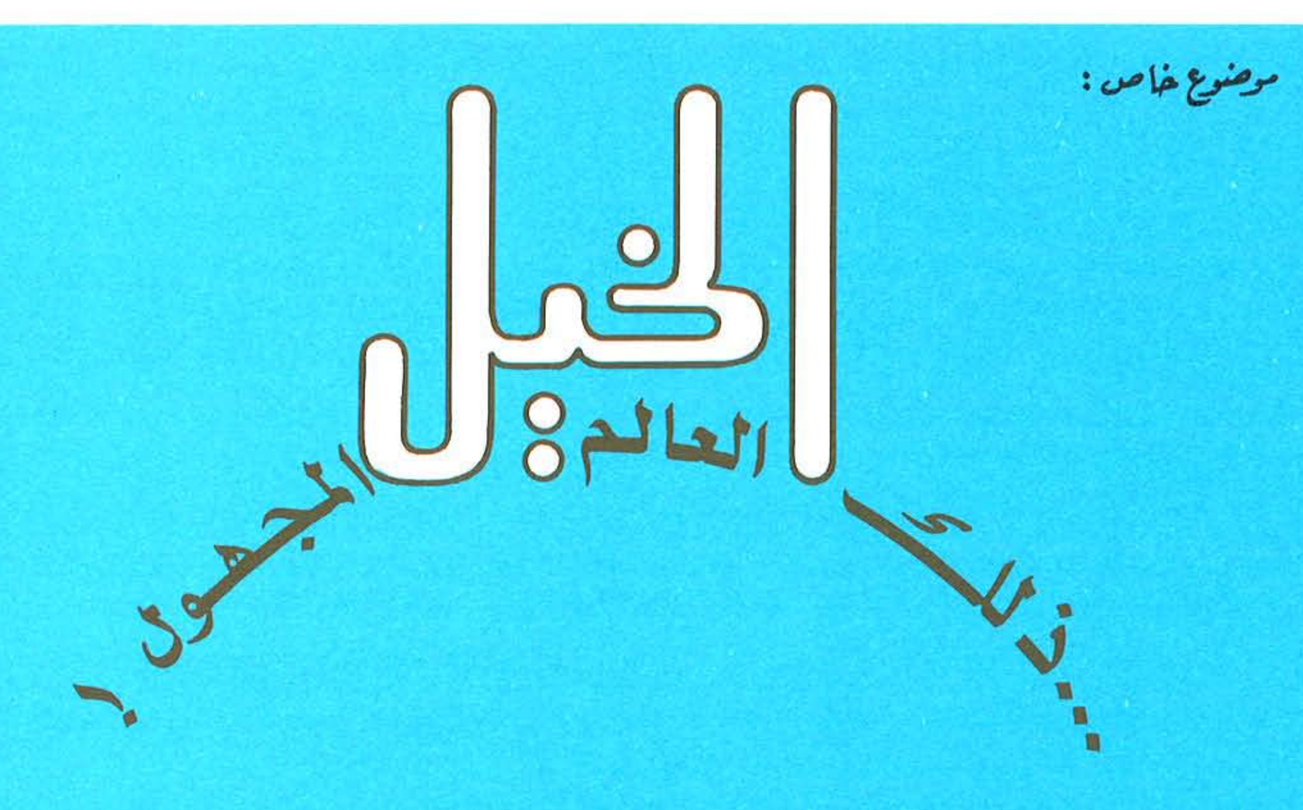
للموضوع بقية

ولعل «جان حمروش» هو نموذج لكتاب جيل المعاناة الذين عبروا عن الغربة سواء خارج اوطانهم او داخلها..

ايديولوجية الرواية الجديدة

كان على الكتاب المغاربة ان يحددوا دورهم الرائد منذ البداية، ولكنهم سرعان ما صدموا بالتيارات المختلفة والتي يزدحم بها تاريخ الادب العالمي او الادبين المغربي والعربي على اقل تقدير لانهما الاقرب اليهم..

موضوع خاص :



ان عمق العلاقة التي تربط بين الانسان والخيل منذ القديم .. والتي تزداد بمرور السنين متانة .. وتأصيلا تثير علامات الاستفهام.

كما ان العناية .. والرعاية .. والاهتمامات المستمرة التي تلاقيها الخيل من الانسان على غيره من سائر الحيوانات الاخرى تجعل المرء يتوقف طويلا لاستكناه جذور هذه الامور.

فاذا كان حب الانسان للخيل يعود لجمال شكلها .. ورشاقة قوامها فان النمر أكثر جمالا .. ورشاقة منها.

واذا كانت دواعي اهتمام الانسان بالخيل تقوم على ما تقدمه له من خدمات في تنقله واعمال مزرعته فان الجمال والحمير والبغال تفوقها قوة واحتمالا .. وصبرا طويلا وهي تقوم بمثل هذه الاعمال.

اما اذا كان المعيار .. هو تجاوب الخيل السريع لمتطلبات الانسان .. وتلبية رغائبه .. وتنفيذ اوامره ونواهيه فان القردة اثبتت جدارتها في هذه الناحية.

واذا توقف الامر على ما يستفيده الانسان من الخيل بعد موتها من منتجاته فان الماشية والاغنام من حقها الاستئثار بهذه الناحية.

اذن .. ما هي الاسباب الحقيقية التي تقف وراء هذه العلاقة الحميمة؟ ما الذي يجعل حديث الانسان لا يخلو من الاشارة الى الخيل .. والتغني بها من خلال شعره؟

الحقيقة التي تصادف الباحث والتي تشكل الاجابة على هذه الاسئلة هي ان الخيل تجمع كل هذه الصفات الجيدة التي ذكرناها .. هذه الصفات التي لا تتوافر مجتمعة في غيرها من الحيوانات التي يستفيد منها الانسان. والأهم من هذا ان فضل الخيل على غيرها من الحيوانات جاءت به الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم .. ومن خلال الاحاديث الشريفة وحب الانبياء لها.




مجلة الفيصل ص ٩١



خيل بيركيرون: أشهر خيول الجر الفرنسية. تشتهر باعتدال مزاجها، وقوتها الخارقة. وتعرف برشاقة جسمها ووزنها وطول عمرها، وتصلح لجميع اعمال الجر.

خيل هنتر: لا تنتمي الى سلالة معينة. يعتمد اختيار شكلها على نوع لعبة الصيد، ووزن الراكب وحجمه، وظروف البلاد التي تعيش فيها. ومن صفاتها الاساسية طيبة المزاج

خيل ايرلندي اسمه «تآبور»



خيل هولستيير: من سلالة خيول الركوب والجر الالمانية التي تتميز بقوة الارجل وسهولة الحركة والقدرة الفائقة على الاحمال. بنيتها القوية تجعلها قادرة على حمل الاثقال.



خيل بولو: وهي خيل اصيلة اكثر من كونها مولّدة. فعاليتها هي الاساس. تستطيع الركض بأقصى سرعة والتوقف في مسافة قصيرة والالتفاف بسرعة. مزاجها جسور.



خيل أنجلو/عربي: وهي سلالة مركبة من خيل عربية وفرس من سلالة ثورو برد، ارتفاعها يقل عن ارتفاع جدها وجدتها الاولين. وهي تتفوق في جميع الخصائص.

ولقد علمت على توقّي الردى أن الحصون الخيل لا قدرُ القُرى

الخيل في القرآن الكريم

وَرَدَ ذكر الخيل في اكثر من آية من آيات القرآن الكريم كلها ترفع من قدرها على غيرها من الحيوانات الاخرى .. كما اقسم بها الله خالق هذا الكون .. وما فيه من مخلوقات في قوله تعالى «والعاديات ضبحا ..» وفي الآيات الكريمة اشارات الى فضل الخيل وتكريمه .. وارتباطه بصفة الخير.

وقال عز وجل (خلقتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم تقاد على ظهرك والخير معقود بنواصيك) صدق الله العظيم.

الخيل في الأحاديث الشريفة

ويأتي ذكر الخيل في أحاديث سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام مدحا وتكريما امتدادا لفضلها الذي اوردته الآيات الكريمة.



خيل كوارتر: وهي سلالة نشأت في فرجينيا كحصان سباق لمسابقات الميل (ولذلك يسمى الحصان الربعي). تتمتع بهدوء المزاج والرشاقة الفائقة.

فقد جاء في الحديث الشريف قوله (ص): (كل لهو ابن آدم باطل الا تأديبه فرسه، وملاعبته أهله ورميه عن قوسه).

وقال عليه الصلاة والسلام (من ارتبط فرسا في سبيل الله كان له مثل أجر الصائم والقائم والباسط يده بالصدقة ما دام ينفق على فرسه).

كما جاء في حديث آخر (الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة وأهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة).

وقال عليه الصلاة والسلام (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) وفي حديث للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه يربط فضل الخيل بالجهاد في سبيل الله اذ يقول (من همّ ان يرتبط فرسا في سبيل الله بنية صادقة أعطى أجر شهيد).

ويذهب الامام أبو حنيفة الى أن الرسول الكريم كان في غزواته يعطي الفارس سهمين، والراجل سهما واحدا .. وانه

فعل ذلك مع المقداد بن عمرو في يوم بدر .. ومع الزبير بن العوام في يوم بني قريظة .. ومع جميع الفوارس في وقعة بني المصطلق .. وفي غزوة الحديبية.

ولكن الذي ذهب اليه الجمهور (واعتمده الامام احمد بن حنبل) هو ان الفارس له ثلاثة اسهم واحد له واثنان لفرسه، واما الراجل فله سهم واحد (كما في الصحيحين).

واستدلوا بما فعله الرسول الكريم في غزوة خيبر .. وفي غزوة المريسيع .. واستشهدوا ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام في فتح مكة (اني جعلت للفرس سهمين وللفارس سهما).

وعلى ذلك جرى اسامة بن زيد فانه جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك .. وحصل ذلك بمشهد من المهاجرين والانصار ولم ينكر عليه احد فهو بمنزلة الاجماع السكوتي.

وقد كان للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام خمسة أفراس هي (لزار - لحاف - المرتجز وقد سمي كذلك لحسن صهيله - السّكب - اليعسوب - وكلها معدودة من خيل بني هاشم.

حب الانبياء للخيل

وكان داوود نبي الله يحب الخيل كثيرا .. فلم يكن يسمع بفرس يذكر بعرق (أي بأصل) وعتق او حسن او جري الا بعث اليه، حتى جمع الف فرس لم يكن في الارض يومئذ غيرها.

لماذا سميت بالخيل؟

سميت خيلا لخيلائها في مشيها .. وسميت حركة الانسان في سبيل الجولان اختيالا، وسمي الخيال خيالا .. والتخيل تخيلا لجولان هذه القوة في استحضار تلك الصورة.

أول من ركب الخيل

روى ابن الكلبي ان اول من ركب الخيل واتخذها اسماعيل بن ابراهيم .. وروى الواقدي ان اول من ركب الخيل اسماعيل بن ابراهيم .. وانما كانت وحشا لا تطاق حتى سخرت لاسماعيل.

الخيل في اللغة

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (حصن)

الحصان: الفحل من الخيل والجمع حصن قال ابن جنى: قولهم فرس حصان بيّن التحصّن هو مشتق من الحصانة لانه محرز لفارسه كما قالوا: في الانثى حجر وهو من حجر عليه اي منعه، وتحصن الفرس صار حصانا، وقال الازهري: تحصن اذا تكلف ذلك، وخيل العرب حصونها. قال الازهري وهم الى اليوم يسمونها حصونا ذكورها واناثها، وسئل بعض الحكام عن رجل جعل مالا له في الحصون فقال: اشتروا خيلا واحملوا عليها في سبيل الله فذهب الى قول الجعفي.

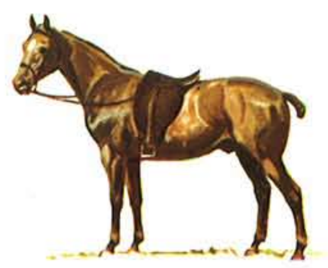
ولقد علمت على توقّي الردى
ان الحصون الخيل لا قدر القرى

وقيل سمي الفرس حصانا لانه ضن بمائة فلم ينزَ الا على كريمه ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذلك من الخيل حصانا .. والعرب تسمي السلاح كله حصنا وورد في نفس المصدر في مادة (خيل).

خيل: والخيل: الفرسان، وفي المحكم: جماعة الافراس لا واحد له من لفظه قال أبو عبيدة: واحدها خائل



خيل بنتو:
يفضلها الامريكيون الهنود لجسارتها واحتمالها والتمويه الطبيعي في ألوانها، وبتعبير ادق ليست مولدة



خيل كوب:
خيل أصيل اكثر منها مولّدة. تتميز بقصر الارجل وكبر الجسم. تستعمل اساسا للركوب، كما تشهر بقدرتها على حمل الاثقال والصيد. وتتمتع بصفات جيدة.



خيل ويلر:
الخيل القومية في استراليا. لم تكن هناك خيول محلية في البلاد. وكانت الدفعات الاولى منها قد وصلت عام ١٧٩٥ خيولا هولندية واسبانية.

فرس عربية حمدانية من المملكة العربية السعودية.



خيل أورلوف:

قام الكونت البكيوس أورلوف، عام ١٧٧٧ م. بتزويج خيول من سلالات: ثورو برد، الخيول العربية، والخيول الهندية والخيول الدانمركية

الخيل البلجيكي:

تعتبر واحدة من اقدم سلالات الجر. تنحدر من سلالة الخيول الفلمنكية منذ ايام القيصر. اول استيرادها لامريكا كان ١٨٦٦ م. ولونها اسود اصلا

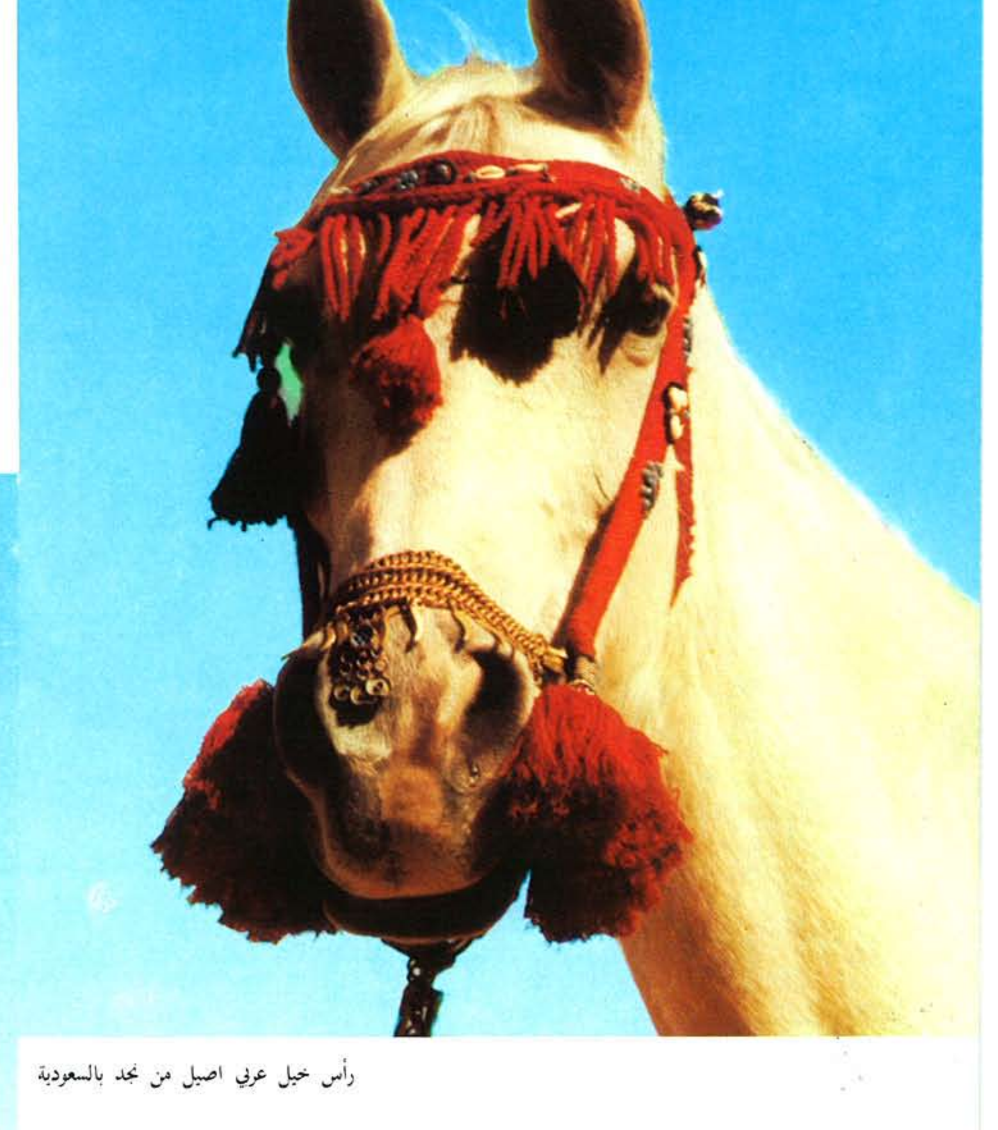


خيل هاكني:

ظهر استعمالها في انكلترا في القرن الثامن عشر الميلادي مع ظهور الطرق الجيدة وعربات الخفيفة، حيث لم تعد هناك حاجة للخيول الثقيلة.



خيل عربي: اقدم سلالات الخيول الخفيفة (يرجع تاريخها الى ٥٠٠٠ سنة) تكاد كل السلالات الاخرى تحمل خاصية من خواص دم الخيول العربية. تتصف بالجمال.



رأس خيل عربي اصيل من نجد بالسعودية

لانه يختال في مشيته، قال ابن سيده وليس هذا بمعروف وفي التنزيل العزيز (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) اي بفرسانك ورجّالتك، وفي الحديث (ياخيل الله اركبي) قال ابن الاثير هذا على حذف المضاف وهو اراد (يافرسان خيل الله اركبي) وهذا من احسن المجازات والطفها.

والجمع أخيال وخيول الاول عن ابن الاعرابي والاخير اشهر واعرف والخيالة اصحاب الخيول.

وورد في نفس المصدر في مادة (فرس)

فرس: الفرس: واحد الخيل — والجمع أفراس، الذكر والانثى في ذلك سواء ولا يقال للانثى فيه فرسه، قال ابن سيده واصله التأنيث فلذلك قال سيبويه وتقول ثلاثة أفراس اذا أردت المذكر، الزموه التأنيث وصار في كلامهم للمؤنث اكثر منه للمذكر حتى صار بمنزلة القدم، قال: وتصغيرها فريس



خيل امريكي من سلالة سادل برد: سلالة ولدت في الايام الاولى لتكوين الدولة الامريكية منذ ٤٠٠ سنة.



رأس خيل عربي اصيل من المملكة العربية السعودية.

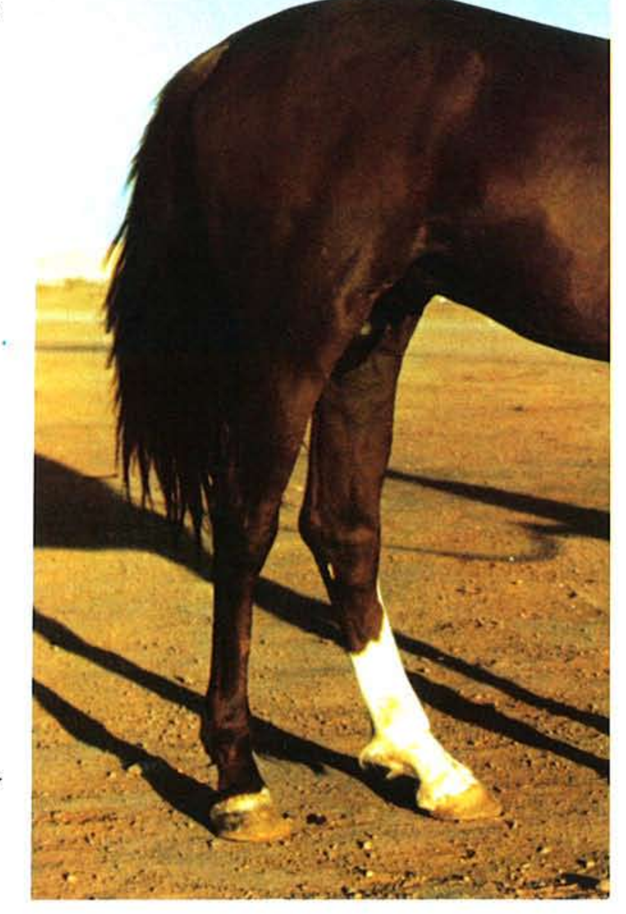
نادر، وحكى ابن جنى: فرسة، أما الصحاح: وان اردت تصغير الفرس الانثى خاصة لم تقل الافريسة (بالهاء).

والفرس للذكر والانثى. ج افراس والذكر الحصان ج احصنة وحصن والانثى الحجر ج حجور وأحجار وحجوره وجماعة الافراس الخيل ج خيول واخيال ولا واحد للخيل أو واحدة.

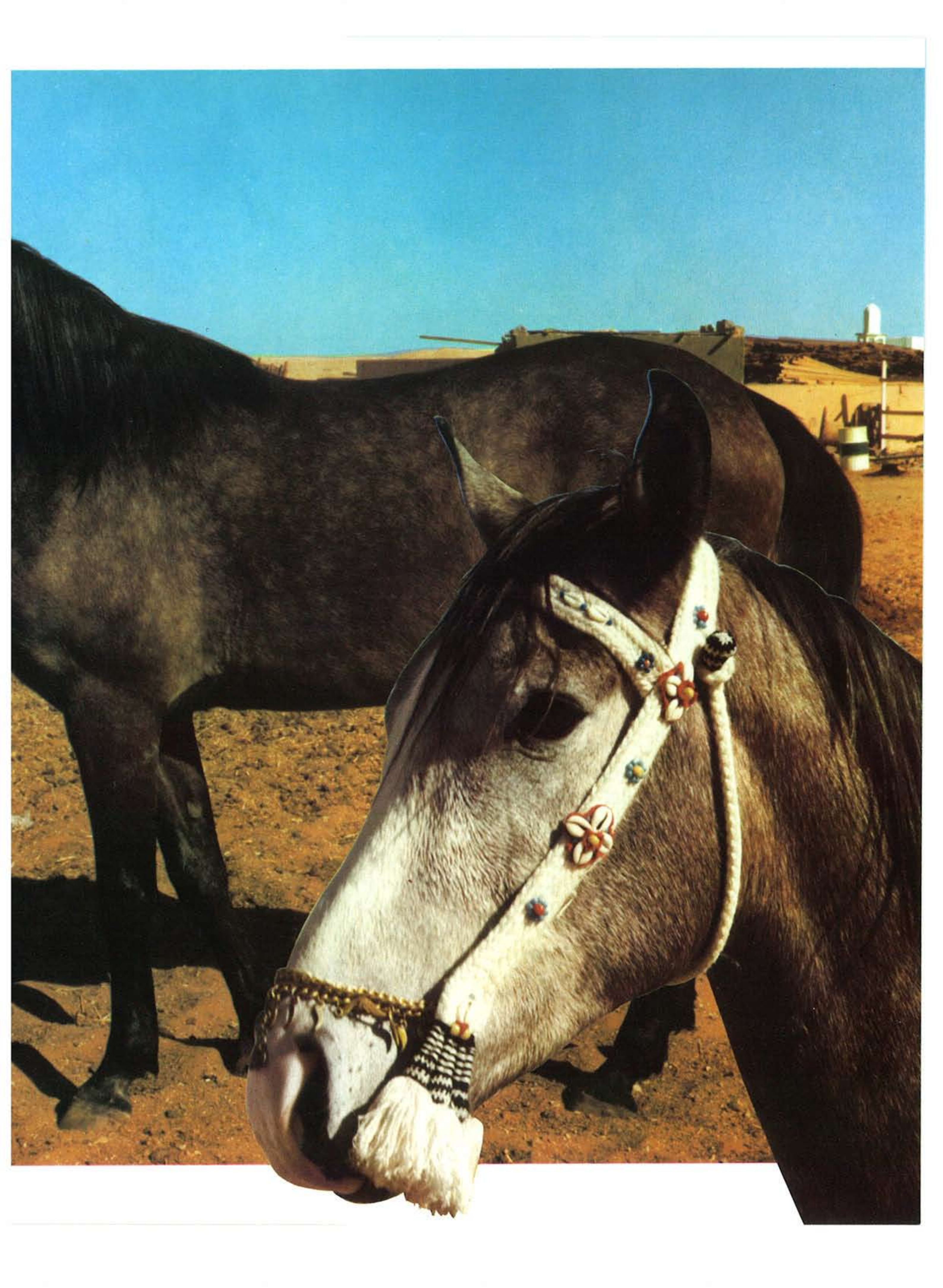
اما في المخصص لابن سيده فجاء:

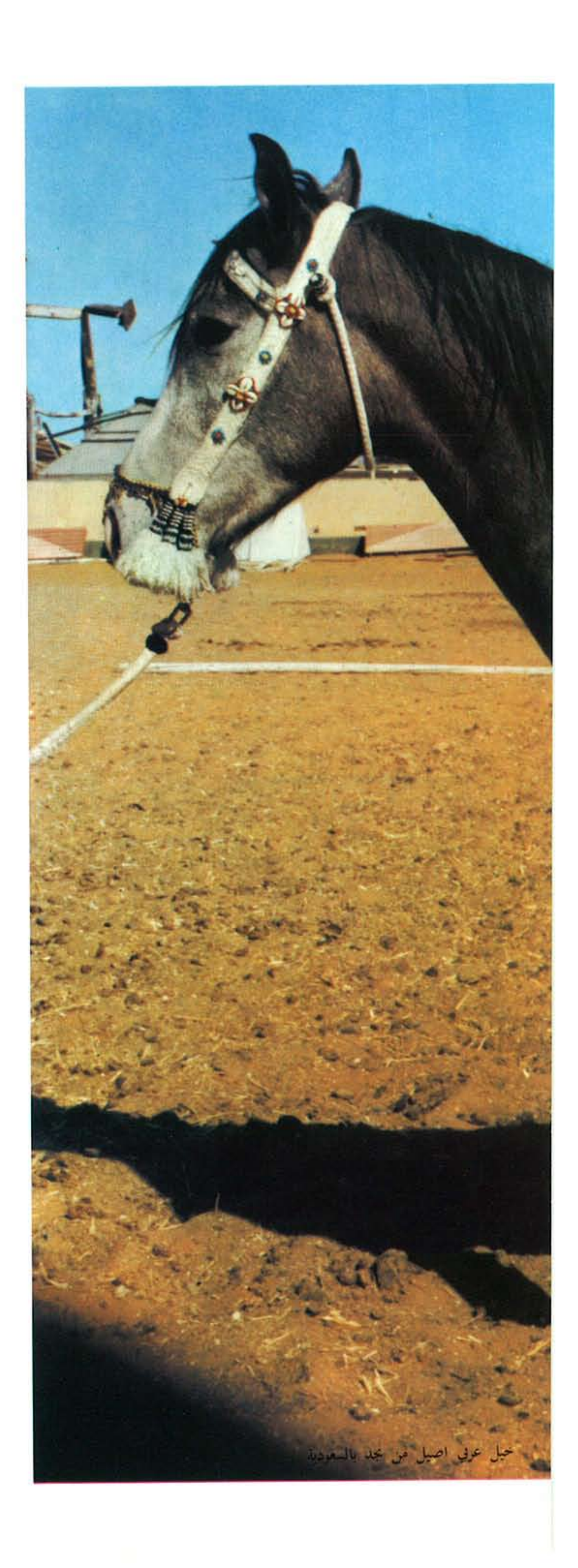
الخيل: جمع لا واحد له وجمعه خيول، وكان ابو عبيدة يقول واحدها: خائل لاختيالها فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه وعند ابي الحسن وابن السكيت: قوم خيّاله: أصحاب خيل.

الفرس: واحد الخيل والجمع افراس. الذكر في ذلك والانثى سواء وأصله التأنيث وتصغيره بهاء وغيرها وحكى ابن جنى: فرسه، فان كان كذلك فانما ذهبوا الى التوثّق من التأنيث.



خيل عربي من لبنان




خيل عربي اصيل من نجد بالسعودية

الفارس صاحب الفرس على ارادة النسب والجمع فرسان وفوارس.

الحصان: الذكر منها حصان من الحصن لانه محرز لصاحبه والجمع حصن والانثى حجر من الحجر وهو المنع لانها تمنع.

قال صاحب العين: الحجر: الفرس الانثى لم يدخلوا فيها الهاء لانه اسم لا يشركها فيه المذكر فاستغنوا عن الهاء والجمع احجار وحجور وقيل احجار الخيل ما يتخذ منها للنسل لا يفرد لها واحد، وقيل هي المحرمة ان تركن وان يحمل عليها الا فحل كريم.

وجاء ذكر الخيل في (المعجم الوسيط).

الحصان: الذكر من الخيل (ج) حصن، أحصنة.

الفرس: واحد الخيل (الذكر والانثى في ذلك سواء) «ج» افراس وفروس ويقال في المثل: (هما كفرسي رهان) يضرب لاثنين يستبقان الى غاية فيستويان.

وجاء في تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

الحصان: ككتاب: الفرس الذكر لكونه حصنا لراكبه قال ابن جني: اشتق من الحصانة لانه محرز لفارسه كما قالوا في الانثى حجر وهو من حجر عليه أي منعه، او هو الكريم المضنون بمائة وفي الصحاح: ويقال انه سمي حصانا لانه ضن بمائة فلم ينز الا على حجر كريمه حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا (ج) حصن (ككتب) وتحصن الفرس (صار حصانا).

انتشار الخيل بين العرب

روى ابن الكلبي ان اول ما انتشر في العرب من تلك الخيل ان قوما من الازد من أهل عمان قدموا على سليمان بن داود بعد تزوجه بلقيس ملكة سبأ فسألوه: عما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم حتى قضوا من ذلك ما أرادوا، وهمّوا بالانصراف، فقالوا: يانبي الله ان بلدنا شاسع وقد انفقنا من الزاد، مر لنا بزاد يبلغنا بلادنا، فدفع اليهم سليمان فرسا من خيله من خيل داوود قال: هذا زادكم، فاذا نزلتم فاحملوا عليه رجلا واعطوه مطرداً (المطرد: رمح قصير يطعن به حمار الوحش) وأوروا ناركم، فانكم لن تجمعوا حطبكم وتوروا



خيل انكليزي من سلالة ثورو برد: يقترن اسمها بسباق الخيل. كان يغلب عليها الدم العربي، لكن الرغبة في السرعة أدت الى زيادة نسبة الدم العربي فيها.



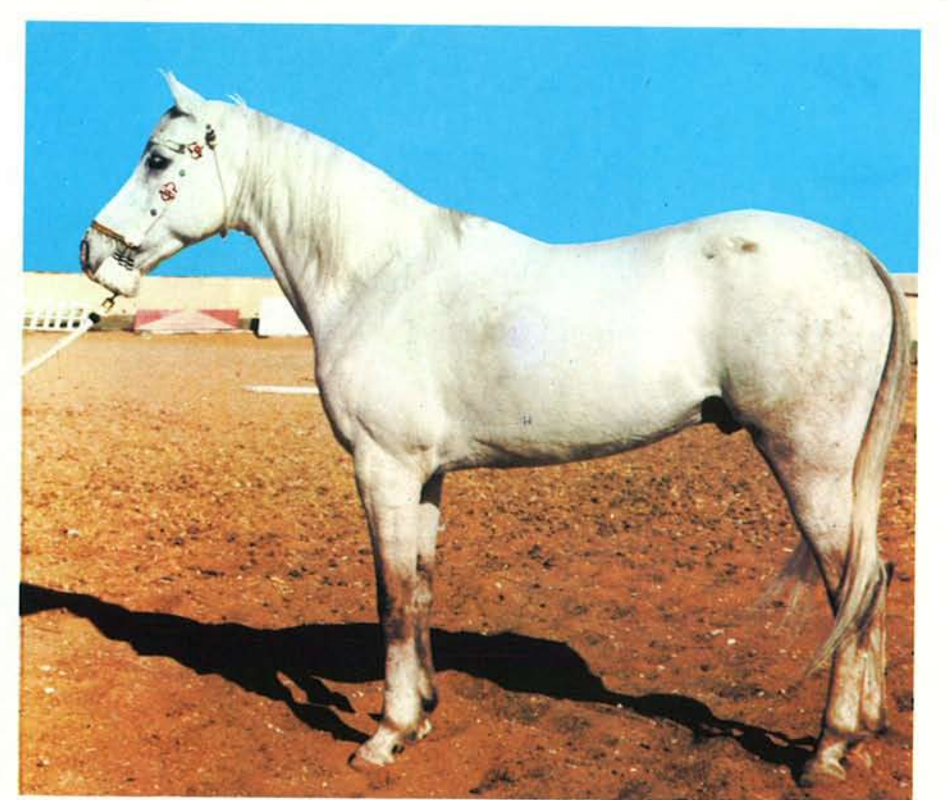
خيل امريكي من سلالة ستاندارد برد: خيل سباق امريكي. ترجع سلالتها الى عام ١٨٧٩م، عندما جلبت مجموعة خيول تتصف اساسا بالسرعة.



خيل امريكي من سلالة بالومينو: ليست مولدة في كل صفاتها باستثناء لونها الذي يمتد الى أزمان بعيدة في الماضي. تكون في اجمل مناظرها وهي مسرّجة.



خيل من سلالة كريولو: سلالة من امريكا الجنوبية. جلب أسلافها من اسبانيا وقت الغزو الاسباني. قوية البنية والاحتمال.



خيل عربي اصيل من المملكة العربية السعودية واسمه ممتاز

خيل انجليزي «ريمان»





ناركم حتى يأتيكم بالصيد فجعل القوم لا ينزلون منزلا الا حملوا على فرسهم رجلاً بيده مطرد واحتطبوا وأوروا نارهم، فلا يلبث ان يأتيهم بصيد من الضباء والحمر فيكون معهم ما يكفيهم ويشبعهم، ويفضل الى المنزل الآخر، فقال: الازديون: ما لفرسنا هذا اسم الا (زاد الركب) .. فكان أول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل. فلما سمعت بنو تغلب اتوهم فاستطرقوهم، فنتج لهم من زاد الركب – الهجيس فكان أجود من زاد الركب.

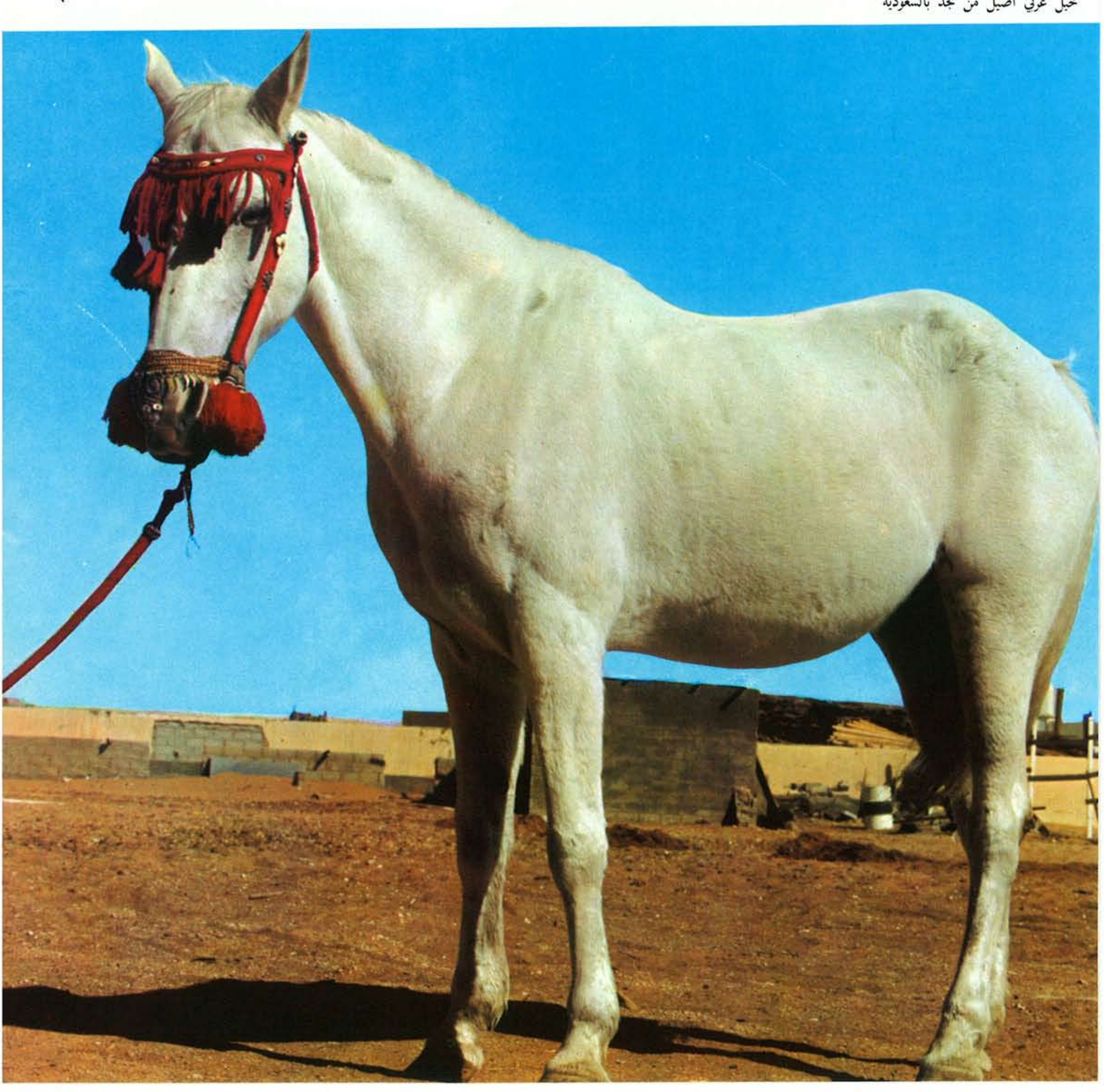
فلما سمعت بكر بن وائل اتوهم فاستطرقوهم فنتجوا من الهجيس: **الدّيناري**: فكان أجود من الهجيس.

فلما سمعت بذلك بنو عامر أتوا بكر بن وائل فاستطرقوهم على سَبَل وكانت اجود ما ادرك، وامها سوادة، وابوها فياض وأمها سواده قسامة وكان فياض وقسامة لبني جعده.

الفروسية في الغرب أصلها عربي

أكد الباحثون الغربيون من خلال دراساتهم وابحاثهم ان

خيل عربي اصيل من نجد بالسعودية





اساس وأصل الفروسية عند الغربيين كانت صدى للفروسية العربية. قال العلامة بيكلسون:

«من الممكن تتبع فروسية العصور الوسطى وارجاعها الى بلاد العرب الجاهلية لان شهامة الفرسان ومغامراتهم وانقاذ العذارى من السبي والمساعدة التي كانت تقدم في كل مكان للنساء المحتاجات الى مساعدة. كل هذه صفات عربية وقد اطلق عليها في اوروبا كلمة نبل او بطولة: Chivalry

والصلة وثيقة بين هذه الاعمال المجيدة وبين الفارس ذلك البطل النبيل الشريف: Chivalrous لذلك اقترن الشعر بالفروسية في اوروبا كما اقترن عند العرب. بل انه اصبح شرطا من شروطها وصار لزاما على الفرسان ان يقرضوه كبارا وصغارا».

ولقد خالط الغربيون العرب واحتكوا بالمسلمين زمنا طويلا بالشام وعايشوهم ازمانا طوالا في اسبانيا وصقلية وكان العرب في اسبانيا وصقلية كالعرب في الشام يتسمون بالفروسية المثالية ويقول سانت هيلير: «اما الفرسان فقد تعلموا المشاعر



فرس عربي أصيل (صقلاوي) من العراق

الرقيقة واجمل الفضائل الانسانية عن العرب».

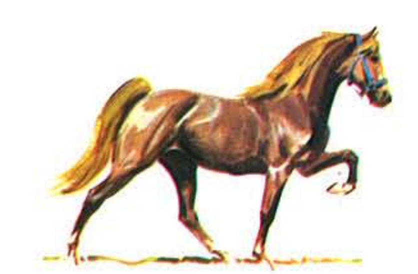
حب العرب للخيل

أحبت العرب الخيل وكرمتها اكثر من غيرها .. وكانوا يرون انه لا عز الا بها ولا قهر للاعداء الا بسببها .. وحين جاء الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ومدحها لهم الشرع اجتمع لهم فيها حبان حب من جهة الشرع .. وحب من جهة الطبع.

وأنشد ابو عمر بن عبد البر في (التمهيد) لابن عباس قوله:

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها فاشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

ويروى انه من شدة محبة العرب للخيل .. كان اشرافها يخدمونها بأنفسهم ولا يتكلون في القيام بخدمتها على غيرهم. وقال بعض الحكماء ثلاثة لا يأنف الشريف من خدمتهم:



خيل تينيسي ووكنج: تربى اصلا لحمل المزارعين بالجنوب بين مزارعهم. اشتق اسمها من مشيتها المتميزة بالسرعة والسهولة.



خيل كليفلاند باى: أقدم الخيول الانكليزية المولّدة. اشتهرت بجر عربات الركوب الصغيرة. لكنها تستعمل اليوم للتزاوج مع خيول ثورو برد لانتاج خيول الصيد.

خيل كليد سادل: تختلف عن معظم خيول الجر وتتميز بنشاطها الخاص. وهي ليست ضخمة ككبيرها من خيول الجر، كما ان صغر حجمها يضفي عليها ميزة خاصة.



خيل مورجان: سلالة بدأ تولدها في امريكا عام ١٧٩٣ م، وهي مكتنزة، قوية البنية والعضلات والكتفين، وعنقها وعرفها ممتلئين.





خيل ابالوزا: مولّدة من خيول نيبريبرسي الهندية. تختلف بقع فروها في الحجم، لكن يمكن تمييزها. وهي خيل ركوب ممتازة، وجمال منظرها يجعلها مطلوبة للاستعمال



خيل شيتلاند: تتميز بالقوة، استعملت في القرن التاسع عشر في المناجم بانكلترا. والآن تنحدر عنها معظم خيول «بوني» بالولايات المتحدة الامريكية.



الخيل المنغولي: نشأت في المناطق المهجورة بمنغوليا. وهي خيول صغيرة، عنيفة، قوية الاحمال، جيدة العظام شديدة الحوافر.



خيل الأمريكيين: خيول صغيرة لم تجرب، ولّدت من خيول أبالوزا والخيول الربعية والخيول العربية.



خيل كونمارا: وهي من اقدم سلالات الخيول بالجزر البريطانية. جسدها عميق وقوي، واللون السائد هو الرمادي.

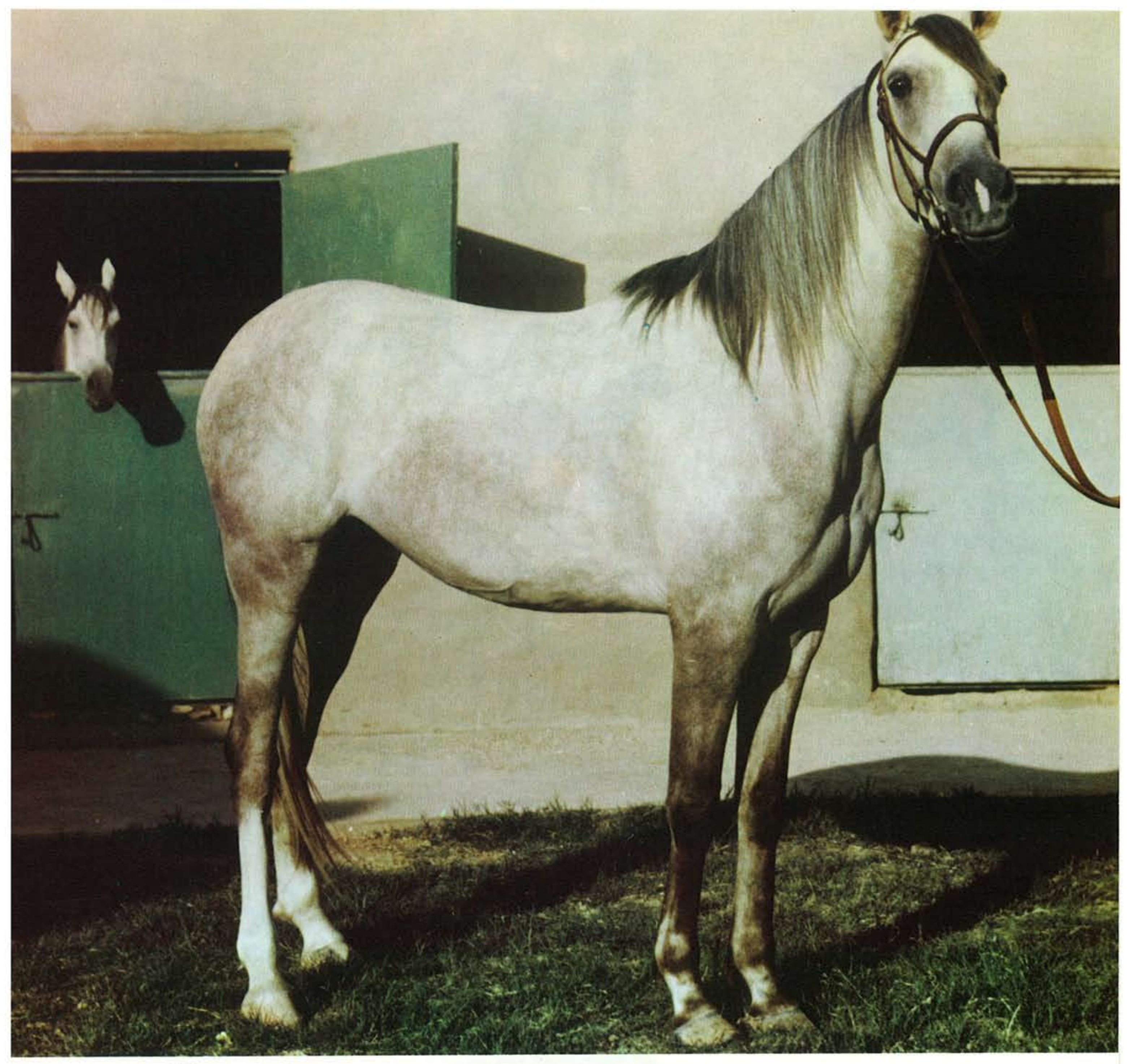
الوالد .. والضيف .. والفرس.

الفروسية .. والفرسان العرب

تؤكد كتب الرياضة البدنية انه كان للفروسية والفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر والمكانة الاولى بين العشائر والقبائل وكان الدفاع عن الضعيف والانتصار للمرأة والشهامة وغيرها من الصفات التي كان يفخر بها فرسانهم، وكانوا يسجلون بطولاتهم باشعارهم فتنتشر بين القبائل ويتغنى بها في الأسواق كعكاظ وفي البادية والأمصار.

وكان الناشئ من ابنائهم لا يكاد يصل الثامنة من سنه حتى يحتّم عليه ان يتعلم ركوب الخيل، ويتدرب على فن الفروسية، والعرب كانوا منذ جاهليتهم فرسانا كماة تجري الفروسية في عروقهم، كما تجري الدماء في الجسم.

ومن مشاهير فرسانهم:



فرس حمدانية أصيلة عربية من المملكة اسمها «جازمة»

– ربيعة بن مكرم – عنترة العبسي بن شداد، ملاعب الاسنة.

– (عامر بن مالك) – زيد الخيل (الذي قدم على رسول الله (ص) مع وفد طي سنة تسع فأسلم فسماه الرسول (ص) زيد الخير.

– عامر بن الطفيل (أشهر فرسان العرب بأسا).

– عمرو بن معد يكرب (الفارس صاحب الغارات في الجاهلية والاسلام).

– دريد بن الصمة (من فوارس العرب المشهورين الذين لا يشق لهم غبار)

– زيد الفوارس (كان من اشهر الفرسان شهد بعض أيام العرب ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه).

– أمية بن حرثان الكناني – (ينتهي نسبه الى مضر، وكان من سادات قومه).



خيل ايسلندا: جلب اسلافها من النرويج حوالي عام ٨٧٤ م على انها خيول ركوب وجر وحمل. قوية البصر.



خيل هاكني: كانت ولاداتها الاولى في شمال انجلترا عام ١٨٦٦ م. تشتهر بشكلها الذي يثير الاعجاب.

خيل هافلنجر: اصل سلالتها من النمسا – وهي خيل جبلي صغير – ممتازة في الحمل والجر.



خيل ويلش ماونتن: وتعتبر اكثر الخيول البريطانية جمالا. تتميز بأرجل قوية ومتميزة. وتشتهر في حلقات العرض.



خيل دارتمور: خيل انكليزية، تتميز بقدرتها على حمل الاثقال.



خيل ويلش كوب: ينحدر اصلها الى خيول ويلش ماونتن. ودمها مؤثر في جميع حيوانات الركض بالعالم.

– عمرو بن كلثوم (شاعر فارسي جاهلي وهو أحد فتاكي العرب).

– الشنفري الحارثي القحطاني (وكان من الفرسان المعدودين).

– الحارث بن عباد الربعي (كان من حكام ربيعة وفرسانها المعروفين).

– سعد بن مالك (احد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية).

– مهلهل بن ربيعة التغلبي (احد فرسان العرب المعدودين وكماتها المشهورين).

– معاذ بن صرم الخزاعي (كان فارس خزاعة في زمانه).

وقد أورد البخشي في (رشحات المداد): «ان الفارس يفضل على الراجل بشيئ مخصوص وليس ذلك الا الفرس، فان غيرها من الدواب اذا قاتل عليها الانسان فلا يستحق شيئا معينا بل يرضخ له رضخا، ولو كان اعظم الدواب كالفيل (والرضخ هو اعطاء المقاتل قليلا من كثير من الغنيمة او هو اعطاؤه دون السهم».



رأس خيل عربي «مهجن» عربي انجليزي اسمه «نمران»

انواع الخيول واجناسها لدى الامم

ورد في دائرة المعارف للبستاني ان: «اكرم الخيل العربية خيل نجد وعنزة واثمانها غالية جدا فيباع الفرس من ٨ الى ١٢ الف فرنك، وفي سنة ١٨٥١ م ارسلت الحكومة الفرنسية مسيو بتينو الى الشرق لابتياع خيل كريمة فرسا (أنثى) ورغب في ان يشتريها بستة وثمانين الف فرنك ولم تعط له، والسبب في تفضيل الانثى على الذكر الانتفاع بها بالتوليد.

– أما الخيل المصرية، فهي خليط من جميع الاجناس التي سيقت بالحروب الى وادي النيل، وهي معتدلة القد عريضة مستديرة قليلا ذات رؤوس مستديرة الجهات .. مستطيلة ثقيلة وآذان طويلة غير محكمة المغرز وعيون صغيرة وأنوف منحدرة النهاية وارنبات مفرطحة وصدور متسعة واكفال مائلة. والظاهر من الآثار المصرية ان الخيل لم يكن معروفا بها قبل الدولة الثانية عشرة.

– وأما الخيل الموجودة في نجد برقة حتى غربي مراكش – فما هي الا من أصل الخيل العربية وهي متناسبة الاعضاء وآذانها قصيرة متحركة وعظامها ثقيلة ولكنها رقيقة وهي ذات وجه صفيف وانف كبير وعنق طويلة وصدر ناتئ وكفل مستدير وشعر رقيق وذنب ثخين عند مغرزه ومنتشر عند طرفه وهي حمسة ركاضة قادرة على احتمال المشاق والمتاعب والحر والبرد .. وبعد ان بحث الجنرال دوما بتدقيق عن احوال هذه الخيل وقوتها وطباعها حكم بانها تفوق كثيرا جميع الخيل الاوروبية بالاقتدار على القيام بالامور الحربية في كل بلد واكرمها الخيل المنسوبة الى الصحراء.

– أما الخيل الشركسية فهي من أصلين احدهما عام يشابه كثيرا الخيل التركمانية والآخر كريم أصيل اسمه (شلوخ) ويعرف اصلها بعلامة في فخدها وكانوا يقاصون بالقتل كل من وضع هذه العلامة على فرس من أصل آخر، وتفوق غيرها بالجمال أكثر مما تفوقه بالقوة والركض.

– اما الخيل التركمانية فهي ليست متناسبة الاعضاء كخيل العرب المذكورة فانها ذات رأس كبير جدا وقوائم متجاوزة الحدود في الطول، وهي ركاضة قوية قادرة على احتمال التعب.

– وأما الخيل الفارسية فقريبة جدا من الخيل العربية على ان رأسها اصغر وكفلها احسن تركيبا وكذلك العنق وبالجملة هي أجمل من العربية ولكنها أقل قوة منها غير قادرة على الركض طويلا مثلها.

– واما الخيل الأرمنية فهي اجمل قليلا من الفارسية واقوى منها.

– اما الخيل الاسبانية فهي في المرتبة الثانية بعد خيل العرب وخيل الغرب اي شمال افريقيا من برقه الى (المحيط) وهي كثيرة الاصول منها الاندلسية وهي موافقة جدا للفرسان الخفاف والغرناطية وهي قريبة منها والاكزرية ولا تبلغ اشدها الا في ٨ سنوات وهي مرغوب فيها جدا للركوب وتباع بأثمان غالية، والنوارية وهي معتدلة العلو او صغيرة قوية جدا ركاضة.

– واما الخيل الانجليزية فجميلة جدا سريعة الركض تشبه كثيرا العربية فانها من نسلها ونسل النورمندية، ولكنها اقل جمالا من خيول شمالي افريقيا فانها ذات رؤوس أقوى واجسام اطول واضخم وآذان اكبر وحمية شديدة جدا وشجاعة لا تؤخذ بالسباق، على انها ليست بكاملة من جهة اللطف والظرف.

– وكان في ايطاليا خيل جميلة كريمة ممتازة على انها اختلطت بخيل اخرى فانحطت كثيرا.

– واما الخيل التترية فهي خفيفة الجسم قليلة الظرف والظاهر انها من نسل الخيل العربية وهي قوية ركاضة جدية جدا.

– واجمل الخيول الفرنسية خيل نورمانديا وتوافق لجر العجلات وخيل ليموزين اوفقها للركوب، وخيل كوتنتين كبيرة جدا جميلة موافقة لجر المركبات.

الوان الخيل

أما اصول الالون فهي أربعة: بياض وسواد وحمرة وصفرة والحقيقة ان الاصل البياض والسواد، لان الحمرة والصفرة اليهما يرجعان ومنهما ينشآن.

البياض: الناصع البياض هو (أشهب قرطاس) فان خالطته صفرة فهو (أشهب سوسي) فان خالطته حمرة فهو (صنابي) فان خالطه سواد فهو (حديدي) فان غلب البياض فهو (كافوري) ومثله (أشهب واضح) فان كان أبيض فيه بقع تخالفه فهو (مولّع) فان صفرت البقع فهو (أبقع) فان تفرقت البقع فهي (الشام) وهو (أشيم) وان كانت نقطا صغارا او كثرت فهو

(أرقط) فان زادت صغرا وكثرة فهو (أنمر) فان تناهب في الصغر فهو (أنمش) و (أبرش) فان كانت شبيهة طرائق فهو (مجزع) فان صغرت الطرائق فهو (مغرب).

السواد: الخالص السواد هو (أدهم) فاذا كان حالك السواد فهو (غيبهي) فاذا اشتد سواده حتى يضرب الى الخضرة من شدته فهو أخضر وهو (الديزج) في كلام العجم، فان كان بين الدهمة والخضرة فهو (أحوى) فاذا خالطت سواده شقرة فهو (أدبس) فان خالطه دنى حمرة او صفرة فهو (أحم) فان كان سواده يضرب الى البياض حتى يقرب من لون الرماد فهو (الأورق) ونحوه (الأكهب) ودونه من السواد (الأربد).

الحمرة: الأحمر الخالص اذا اسود عرفه وذيله فهو (ورد) والانثى (وردة) والجمع (وراد) فان كانت حمرته في سواد فهو (كميت) وكذلك الانثى بلفظ الذكر، وكذا هو مصغر لا يقال كمت ولا كمته، فان اشتدت حمرته في السواد فهو (كميت مدمى) فان صفرت حمرة الورد شيئا من غير سواد وعرفه وذيله الى البياض فهو (أشقر) فاذا كانت كمتته بين السواد والبياض فهو (ورد أغبس) وهو (السمند) عند الفرس، واذا قاربت حمرته السواد فهو (أصدأ) مأخوذ من صدأ الحديد، فان زاد السواد شيئا على الحمرة فهي (الجؤوة) والفرس (أجأى).

الصفرة: الأصفر الخاص اذا كان بلون الذهب فهو (أصفر فاقع) فان كان عرفه وذيله الى البياض فهو (أصفر فاضح) وهو موصوف بالضعف في الاكثر، فان كان عرفه وذيله اسودين فهو (اصفر مطرف) ويكون التطريف سواد الاذنين دون سائر البدن أي لون كان، فاذا كان الأصفر مطرفا اسود فهو (سحابي) وتلك الطريقة هي السحابة، فان كان بقوائم الأصفر خطوط سود فهو (موشى) فان كان لاشية به ولا وضح اي لون كان فهو (مصمت) و (بهيم) و (البلق) في الخيل ضعف ونقص من قوتها، قال محمد بن سلام: لم يسبق الحلبة فرس أبلق ولا بلقاء.

الغرة في الخيل

الغرة انواع: **لطيم وشادخة وسائلة وشمراخ ومتقطعة وسارحة وخنفاء وشهباء ومتمصرة.**

فاللطيم هي التي تصيب بياضها **عيني الفرس. او احداهما او خديه او احدهما** فاذا فشت في الوجه ودقت وسالت ولم تصب العينين فهي شادخة، فاذا اعتدلت على قصبة الانف وعرضت في الجبهة او سالت على الارنبة حتى رثمها فهي سائلة واذا رقت وسالت في الجبهة وعلى قصبة الانف ولم تبلغ الجحفلة فهي شمراخ فاذا بلغت محل الرش ثم انقطعت فهي متقطعة، وهي أحسن الغرر، فاذا كان البياض من المنخر ثم ارتفع حتى بلغ العينين ولم تبلغ الجبهة فهي ايضا متقطعة، فان ملأت الوجه ولم تبلغ العينين فهي سارحة، فان كانت احدى العينين زرقاء والاخرى سوداء فهي خنفاء، وان كان فيها شعر يخلف البياض فهي شهباء، فان كانت على الجبهة وعلى قصبة الأنف وبين العينين منقطعة فهي متمصرة، ومصر الفرس، تعني: استخرج جريه، والمصارة بالضم: الموضع الذي تمصر فيه الخيل، والحاصل ان كل بياض فشا في وجه الخيل فوق الدرهم يسمى غرة، على اختلاف انواعها كما تقدم، فان كان قدر الدرهم فما دونه فهي القرحة، والقرحة ان كانت بين العينين فهي نجمة وهي أحسن القرح، فان كانت على الجحفلة العليا فهي رثماء وان كانت على الجحفلة السفلى فهي لمظاء، وان كانت على قصبة الأنف فهي يعسوب.

التحجيل: بيان يكون في قوائم الفرس يبلغ نصف الوظيف مأخوذ من الحجل وهو القيد أو الخلخال وقال في (القاموس): التحجيل بياض في قوائم الفرس كلها ويكون في رجلين ويد وفي رجلين فقط وفي رجل فقط، ولا يكون في اليدين خاصة الا مع الرجلين، ولا في يد واحدة دون الاخرى الا مع الرجلين.

انواع الصهيل:

اجش، وصلصال ومجلجل:

الاجش: هو الذي جهر صوته والصلصال: هو الذي حد صوته ودق جدا، والمجلجل: هو الذي صفا صوته ولم يدق وكانت فيه غنة وهو أحسن الصهيل، والأغنى: هو الذي يخرج اكثر صهيله من منخريه.

ما يستحب في الخيل:

روى ان كسرى ابرويز سأله يوما الفيلسوف (حنه) .. اخبرني ايها الملك، اذا لم تعلموا علامات الخيل وصفاتها فعلى اي نعت وصفة تربطون مراكبكم؟ قال ابرويز: ان أفضلها مركبا واكرمها عندنا



واشرفها اذا كان قصير الثلاث طويل الثلاث، رحب الثلاث، عريض الثلاث، صافي الثلاث، اسود الثلاث، غليظ الثلاث فهو الجواد عندنا ويصلح لركوبنا.

وأما الثلاث القصار: فالعسيب والظهر والرسغ، واما الثلاث الطوال: فالأذن والخد والعنق، واما الثلاث الرحاب: فالجوف والمنخر واللبب، واما الثلاث العراض: فالجبهة والصدر والكفل، واما الثلاث الصافيات: فاللون واللسان والعين، واما الثلاث السود: فالحدقة والجحفلة والحافر، وأما الثلاث الغلاظ: فالفخذ والوظيف والرسغ.

ومع هذه الاوصاف يكون حديد النفس جريئ المقدم.

الكتب الموضوعة عن الخيل

عنى المسلمون في جميع العهود بخدمة مختلف انواع العلوم والفنون والدراسات وقد زخرت المكتبة العربية بعدد عظيم من هذه المؤلفات النفيسة ومنها ما هو معروف ومنها ما فقد الا انه مدون ومذكور في بطون الكتب والفهارس وكتب التراجم والفنون:

- الاحتفاء في استيفاء ما للخيل من الاحوال لابن يحى محمد بن رضوان ابن محمد الوادي آشي القاضي المالكي سنة ٦٥٧هـ.
- اخبار الخيل لابن المديني.
- سيب السيل في وصف الخيل لنور الدين القرافي الانصاري الشافعي أوله (حمدا لمنبسح .. السحاب ومبيح العباب ومنشي العراب .. الخ) الفه باسم الامير ابراهيم الدفتردار بمصر.
- عقد الاجياد في الصافنات الجياد للسيد محمود باشا الفريق بن الأمير عبد القادر بن مصطفى الجزائري المغربي المالكي.
- فوائد النيل بفضائل الخيل، تأليف الطبري علي بن عبدالقادر الحسيني المكي صاحب الأرج المسكي.
- كتاب الخيل: لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري المتوفى سنة ٢٠٩.
- كتاب الخيل: لأبي عمرو كلثوم بن عمرو العتابي صاحب فنون الحكم.
- كتاب الخيل: لأبي مالك عمرو بن كركره الاعرابي البصري.
- منهاج الفكر في الخيل لأبي الحسن محمد بن عبدالله الوراق المتوفى في سنة ٣٨١ هـ.
- كتاب الخيل: لمحمد بن رضوان المتوفي سنة ٦٥٧ هـ.
- كتاب الخيل: لمحمد بن يعقوب الجيلي.
- كتاب الخيل: لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي المتوفي سنة ٢٤٥ هـ.
- كتاب الخيل: لأبي محلم محمد بن هشام الشيباني اللغوي.
- جر الذيل في علم الخيل – رسالة لجلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ أولها الحمد لله خالق النهار والليل .... الخ وقد أوردها في تأليفه المسمى بديون الحيوان.
- حسن السير فيما في الفرس من اسماء الطير للجلال السيوطي ذكرها في ديوان الحيوان وهي خمسة وثلاثون اسما وقد نظمها في ارجوزه.
- قطر السيل في أمر الخيل للشيخ الحافظ سراج الدين عمر بن رسلان بن نصر البلقيني الشافعي المتوفى سنة ٨٠٥ هـ مختصر اوله (الحمد لله الذي عرفناه بفضله) واختصره من تأليف الشرف الدمياطي وأضاف اليه ◁

اشياء ورتبه سبعة فصول.

- فضل الخيل على طريقة المحدثين لشرف الدين (عبد المؤمن بن خلف) الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥ هـ.
- فضل الخيل وما فيها من الخير والنبل لأبي زرعة احمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٦ هـ.
- المقبول في حال الخيول (تركي) كتبه الشيخ محمد بن مصطفى الشهير بقاضي زاده للسلطان عثمان المقتول.
- خطب الخيل لابن العلاء احمد بن عبدالله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ عشر كراريس يتكلم على السنتها.
- كتاب خلق الفرس لأبي القاسم يوسف بن عبدالله الزجاجي النحوي.
- كتاب خلق الفرس لأبي بكر محمد بن القاسم (وأبو محمد القاسم) الانباري.
- كتاب خلق الفرس: لأبي سعد عبد الملك بن قريب الاحمصي.
- كتاب خلق الفرس: لأبي عبدالله محمد بن زياد بن الاعرابي.
- كتاب خلق الفرس: لثابت بن علي الكوفي.
- كتاب خلق الفرس: لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ.
- كتاب خلق الخيل لأبي علي حسن بن عبدالله الأصبهاني.
- كتاب خلق الخيل لابي الحسن ثغر بن شميل النحوي المتوفى سنة ١٠٤ هـ.
- كتاب خلق الخيل لأبي الطيب محمد بن احمد الرشاء.
- كتاب الخيل لأبي نصر احمد بن حاتم الجاهلي المتوفى سنة ٢٣١ هـ.
- كتاب الخيل لابي عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي.
- كتاب الخيل لأبي الفضل عباس بن الفرج الرياشي المتوفى سنة ٢٥٧ هـ.
- كتاب الخيل لابي محمد عبدالله بن محمد بن هرون الشيباني.
- كتاب الخيل للقاضي احمد بن محمد الزيدي اليمني صاحب الاصداف المشحونة .
- حال الخيول للقاضي محمد رشدي الانطاليه وى الرومي المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ.
- سرور الفؤاد بالصافنات الجياد لمحمد بن اسماعيل.
- رشحات المداد بالصافنات الجياد لمحمد بن محمد بن البخشي الخلوتي فرع من هذه الرسالة سنة ١١٥٢ هـ.
- تحفة العبيد في الخيل والرماية والصيد لابراهيم بن الدكرى السياهي المفتي الحنفي بغزة في مجلد أوله (الحمد لله الذي أباح لعباده الاصطياد) الفه الوزير رستم باشا في سنة ٩٥٩ هـ.

المراجـع

١-ابن الكلبى

انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها لابن الكلبى تحقيق احمد زكي القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي. د.ت ١٣٦ ص.
(الكتاب من سلسلة المكتبة العربية)

٢-ابن المثنى. ابو عبيدة معمر

كتاب الخيل - حيدر أباد - مطبعة دائرة المعارف - ١٣٥٨ هـ ١٩٥ ص

٣-عبد الرحمن رأفت الباشا

الصيد عند العرب - ادواته وطرقه - حيوانه الصائد والمصيد
بيروت - مؤسسة الرسالة ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م
٢٧٢ ص

٤-كشاجم. ابو الفتح محمود بن الحسن

المصايد والمطارد - تأليف ابو الفتح محمود بن الحسن المعروف بكشاجم. حققه وعلق عليه محمد اسعد طلس
بغداد - دار المعرفة. ١٩٥٤
٢٨٨ + ٩٢ ص

٥-ابن هذيل الاندلسي. علي بن عبد الرحمن

حلية الفرسان وشعار الشجعان. تأليف علي بن عبد الرحمن بن هزيل الأندلسي تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن - القاهرة - دار المعارف - ١٩٥٥ م
٣٣٥ ص

(الكتاب ضمن سلسلة ذخائر العرب ٦)

٦-ابن القيم الجوزيه - ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن العرب

الفروسية. تأليف ابن القيم الجوزية. تصحيح عزت العطار الحسيني القاهرة - مطبعة الانوار - ١٣٦٠ هـ -١٩٤١م ١٣٣ ص

٧-محمد كامل علوي

الرياضة البدنية عند العرب - القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م
١٩٦ ص

٨-أحمد أمين

الصعلكة والفتوة في الاسلام - القاهرة. دار المعارف - ١٩٥٢ م (ضمن سلسلة اقرأ - (١)

٩-محمد بن عبد القادر الجزائري الحسني.

عقد الاجياد في الصافنات الجياد - دمشق - المكتب الاسلامي ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
٣٧ ص

١٠-الحموي - احمد بن محمد (الشريف)

النفحات المسكية. تأليف أحمد بن محمد الحموي. تحقيق عبد الستار القرغولي - بغداد. مطبعة التفيض - ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ١٠٩ ص

١١-سيد حنفـي

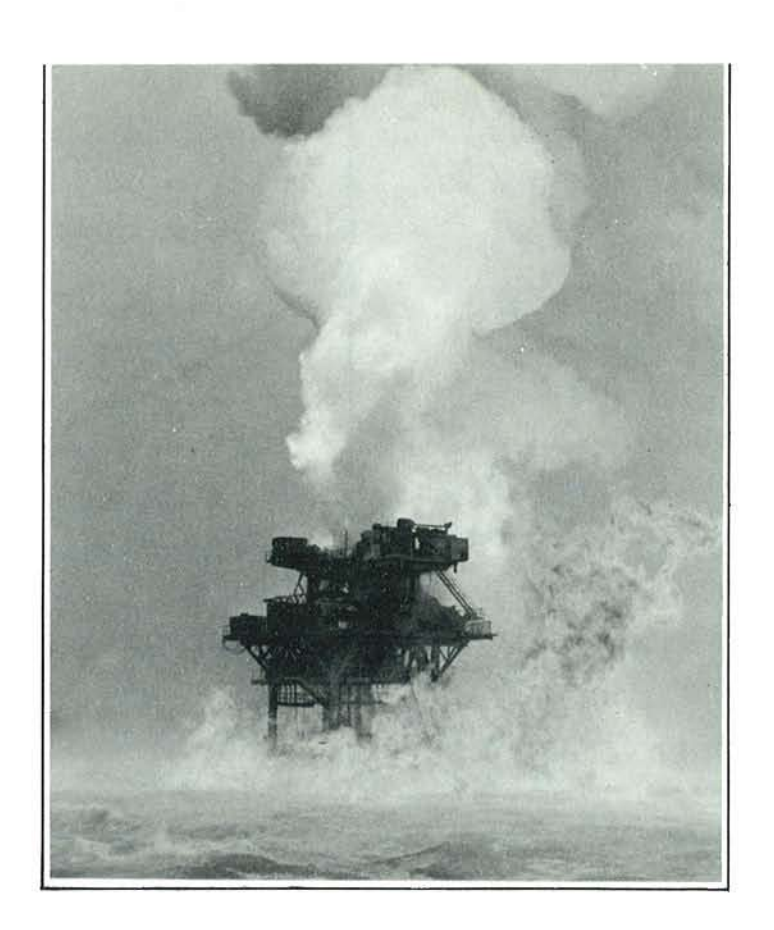
الفروسية في العصر الجاهلي - القاهرة - دار المعارف ١٩٦٠ م ١٢٨ ص

١٢-الدمياطي. شرف الدين عبد المؤمن - فضل الخيل

حلب. المطبعة العلمية. ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م.
١٩٢ ص

١٣-السعدي. رشيد بن سيد ادود

غاية المراد في الخيل الجياد. تمادي - ١٣١٤ هـ.
٤٥ ص



كنوز هائلة .. تلك البتروكيماويات

بقلم : د . عبد المحسن صالح

قد يأتي يوم – ربما بعد عشرات من السنوات قليلة – يصبح فيه من يحرق بترولا ، ليولد منه طاقة ، فتدير مصنعا ، أو تدفع بارجة ، أو تقود سيارة ، كمثل انسان في أيامنا الحاضرة ، يحرق قطنا ، ليشعل نارا ، فتشع دفئا يقيه من البرد القارص ، ومن يفعل ذلك بقطنه ، يصبح – في عرفنا من المدمرين المعتوهين ، ذلك أن القطن الغالي لم يخلق للحريق ، ولا للتدفئة ، ولا لاطلاق اي نوع من أنواع الطاقة ، بل هو – في الواقع – خامة طيبة تدخل في صناعات شتى لنا فيها أهمية خاصة .

وكذلك الحال مع البترول ومشتقاته ، لكن مع استثناء واحد ، ذلك أن زمنه الذي قد يصبح فيه خامة لا تقدر بثمن لم يأت بعد ، فلا زالت مخازنه الأرضية عامرة ببحور نعب منها عبا ، ونستهلكها استهلاكا ، دون حساب ليوم آت قد تنظر الينا فيه الأجيال القادمة نظرة عتاب ، وقد تسخر منا وتقول : كم كانوا مدمرين هؤلاء القوم الذين عاشوا في القرن العشرين ! .. وسيقولونها طبعا بعد أن ينضب المعين .

ولا جدال في أن مخزون البترول سوف ينضب يوما .. والحكيم الحكيم من أمسك يده ، ووفر نسبة من مخزونه ، فالبترول مستقبل عظيم ، لأنه خامة طيبة لم توجد لكي نحرقها ونولد طاقة بل جاءت لبناء صرح عظيم من مواد كيميائية لا نستطيع لها حصرا .

فالبترول هو الخامة الوحيدة التي تحتوي على مشتقات كثيرة .. كل مشتق منها يعطيك بدوره عشرات ومئات وربما آلاف المشتقات ، وهذا يعني أن البترول هو خامة الألف صنف وصنف أو ربما المليون صنف وصنف اذا أردت ! والكيميائي هو «مهندس» الجزئيات الوحيد الذي يستطيع

ان يستوعب هذه الحقيقة العظيمة، وربما كان هو الوحيد الذي يقدر البترول حق قدره، ويعرف مستقبله، فكلما مرت الايام، وزادت المعلومات، واتسعت المدارك، زادت قيمة البترول في عقولنا وجيوبنا.

ففي البترول الغذاء والكساء والدواء والسماد والعطر والمبيد .. وكل ما يطرأ وما لا يطرأ لنا على بال، ولكل هذا أصل، وللأصل فروع ومشتقات، لكن دعنا نوضح ذلك.

كان أساتذتنا القدامى في قسم الكيمياء بكلية العلوم يعلموننا كيف نصنع من الماء والهواء — حتى ولوكان هواء زفير — عددا من المشتقات الهامة، وكنا نمسك بورق وأقلام، ونخط المعادلات من وراء المعادلات، ونتلاعب بالذرات والجزئيات — على أساس من علم مدروس ومعروف — فنبني ونهدم، ونضيف ونحذف، وطبيعي أن كل شئ مبني ومهدوم مقدر بموازين الطاقة، فلا شئ يرتبط بشئ الا اذا كان هناك دافع، والدافع في التفاعلات الكيميائية يعني طاقة، وكان لابد أن نحسب هذه الطاقات، ونحن نخط عشرات المعادلات، حتى نصل في النهاية الى المركب المطلوب ..فقد يكون دواءاً أو صبغة أو سما أو حنظلا أو له رائحة تجعلك تستعيذ وتهرب من أذاها .. المهم اننا كنا كالمهندسين، فهؤلاء يصممون ويرسمون وينفذون مشروعات منظورة، ونحن — معشر الكيميائيين — نصمم ونرسم وننفذ جزئيات، تبدأ صغيرة وبسيطة ثم اذ بها تتعقد وتتشعب لتصبح جزئيا يهول العين مرآه!

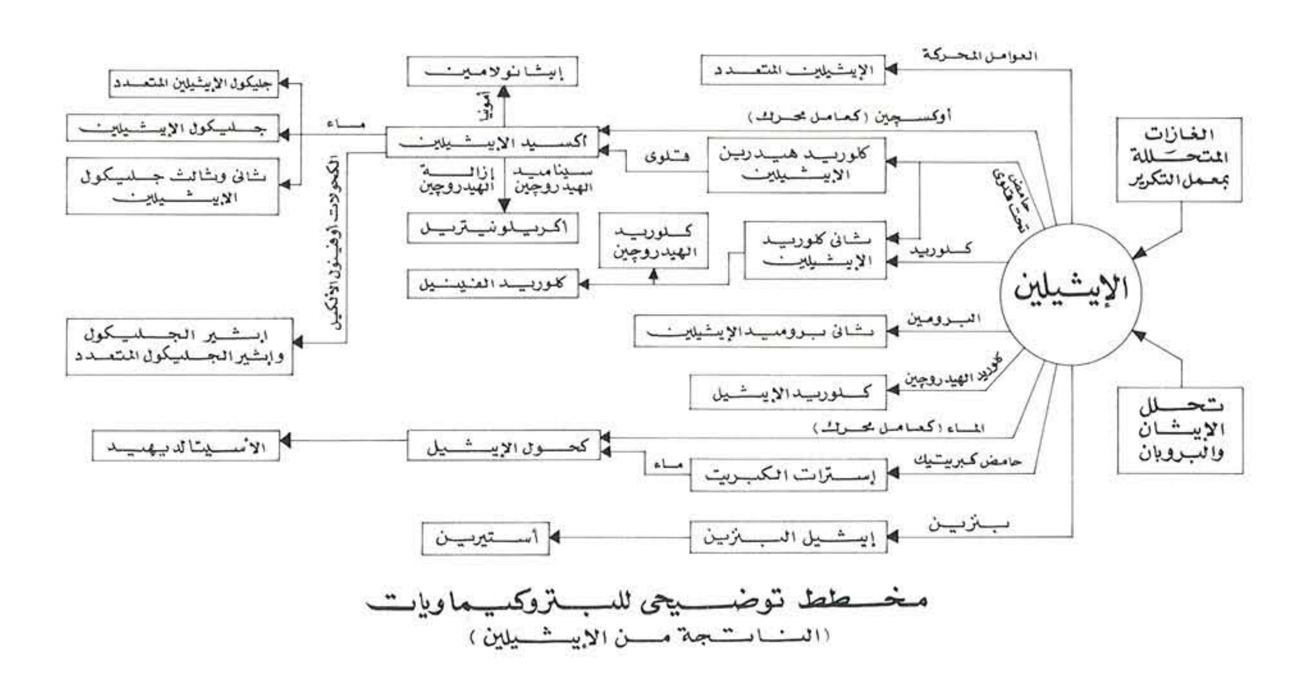
لكن .. مالنا نحن هنا والكيمياء والجزئيات والتفاعلات التي خرجت بنا عن موضوع البترول ومشتقاته؟

الواقع اننا لم نخرج عن الموضوع، لأن ما نخطه على الورق بالمعادلات، نستطيع أن ننشئ له صناعات، ونحصل منه على بضائع وأدوات ومنتجات يتسابق الناس على اقتنائها، لانها قد تتفوق في مظهرها ومتانتها وملمسها وجمالها على ما أنتجته الطبيعة من خامات قد لا تجذب انتباهنا.

وفي البترول خامة جاهزة لكل صناعة .. بداية من حذاء وجورب في قدم انسان، الى اطار في عجلة سيارة، الى قميص وزرار ورباط عنق ... الى ملابس داخلية وخارجية للنساء وللرجال على السواء .. وأضف الى ذلك ما تشاء، فالقائمة طويلة عريضة.

ويوم تنتهي خامة البترول، وينضب معينها، فقد نعود الى الخامات البسيطة والمعادلات التي تعلمناها في الكليات، ونقيم لها صناعات، ونسخر لها طاقات، ونضيع فيها أموالا ومجهودات حتى نصل بعد عديد من الخطوات التصنيعية الى الخامة الأولية الموجودة في البترول الحالي.

ومن اجل هذا كان على الدول العربية التي أعطاها الله فيضا من البترول ان تقتصد فيه الى أبعد الحدود، لأن هذه



مخطط توضيحى للبتروكيماويات
(الناتجة من الايثيلين)

الخامة – وان كان يبدو ظاهرا أنها للاحتراق واطلاق الطاقة – الا أن أهميتها الفائقة قد ظهرت في انتاج الآلاف من انواع المواد الكيميائية الغالية، وهي التي عرفناها باسم صناعة البتروكيمياويات أو الكماويات البترولية، أو مشتقاتها الكثيرة التي لا تكاد تعد ولا تحصى.

فالبترول الخام هو في الأصل بقايا نباتات وحيوانات قديمة لم تتحلل تحللا كاملاً الى غازات وعناصر بسيطة، بل دفنت تحت ظروف خاصة في ثنايا الأرض، وتحت ضغط هائل، وحرارة شديدة، تحولت هذه البقايا الى «طبخة» عضوية ظلت حبيسة في باطن الأرض ملايين من الأعوام، ولهذا، فلا غرو أن تحتوي هذه «الطبخة» العجيبة على مئات أو ربما آلاف المواد العضوية البسيطة والمعقدة، وفي حالاتها الطبيعية الثلاث: أي الغازية والسائلة والصلبة، ولكل حالة مركباتها وجزيئاتها، ولكل جزء صفاته وخواصه، وله بعد ذلك استخداماته .. فاما أن نهدمه بالاحتراق، ونحرر منه الطاقة، واما أن نأخذه كخامة طيبة، لنجري عليه مزيدا من التفاعلات الكيميائية، فنضيف اليه، أو نحذف منه، وكأنما نحن بمثابة «ترزية» للجزيئات، حتى تخرج في النهاية بالصورة التي نهواها، فيهواها معنا المستهلكون على هيئات شتى.

حاجة الانسان الى البتروكيميائيات

والواقع أن أية صناعة وبيت ومؤسسة لا يمكن ان نستغني عن مشتقات البترول أو مكوناته .. فالصناعات الدوائية والكيميائية تعتمد اعتماداً هائلاً على مركبات بعينها يمكن فصلها من البترول تحت عمليات تقطير خاصة، كما أن صناعات الأصباغ والألياف الصناعية والبلاستيك وما شابهها تأخذ موادها الخام من البترول .. أضف الى ذلك أيضا الكثير من مستلزمات الصناعات الهندسية والزراعية والمبيدات الحشرية وغير ذلك من أصناف ومشتقات تعد بالآلاف.

الولايات المتحدة الامريكية – على سبيل المثال – تحصل على ثلث احتياجاتها من المواد الكيميائية المختلفة من خامة البترول، ومن أجل هذا تأخذ حوالي ٥٪ من الزيت الخام والغازات الطبيعية لتحولها الى عدد هائل من البتروكيميائيات او المواد الكيميائية المشتقة من البترول، ومن الغريب ان عدد المؤسسات الصناعية القائمة على تصنيع البتروكيميائيات يبلغ في العالم كله حوالي ١٤٦٠ شركة (هذا الرقم لا يشمل الدول الشيوعية)، يخص امريكا حوالي ٥٣٪ منها، ولا تمتلك الدول العربية مجتمعة الا عددا ضئيلا يعد على اصابع اليدين (أي أقل من ٠٫٥٪ مما يمتلكه العالم)، رغم أنها تصدر اكثر من ثلث بترول العالم.

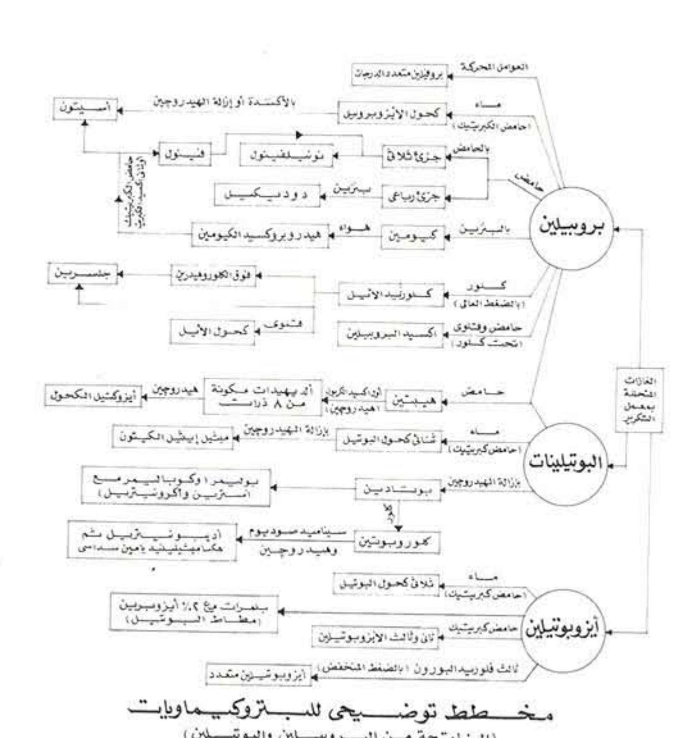
وهذه الحقيقة المخجلة يجب ان نأخذها في الاعتبار، اذ لابد من أن تكون خبرات البترول لأهله، كما أن انشاء صناعات بتروكيميائية في البلاد العربية سوف يحولها الى دول صناعية او شبه صناعية فشيء خير من لاشيء على أية حال، أضف الى ذلك ان تصنيع البترول وطرح منتجاته على هيئة أسمدة ومذيبات وأدوية وأدوات زينة، وملابس وعطور ومبيدات للحشائش والحشرات والفطريات .. الخ .. الخ، لكفيل بمضاعفة الدخل مرات ومرات.

فالولايات المتحدة (وهذه دائما ارقامها جاهزة – وهو نوع من الثقة بالنفس على أي حال) تستخلص من بترولها في كل عام ما يزيد على ٢٢ مليونا من أطنان السماد النشادري، وهي كمية تكفي لتسميد معظم أراضي الدول العربية .. وتحصل منه على انتاج من البلاستيك يصل الى حوالي ستة آلاف مليون رطل سنويا، أو ما يوازي ٢٫٦ مليون طن ومن الألياف الصناعية (الداكرون والنايلون والتيريلين .. الخ) ما يربو على اربعة آلاف مليون كيلوجرام في العام، وهي تزيد انتاجها بمعدل يتراوح ما بين ١٠–١٥٪ كل عام، ومن المطاط الصناعي على عدة ملايين من الأطنان والملصقات والدهانات وأدوات الزينة على عدة ملايين أخرى ..

وبالاختصار فان الولايات المتحدة استطاعت حتى الآن ان تصنع من البترول ليس فقط ألف صنف وصنف، بل اكثر من اربعة آلاف صنف، وسوف يتضاعف العدد والانتاج والارباح والاستهلاك كلما مرت السنوات.

فالصناعات البتروكيميائية جعلت من البترول كنزا عظيما مدفونا في الأرض، او كما يعبر عنه البروفيسور هـ. سلوتبوم المستشار العلمي لشركة شل العالمية فيقول: «ان منتجات البترول التقليدية تميل الى اعتبارها كماويات اكثر من اعتبارها وقودا، وذلك نتيجة لزيادة كفاءة تحويلها من صورها التقليدية المعروفة الى مركبات اخرى اكثر فائدة.»

لكن التهافت على تصنيع جزء من خام البترول الى آلاف من المشتقات التي لا يمكن أن نستغني عنها في حياتنا، هذا التهافت يرجع الى عدة اسباب جوهرية، نذكر منها ان الخامات المطلوبة في صناعة البتروكيميائيات يمكن الحصول عليها من البترول الذي لا يزال سعره معقولا، اذا ما قورن



مخطط توضيحي للبتروكيماويات
(الناتجة من البروبيلين والبوتيلين)

بأسعار المنتجات المصنعة من مشتقاته كما أن التقدم التكنولوجي الهائل في اكتشاف مشتقات جديدة لها فوائد فريدة، وأن البداية لهذه المشتقات توجد بكميات وفيرة في البترول الخام الذي لا يزال بدوره وفيرا، لمن الأمور الهامة التي تجعل اصحاب هذه الصناعات لا يرضون عن البترول بديلا، هذا بالاضافة الى وجود عقليات كيميائية ذكية تتلاعب بالجزيئ الواحد، وتستطيع ان تغير فيه وتبدل، فاذا به يتحول الى موديلات عجيبة ومثيرة، ولكل «موديل» او طراز صفات خاصة تؤهله لأن يتربع على عرش صناعة قائمة بذاتها قد تدر على اصحابها أكواما من ذهب وفضة!

ومع ذلك، فهناك نقطة جوهرية يجب أن ننبه اليها الأذهان قبل فوات الأوان، فمعظم دول البترول العربية لا تمتلك مساحات واسعة من الغابات أو المناطق ذات الأشجار الكثيفة، وهي بهذا تختلف عن الدول التي تصدر اليها بترولها، فاذا نقصت معدلات فائض البترول، وقعت الدول العربية في حيص بيص من صناعاتها البتروكيميائية التي ربما تكون قد أنشأتها، ثم لم تحسب لها حساب خاماتها، في حين أن الدول المستوردة للبترول قد تجد للمشتقات البترولية بديلا.

لكن .. ما دخل الأشجار والغابات مع البترول وما ينتج عنه من بتروكيميائيات؟ .. لأن معظم دول الغرب والشرق الصناعية تستطيع ان تحصل على الخامات التي كانت موجودة في البترول من الأشجار، ولها منها مساحات شاسعة ... كيف؟

بتقطير خشب الأشجار يمكن الحصول على الخامات اللازمة لصناعة العديد من البتروكيمياويات كالبلاستيك والمطاط والألياف الصناعية والمواد الصيدلانية .. الخ، والتقطير الاتلافي للخشب او الفحم كان من الطرق القديمة المعروفة للحصول على مشتقات البترول، لكن وفرة البترول، وانخفاض سعره اطاحت بهذه الطرق، الا أن هناك دراسات جادة لاعادتها وتقييمها وتطويرها، لأن القوم يدركون انه لا مناص من الرجوع اليها ان آجلا او عاجلا، فمصادر البترول لا يعتمد عليها الى الابد.

صحيح ان كل احتياجات الولايات المتحدة من الوقود والمشتقات المستخدمة في صناعة البتروكيميائيات لا يمكن الاعتماد عليها كليا عن طريق التقطير الاتلافي للخشب، الا أن هناك أخشابا من الدرجة الثانية أو الثالثة تنتشر في غابات الولايات المتحدة، وأن هذه الكميات كفيلة باعطائنا – على حد ما يقول د. ايرفنج جولدستين من جامعة نورث كارولينا والمتخصص في شئون الغابات – ما نحتاج اليه في الصناعات البتروكيميائية وحدها، اذ يكفي لها حوالي خمسين مليونا من الأطنان سنويا، وهذه تساوي نصف كمية لب الخشب الذي يصنع منه الورق، ومع ذلك، فلن تؤثر الكميات اللازمة لصناعة البتروكيميائيات على انتاج صناعات الورق، لأن التقطير يحتاج الى خشب من أي نوع، أو ربما نفايات أخشاب.

كل ما نريد أن نرمي اليه من وراء ذلك أن تكون عيوننا مفتوحة على ما يجري حولنا، وأن نعمل حساب المستقبل، حتى لا تتوقف صناعاتنا عندما لا نجد لها خاماتها – ممثلة في بترول أو فحم، أو أشجار، لأن تنافس العالم على خاماته الباقية – مهما كان شكلها ونوعها – سيجعلها غالية المنال.

والبترول لا يزال عندنا، ولا زلنا كذلك نصدر منه كل ما يحتاجه غيرنا، دون ان نقبض يدنا بعض الشيئ، حتى يكون لنا رصيد ندير به صناعاتنا البتروكيميائية اذا ما قدر لنا أن نتوسع فيها، ونستثمر ما حبانا الله لاجيال طويلة قادمة.

البترول .. والطعام

على أن البترول أيضا خامة طيبة للطعام .. لكن ذلك لا

يعني أنه صالح على حالته، أو حتى بعد تكريره وتنقيته كغذاء للبشر، بل نعني أنه وسيط ملائم لانتاج كميات هائلة من البروتينات لدول ليس عندها امكانيات كبيرة للزرع والضرع، فتعيش على ما تستورده من دول أخرى.

وفكرة الحصول على البروتينات والدهون والفيتامينات وربما الدواء ايضا من البترول فكرة ليست بالجديدة، صحيح أن أحدا لم يأخذها على محمل الجد حتى الآن (يستثنى من ذلك ايران) الا أن الايام القادمة كفيلة ببعثها واعتبارها واحدة من أهم الأفكار التي تمخضت عنها البحوث العلمية الكثيرة التي تمت في هذا المجال.

فجزئيات البترول جزيئات عضوية غنية بالطاقة، وكل كائن حي يأكل، ليحرق ما أكل، ويستفيد بالطاقة المتحررة من الطعام .. لكن ما قد نستسيغه نحن، قد لا يستسيغه القرد ولا القط ولا الحمار ولا الميكروب .. فلكل نوع من الكائنات طريقة حياة وطعام، وللبترول كائناته التي تعيش فيه وتتكاثر، ولقد أمكن عزلها وتصنيفها، وهي من نوع الكائنات الدقيقة التي لا ترى الا بالمجاهر، لكنها اذا تكاثرت على وسط غذائي مناسب، فان انتاج المادة الحية عندها يفوق انتاج أي كائن

انه ليس عصر الذرة ولا الصاروخ ولا الكهرباء بقدر ما هو عصر البترول ومشتقات البترول اذ لا يزال هذا «الذهب الأسود» يتربع على رؤوس كل الصناعات، ومن مَلَكَه، فقد أوتي فضلا عظيما، وخيرا كثيرا .. ولابد ان ينبع الخير من الخير وفي ذلك الكفاية «لقوم يتدبرون».

---

*المجلة: **أعارت المملكة العربية السعودية اهتمامها الفعلي فيما يخص صناعة البتروكيماويات .. ومن آثار اهتمامها انشاء الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) لتنفيذ الصناعات الأساسية المرتبطة بشكل رئيسي باستخدام الموارد الهيدروكربونية في المملكة والصناعات الأخرى التي تعتمد اساسا على الاستخدام المكثف للطاقة والاستفادة من مصدر الوقود الوافر والرخيص نسبيا في المملكة .. وقد قامت بوضع ترتيبات مناسبة لمشاريع مشتركة مع شركات عالمية من اجل تصميم وانشاء وتشغيل صناعات اساسية ممتازة وتسويق منتجاتها .. ومن هذه**

المشاريع:

١- مشروع البتروكيماويات لانتاج (٤٥٠) ألف طن متري من الايثلين في السنة وسوف ينشأ في المجمع الصناعي بالجبيل في المنطقة الشرقية وسوف يستعمل الايثلين كمادة خام .. وسيشمل المزيج المنتج من هذا المشروع على الستيرين والاثيلين داى كلورايد وغيرهما من مشتقات الايثلين.

٢- مشروع مجمع البتروكيماويات .. وهو ايضا مشروع مشترك سوف ينشأ في مجمع ينبع الصناعي على الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية لانتاج (٤٥٠) ألف طن متري من الاثيلين في السنة .. ويشمل المزيج الانتاجي لهذا المشروع البولي ايثيلين منخفض الكثافة .. والايثلين جليكول .. والاسترين.

٣- مشروع البتروكيماويات .. وهو مشروع مشترك سوف ينشأ في المجمع الصناعي بالجبيل لانتاج (٥٠٠) ألف طن متري من الايثلين في السنة .. ويحتوي المزيج المنتج من هذا المشروع على البولي ايثلين منخفض الكثافة والايثلين جليكول.

٤- وهناك مشروع آخر للبتروكيماويات قيد الدراسة الجادة .. وهو مشروع مشترك لانشاء مصنع لانتاج البويثلين المنخفض الكثافة في مجمع الجبيل.

٥- وتجري حاليا مفاوضات مع عدة شركات كيماوية بشأن مشروع للميثانول النقي .. ومشروع لانتاج الاسمدة الأزوتية (أمونيا/موريا) وسوف تستخدم هذا المشاريع الميثان كمادة خام .. وستحدد الطاقة الانتاجية لهذه المشاريع على ضوء نتائج دراسات الجدوى.

٦- وقد انتهت دراسة الجدوى لمصهر الألمنيوم (٢٢٥ الف طن متري في السنة) وتجري المفاوضات لتنفيذ هذا المشروع.

الفنادق والفندقة في بلا[د]

هذا الموضوع خص به المؤلف المجلة .. وهو الفصل التاسع من كتابه «عودة الرحالة ابن جبير» المعد للطبع

الفندق في اللغة

الفندق – كقنفذ – من الكلمات المعجمية – اي التي اوردتها المعاجم العربية وحللوها وشرحوا معانيها واوردوا اصلها .. حسب ما توصل اليه علمهم .. ويرى «لسان العرب» لابن منظور الأنصاري انها كلمة فارسية الجذم فيقول: الفندق: الخان، فارسي، حكان سيبويه .. ومع ذلك اورد ان الفندق يطلق لغة على «حمل شجرة مدحرج كالبندق، يكسر عن لب الفستق. وذكر ابن منظور ان الفندق بلغة اهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن» .. وقد توصلنا من دراستنا لرحلة ابن جبير ان اهل الشام يسمون ما يعرف بالفندق لدى اهل مصر والحجاز والمغرب، ومثلهم اهل العراق وديار بكر يسمونه «خانا».

وقد تقلب دال الفندق الى تاء لدى قضاعة .. قال الغراء: سمعت اعرابيا من قضاعة يقول «الفنتق» وقد ورد في «لسان العرب» ان الفنداق «يطلق على صحيفة الحساب» «مادة فندق».

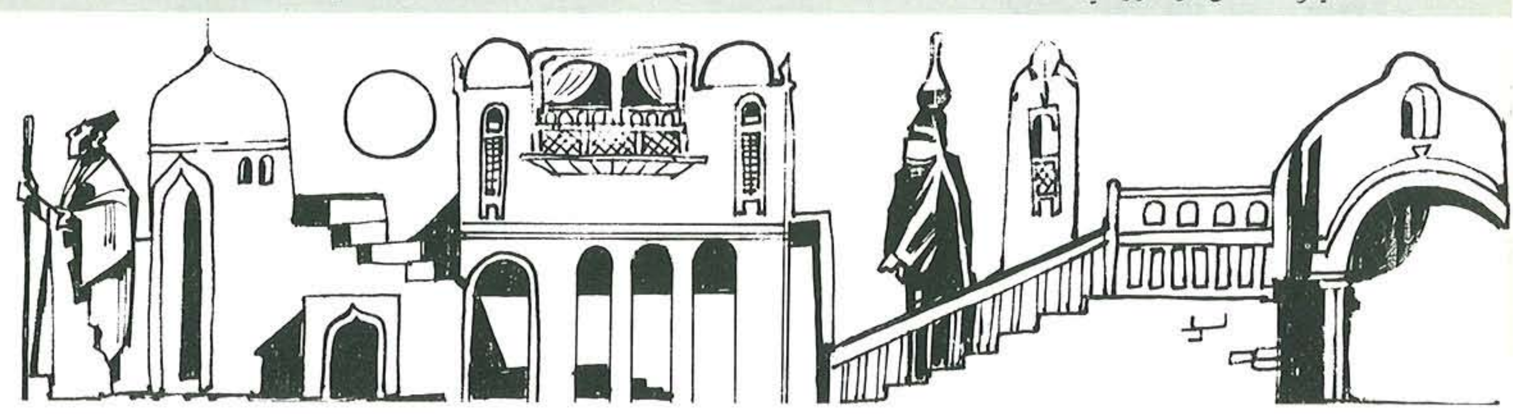
وكتاب تاج العروس شرح القاموس .. ينص على ان لغة اهل الشام تسمي الفندق (خانا) راجع (مادة فندق).

وللفندق معان اخرى فهو موضع قرب المصيصة. وهو لقب محدث، وفندق الحسين موضع: والفنيدق بالتصغير موضع بحلب .. وهنالك كلمة لها صلة بصيغة الفندق الا وهي (الفنداق) .. فهو بمعنى صحيفة الحساب كما قدمناه آنفا – وقال الأصمعي: احسبه معربا. وفي الديباج المذهب لابن فرحون ما نصه: «ولما مات مالك رحمه الله تعالى خرجت كتبه، فاصيب فيها فناديق عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه ليس في الموطأ منه شيء الا حديثين. وقال ابنه لما دفنا مالكا دخلنا منزله فاخرجنا كتبه فاذا فيها سبع فناديق من حديث ابن شهاب، ظهورها وبطونها ملأى، وعنده فناديق او صناديق من حديث اهل المدينة ... الخ[1] فقد ظهر بما ذكر ان (الفنداق) كلمة بمعنى الصحيفة سواء اكانت في الحساب ام في العلم.

الفنادق التي نزل فيها ابن جبير:

هذا وحينما وصل ابن جبير الى الاسكندرية بحراً ونزل بفندق (الصّفّار) بمقربة من الصبانة، وقد رأينا بمناسبة اول ذكره للفنادق برحلته ان نقدم للقراء عجالة تاريخية عن «الفنادق والفندقة في بلاد العرب والاسلام»، احياءا واشادة بهذا التراث العمراني العربي الاسلامي الذي يكاد كثير من المعاصرين يجهلون ان منشأه الثاني كان من المدنية العربية الاسلامية التي اسلمتها للمدنية الحاضرة فنقول:

كانت الفندقة صناعة رائجة واصيلة في بلاد العرب والاسلام من اقصى شرقها الى اقصى غربها، يشير الى ذلك ما اورده لنا ابن جبير من اسماء الفنادق التي نزل بها في رُحلته الطويلة المدى بالبلاد



العرب والإسلام

بقلم:
عبد القدوس الأنصاري

الاسلامية. ومما يلاحظ ان وجود الفنادق في البلاد الاسلامية كان في الغالب الأعم بالمدن الكبيرة ذات الحركة التجارية الواسعة والتي هي مثابة للناس ونجمع للسائحين. واكثر هذه المدن هي مدن السواحل البحرية المقصودة .. ومن الفنادق التي نزل فيها ابن جبير اثناء رحلته غير فندق الصفار المذكور آنفا – (فندق أبي الثناء) بمصر القديمة الذي يقع في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه، نزل فيه هو وصحبه في حجرة كبيرة على بابه[٢].

وثالث الفنادق التي نزل بها ابن جبير فندق ابن العجمي بالمنية في مدينة (قوص). والمنية هذه ربض[٣] كبير خارج مدينة (قوص) وقد نزلوا فيه على باب الفندق ايضا. وقوص هذه التي بها الفندق المذكور هي محط الرحال ومجتمع الرفاق، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والاسكندريين. ومن يتصل بهم، فيحق لها ان يكون بها هذا الفندق.

ورابع الفنادق التي حل فيها ابن جبير، في طريق عودته من بلاد المشرق الى بلاد الاندلس هو (خان أبي الشكر) نزل به هو ومن معه .. وهو ربض مدينة حلب.

وخامس الفنادق (خان التركمان) ويقع في موضع يعرف بـ (باقدين). وقد وصفه ابن جبير بانه وثيق الحصانة، واستطرد الى وصف خانات هذا الطريق، فأعطانا طرزها التي شاهدها فهي كالقلاع امتناعا وحصانة وابوابها حديد، وهي من الوثاقة في غاية[٤].

وسادس الفنادق (خان تمنى) ويقع في موضع يعرف بهذا الاسم[٥].

وسابع الفنادق (خان حماة) وحماة مدينة قريبة من حمص في بلاد الشام[٦].

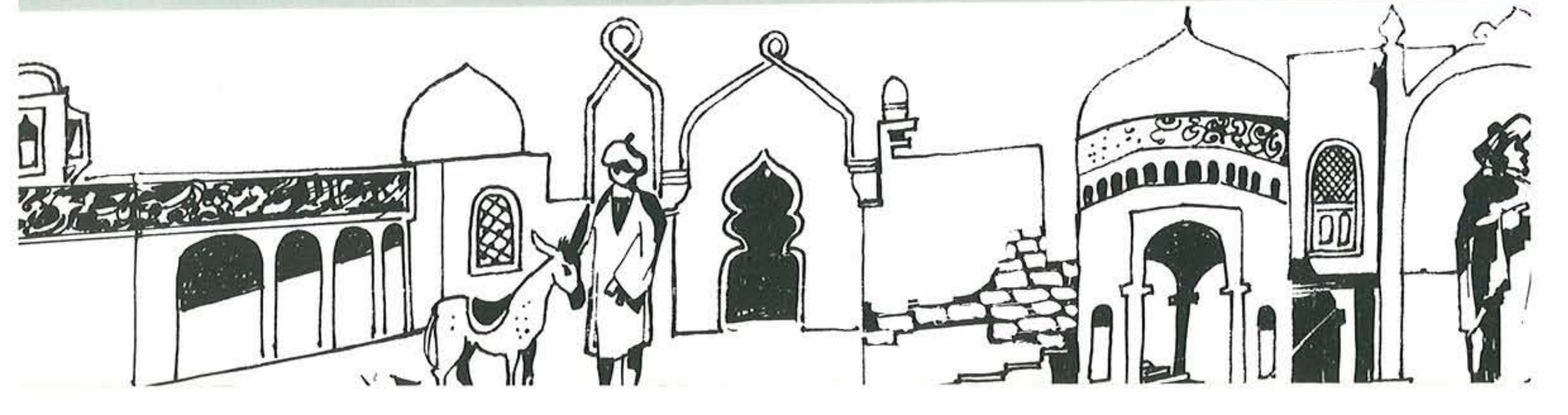
وثامن الفنادق (خان قرية القارة وهو فندق يقع في قرية القارة من قرى بلاد الشام[٧].

وتاسع الفنادق (خان السلطان) اي السلطان صلاح الدين. وقد بنى هذا الخان على ما يقوله ابن جبير – صلاح الدين صاحب الشام، وهو في غاية الوثاقة والحسن، بباب من حديد على سبيلهم في بناء خانات كل هذه الطرق واحتفالهم في تشييدها[٨].

هذا وقد ذكر ابن جبير ان بجدة – لما نزل بها – فنادق مبنية بالحجارة والطين وفي اعلاها بيوت من الاخصاص كالغرف – ولها سطوح يستراح فيها بالليل من اذى الحر.

كما ذكر ابن بطوطة في رحلته ان بكل منزل من منازل الرمال مثل السوادة والواردة والطيلب والعريش والخروبة فندقا – وهم يسمونه (الخان) ينزله المسافرون بدوابهم، وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري فيه المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته[٩].

سقنا هذا الحديث عن الفنادق العربية الاسماء – والسمات في حضارتنا الاسلامية للتعريف بمن تعاهدوا من



الفنادق
والفندقة في بلاد العرب والإسلام

اسلافنا انشاء هذه الفنادق ثم اسلموها للحضارة الحديثة، وسنقرر ذلك بتأييدات اوسع فيما بعد ان شاء الله. هذا من جهة، ومن جهة اخرى لندعو الى تعديل خطة تسمية فنادقنا العربية الحديثة في بلاد العرب والاسلام باسماء[١٠] افرنجية بحتة ثقيلة على اللسان العربي والذوق العربي وهي لا تمت الى حضارتنا ولغتنا وتقاليدنا باية صلة. وذلك مثل فندق انترناشيونال وفندق انايسس، وفندق فينيسيا، وسان جورج، وكنجز هوتيل ... الى آخر هذه التشكيلة العجيبة التي يمكن اعتبارها لغويا جزءا من خطة الغزو الفكري الاجنبي لبلادنا.

لقد كان من الملائم للامة العربية والاسلامية وهي الآن تسير في مستهل صحوة عربية اسلامية حثيثة تجدد بها ما اتلفه الغزو الاستعماري الغربي ان تضع لفنادقنا في سائر البلاد العربية والاسلامية اسماء عربية خالصة من صميم بيئتنا ولغتنا الجميلة على النحو الذي حدثنا به ابن جبير في رحلته.

وبالمناسبة نذكر هنا بعض الاسماء المتخذة حديثا لبعض الفنادق ببلاد العرب والاسلام وهي عربية السمات والالفاظ جميلة الايقاع على آذاننا مثل فندق «دار السرور» الذي انشأه المرحوم السيد عبدالله مدني بالمدينة في العهد العثماني وبقي الى عهد الدولة السعودية وقد وصفه ابراهيم رفعت في كتابه «مرآة الحرمين» وفندق الحرمين وفندق مكة. وفندق مكرم، وفندق المدينة، وفندق الانصار، وفندق الحرم، وفندق الفتح، وفندق التاج، وفندق البحرين، وفندق النور، وفندق أمية، وفندق الجزيرة، وفندق الرحاب، وفندق الرياض، وفندق اليمامة، وفندق بهاء الدين، وفندق حسان بالرباط، وفندق مرحبا والمنصور بالدار البيضاء.

فلله در هؤلاء الفندقيين الذين اطلقوا على فنادقهم اسماء عربية فصيحة ذات صلة ببيئتنا وتراثنا الخالد ولغتنا العربية المعطاء.

واننا لنأمل ان يقتدي بهم بناة الفنادق واصحابها في سائر بلاد العرب والمسلمين.

ونقول بالمناسبة ايضا: هل وصل الى مسامعنا او علمنا اسماء فنادق كبيرة غربية في بلاد الغرب قد وضعوا لها اسماء عربية اسلامية؟ لاشك في ان جل الغربيين ان لم نقل كلهم يعتبرون هذا (لو حدث كثيرا في بلادهم)، نشازا ونكاية سافرة بالنسبة لحياتهم، ومدنيتهم الحاضرة، ومحاولة لتمزيق مجتمعهم التقليدي. فهل من مذكر؟

الفندقة في الحضارة الاسلامية:

لم يكن ما قلناه آنفا عن اصل صناعة الفندقة، من القول الجزاف واطلاق الكلام على عواهنه، فهو قول له مستنداته: جاء في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) (لزيغريد هونكه) الالمانية الذي عربه فاروق بيضون، وكمال دسوقي – ما نصه: (ففي كل الموانئ وفي كل منافذ الحدود انشأ فردريك بيوتا حكومية على نمط الفنادق العربية، وبالاسم العربي نفسه، وجعلها تخدم المسافرين والتجار وتعد لهم مبيتهم ... وكان على المسافرين ان يقدموا ما يحملونه من البضائع لموظفي الجمارك في تلك الفنادق فتوزن وتقدر عليها المكوس تبعا لقيمتها ووزنها).

ثم شرحت المؤلفة الالمانية كيف انتقلت صناعة الفندقة من مملكة صقلية وايطالية التي نقلتها من حضارة العرب، كيف انتقلت الفندقة الى بلاد اوروبا بالتسلسل والتدرج فقالت: (وبدأت المدن الاوروبية الاخرى تقلد ما حدث في المدن الايطالية وصقلية وانتقلت الفكرة الى المانيا عن طريق المسافرين والفرسان). وحملت معها تغيراتها العربية

د. زيغريد هونكه

• مستشرقة المانية معروفة. أحبت العرب. وما زالت وصرفت وقتها كله باذلة الجهد للدفاع عن قضاياهم والوقوف الى جانبهم عن قناعة وهي زوج الدكتور شولتزا المستشرق الألماني الكبير الذي اشتهر بصداقته للعرب. وتعمقه في دراسة آدابهم والاطلاع على آثارهم ومآثرهم.

• عاشت المؤلفة مع زوجها عامين اثنين في مراكش بالمغرب. كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية للاطلاع والدراسة.

لتصبح كلمات المانية مثل: فندق FONDECO ومخزن MAGAZINE
وترسانة او مخزن عسكري ARSENI
وديوان DUANE وجباية GABELLE والعواري بمعنى عطل في بضائع المركب HAVANE وقابل سلك او حبل سميك
ومخاطرة MOHATRA و RISIKO بمعنى مغامرة و SECHECKE اي صك STERLING استرليني و TARA بمعنى طرحة و TARIF بمعنى تعريفة وغيرها[١١].

وهناك دليل آخر اعمق واوسع على ان الفَنْدَقَة كانت صناعة عربية اصيلة رائجة وعلى انها انتقلت من العرب في حضارتهم الاسلامية الى اوروبا حسب ما ينطق به النص التالي (تأثر المسلمون في الاندلس بنظام الفندق الذي كان شائعا عند اليونان بأسم αγογοεα والرومان باسم HOREA فاستخدموا هذا البناء في مدنهم ومن العجيب ان الفندق الاسلامي في الاندلس ظل معروفا في اسبانية المسيحية، وكان يعرف بأسم Al Hondiga او Al Fondiga ومنها اشتقت اليوم كلمة FONDK وتعني بالاسبانية فندقا يأكل فيه النزلاء وينامون[١٢] وقد اضافت الدائرة الى النص السابق ذكره نصا آخر شرحت فيه اعمال الفنادق ومهامها ووظائفها في الحضارة العربية فقالت:

(وكان الفندق في الاندلس بناءا يقضي فيه التجار الغرباء ليلهم وتحفظ فيه البضائع وتخزن او تباع احيانا بالجملة فكان بمثابة الخان في المشرق بجانب وظيفته في التخزين والبيع، وكانت هذه الفنادق تسمى باسماء ما يباع بها من بضائع كالحبوب والقمح والخضروات (والخضراوات) والقراميد والتين الى غير ذلك او كانت تسمى باسماء اصحابها كفندق (زائدة بغرناطة).

ومن هنا ندرك السر في تسمية الفنادق في الشرق العربي حسب ما ذكره ابن جبير بأسماء: فندق الصفار (اي صانع الصفر او بائعه او جالبه) وفندق ابي الثناء، وفندق ابن العجمي، وخان السلطان. والفندق الاندلسي كان يشغل مكانة هامة في العمران والاقتصاد ولذلك كثرت الفنادق في اهم مراكز المدن، اي حول المسجد الجامع ويؤيد ذلك ما ذكره الادريسي خاصا بفنادق المرية من انه كان بها في النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادي الموافق للقرن السادس الهجري – ما يقارب (٩٧٠) فندقا فهذه المعلومات التي زودتنا بها المراجع التاريخية تعطينا فكرة محددة بان صناعة الفندقة العربية كانت اكثر رواجا واعظم ذيوعا واكبر نجاحا من زميلتها التي اقيمت بعدها، وعلى ضوئها في الغرب، ففي مدينة المرّيه وحدها يوجد قرابة الف فندق. وقد ذكر لنا ابن جبير ان فندق ابي الثناء الذي نزل فيه، بمصر القديمة، كان بقرب جامع عمرو بن العاص اي على غرار فنادق المرّيه الموجودة بجانب مسجدها الجامع.

وبالمناسبة نلاحظ هنا ان اكثر الفنادق المعدة لنزول الحجاج والزوار بمكة وبالمدينة انما توجد بقرب المسجد الحرام وبقرب المسجد النبوي ايضا في هذه السنين على نظام الفندق العربي القديم.

طراز بناء الفندق العربي

يتألف الفندق الأندلسي العربي – كما نراه اليوم في مراكش – من بهو مستطيل او مربع تدور به مجنبات، او ممرات تطل على هذا البهو، وتوزع غرف الفندق وراء هذه الممرات ويخص الطابق الادنى من الفندق للمخازن والاصطبلات اما العلوي فيشتمل على حجرات النزلاء ومخازن البضائع المعدة للبيع، وتقوم عقود

• تناولت الدكتورة زيغريد في اطروحتها التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراة في جامعة برلين (اثر الأدب العربي في الآداب الاوربية).

• في عام ١٩٥٥ م صدر مؤلفها الاول (الرجل والمرأة) وهو كتاب تاريخي. اكدت فيه كما فعلت في كتبها كلها التي تناولت فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة. والحضارة الانسانية عامة. وكتابها (شمس العرب تسطع على الغرب – اثر الحضارة العربية في اوربا) – هو ثمرة سنين طويلة من الدراسة الموضوعية العميقة والمكتبة الألمانية لا تحوي في هذا الحقل الواسع سوى عدد من المقالات في المجلات العلمية لا تشفي غليل الباحث المدقق.

المجنبات حول بهو الفندق على دعائم خشبية تربطها فيما بينها اوتار خشبية كذلك – وكانت هذه الدعائم من الفنادق الفنية تتخذ من الآجر، ويتوسط البهو عادة فوارة للسقاية.

ويصعد الى الطابق العلوي من الفندق من درجتين [13] وهذا التقليد في طراز البناء لا يزال متخذا في الفنادق الحديثة الضخمة فيوجد فيها مصعد كهربائي للنزال وضيوفهم، ودرج آخر مبني لصعود العمال والحمال ومن لف لفهم.

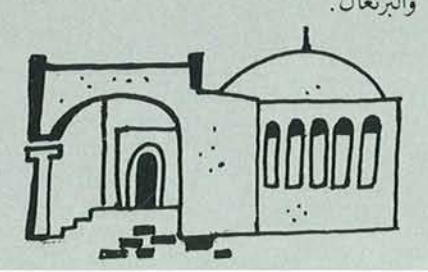
فالغرب اذن قد اخذ هذا الطراز ولا يزال من طراز بناء الفنادق العربية وبرغم تطوره في صناعة الفندقة فلا يزال هذا الطابع في طراز فنادقه كما هو في الحضارة العربية. وهذه المعلومات الطازجة ارى انها تفيد الباحثين عامة والفندقيين العرب المحدثين خاصة وتوقظهم الى اهمية تراثهم العمراني الحضاري، فيما يتعلق بالفندقة ومتعلقاتها واسمائها وأشكالها ومواقعها ..

وتحدثنا المصادر التاريخية عن جدران الفنادق الخارجية عند العرب فتقول: انها خالية من اي منفذ، وذلك لتجنب السرقات. اما المدخل فكان يتخذ شكل عَقدٍ متجاوز على هيئة حدوة الفرس او منكسر على مثال عقود الموحدين، ويحيط به اطار مستطيل تزين بَنيقَتَيهِ– اي خاصرتيه بعض التكوينات الزخرفية والترويقات، ويلي المدخل ردهة او اسطوان تعلوه قبوة اسطوانية، او من المقرنصات كما هو الحال في فندق غرناطة المعروف اليوم بفندق الفحم على رأي دائرة معارف الشعب. والفندق الجديد على رأي محمد عبدالله عنان في كتابه (الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال). وتقوم (غرفة الفندقيّ) فوق هذا الاسطوان مباشرة وهي غرفة مزودة بنافذة مزدوجة العقد، تطل على البوابة حتى يستطيع الفندقي ان يراقب عملية نقل البضائع.

بهذه المناسبة انّ اساس تطور الحضارة الانسانية هو الاقتباس في البناء والتنظيم. والتعديل الى الاصلح والافضل والانسب دائما، وعلى ضوء هذه القاعدة، نود من ذوي الاختصاص في صناعة الفندقة من العرب والمسلمين ان لا يمعنوا في (تقليد الاجانب) في شكل بناء فنادقهم وتراتيبها وانظمتها السائدة بل يسعوا الى تحسين مستوى ذلك كله مهما يمكن، وتعديله الى الانسب لمحيطهم العربي والاسلامي.

هذا ولشهرة صناعة الفنادق العربية في الاندلس فانه لا يزال هناك اسم فندق يطلق حتى اليوم على احد شوارع اشبيلية [14] بالاندلس او على التعبير السياسي اليوم باسبانيا Al Fondiga – Al Hondiga

ويعد فندق الفحم بغرناطة من اروع امثلة الفنادق الاندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي وبوابته من اجمل البوابات في العمارة الاندلسية وهو يتألف من ثلاثة ادوار ويتوسط بهوه الفسيح حوض لسقاية النزلاء ويبدو ان الفندق المعروف بهذا الاسم لا يزال باقيا في غرناطة موطن ابن جبير كما هو حتى اليوم. وقد ذكر هذا الفندق كما سبق محمد عبدالله عنان في كتابه الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال.



المــراجــع :

(١) الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي ج (ص ١١٢، ١١٣ نشر دار التراث بالقاهرة.)

(٢) رحلة ابن جبير بالصفحة ١٩

(٣) الربض لغة:
هو المساكن والبيوت التي تبنى حول المدينة واهل جهة الشام والجزيرة يغلب عليهم استعمال الخان بمعنى الفندق. وقد وردت هذه الصيغة الاجنبية المعربة في كتب الرحلات والتاريخ والجغرافية بهذا المعنى قديما وحديثا – ذكر ابن جبير نزوله بهذا في الصفحة ٢٢٨ طبعة بيروت.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) نفس المصدر والصفحة ٢٢٩.

(٦) نفس المصدر والصفحة ٢٢٩.

(٧) نفس المصدر والصفحة ٢٣٣.

(٨) نفس المصدر والصفحة

(٩) رحلة ابن بطوطة ص ٥٤ طبع دار صادر بيروت.

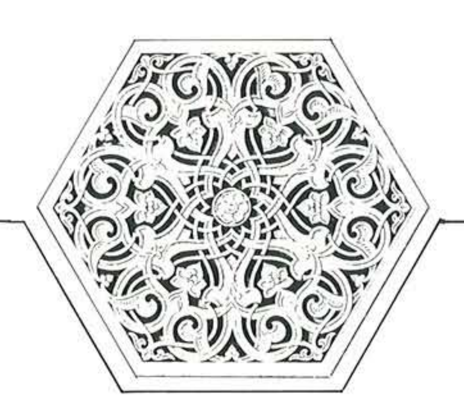
(١٠) (اسماء) اذا كانت جمع اسم فهي معروفة قال تعالى:
«ان هي الا اسماء سميتموها». الآية.

(١١) كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» الصفحة ٤٤٤ طبع بيروت.

(١٢) كتاب «دائرة معارف الشعب». مادة فندق ص ١٤٢ ج ٢ طبع بمصر

(١٣) المصدر السابق الصفحة ١٤٤ ج ٢

(١٤) المصدر السابق ص ١٤٤ ج ٢



منهج الإسلام "إيمان وعرفان"

بقلم: أحمد محمد جمال

هناك من الشباب الاسلامي من يظن أن الاسلام دين عقيدة وعبادة فحسب، ولو أنه بحث لعرف: أن الاسلام يدعو في **وقت واحد الى (الايمان) و (العرفان)** أي أنه لا صحة للزعم القائل بأن الاسلام دين يعارض العلوم والمعارف الحديثة أو لا يتفق مع التقدم العلمي والتطور الفكري.

ان الايمان .. هو تلك الحقيقة التي اذا أرست قوائمها في القلب جعلت الانسان كالجبل الاشم لا تحركه العواصف، وبث فيه السكينة والاطمئنان. وهذا ما يؤكده القرآن الكريم: (الذين آمنوا، وتطمئن قلوبهم بذكر الله – الا بذكر الله تطمئن القلوب).

وحين نتأمل آيات القرآن الكريم نجد أن ركن الايمان الاساسي وعروته الوثقى: التصديق (بالغيب) ثم العمل بموجبات هذا الايمان..وذلك ما يقول فيه القرآن: (الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون) ويكرر القرآن ذكر (الغيب) وحده ويقرنه أحياناً بكلمة الشهادة كقوله: (عالم الغيب والشهادة) ومن هذا التعبير القرآني استفاد الفلاسفة والعرفاء المسلمون، فسموا عالم الطبيعة باسم: الشهادة والعالم غير المحسوس بالغيب أو الملكوت.

الايمان بالغيب .. والعمل

فالمراد من الايمان بالغيب: أن يعتقد الانسان بأن للوجود – بشتى مظاهره حقيقة ثابتة محيطة به علما وقدرة ولا يغرب عنها مثقال ذرة لا في أرضه ولا في سمائه وتلك الحقيقة هو الله تعالى الذي هو أقرب الى الانسان من حبل الوريد ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله تعالى: هو غيب هذا العالم الطبيعي لان الحواس قاصرة عن ادراكه والاحاطة بوجوده.

وهنا تبدأ وظيفة العمل .. الذي هو المرحلة الفنية من وجودها – في ادراك الغيب والاتصال بملكوت العالم.

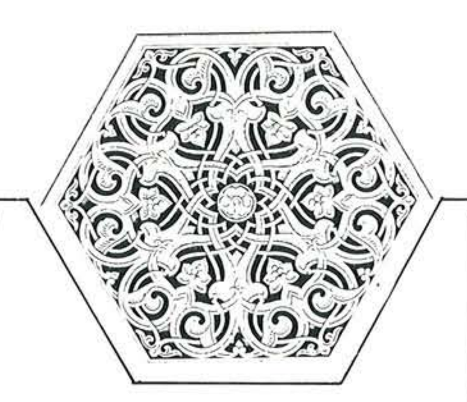
والتوجه الى الغيب فطرة في النفوس الانسانية. والناس من أقدم العصور حيارى يجدون في أنفسهم الهاماً بالفطرة الى التسليم بقوة قاهرة يستلهمونها ويستمدون منها العون فيدعونها خوفاً وطمعاً.

ولم يكتف الانبياء بايمان الناس بالغيب، بل أوجدوا بينهم وبين (الغيب) رباطاً وثيقاً، وهو العبادة والعمل الصالح والاستقامة على صراط الله المستقيم كما جاء في التوجيه النبوي:

(قل آمنت بالله .. ثم استقم).

فالايمان ليس بالتمني بل هو ممارسة (سلوكيه) وله مظاهر في الواقع الانساني، والقرآن لا يجد تعبيراً أكثر تركيزاً ودقة عن هذه الممارسة من كلمة **العمل الصالح**.

والانسان لا ينجح في حياته الدنيا الا بعد الايمان والعمل الصالح قال سبحانه: (والعصر ان الانسان لفي خسر،



الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال: (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

* * * *

والقرآن يجعل المؤمنين اخوة يقول: (انما المؤمنون اخوة) فهل يجوز أن يقال لمن لم يصل عمره ولو ركعة: أخ مسلم؟ ان الله تعالى يقول في سورة التوبة: (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين).

وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله اني أخاف أن أكون منفقاً، فسأله رسول الله: هل أنت تغتسل من الجنابة وتصلي في بيتك؟ قال نعم فقال عليه السلام أنت اذاً مؤمن).

وسأل الامام جعفر بن محمد الصادق أحد أصحابه عن الايمان أقول هو أم عمل؟ فأجاب الامام أن الايمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل..

فالايمان الصحيح الصادق مقترن بالعمل قطعا، قال سبحانه وتعالى: (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون).

مراتب الايمان

وهنا أعود وأقول: إن الايمان مراتب ودرجات وعلى حسب هذه الدرجات اختلفت الأسماء وتعددت التعابير عن هذه الحقيقة ولكن يرجع الامر نهائياً الى اتجاه القلب الى الله وارتباط الفكر بالغيب.

في كتاب الله تعالى تجد كلمة التقوى بشتى صيغها تساير كلمة الايمان بمختلف أشكالها يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)، يقول أيضاً (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) وفي آية أخرى يقول: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض).

ومن تتبع هذه الآيات يبدو أن التقوى هي مرحلة أخرى من الايمان أتم وأفضل. كما أن الاسلام ورد في بعض آيات القرآن بمعنى (الايمان) في قوله عز وجل: (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقد سئل بعض الأئمة عن الايمان والاسلام فقال: ان الايمان فوق الاسلام .. بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وحد اليقين الا يخاف الانسان مع الله أحداً كما جاء في القرآن نفسه: (ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى بالله حسيبا).

الايمان .. والعلم

ونتناول الآن بالحديث الموجز فكرة الاستغناء عن (الايمان) بالعلم وتجاربه ومعطياته في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

ولقد أصبح مسلّماً به عند كثير من المسلمين اليوم أن العلم يكفينا لبناء صرح حياتنا وسعادتنا وتطورنا وتقدمنا في كل قطاعات الحياة. وهذا هو مفهوم الفلسفة الغربية التي اقتبسها المسلمون .. والتي تقول بانتهاء عصر الدين وابتداء الفهم العلمي الذي سيبقى أبداً؟

وهناك من يزعم امتياز العلم بالموضوعية والتجرد والشمول والعقلانية بيما يكون الايمان في نظره متسماً بالذاتية والعرضية واللاشعورية واللاعقلية — واستناداً الى هذه التعريفات يصبح التوصل الى الحقيقة مقصوراً على الادلة العلمية ويصبح كشف أسرار العالم والوجود رهين الاكتشافات العلمية واستخدام آلات التفكير واستنباط الاحكام بناء على التجربة الحسية بعد التعمق فيها وتصفية مدلولاتها.

* * * *

الا أن الحقيقة العلمية مخالفة لهذا التصور الخيالي، فالعلم أسمى من ذلك في أهدافه وأكثر تواضعاً في أستنتاجاته الغيبية..

والعلم فنون عديدة متباينة وليس شيئاً موحداً أو حتى هيكلاً متجانسة اجزاؤه بل هو على عكس ذلك شعب متفرعة بدورها. والحقائق العلمية تختلف في النوع والمناهج من فن الى فن — فلابد اذن من تصنيف العلم وترتيبه وتقييم كل صنف على حدة.

فهناك حقائق علمية يتوصل اليها عن طريق التجربة الحسية البسيطة وهناك حقائق لا يتوصل اليها الا بفضل

استخدام آلات معقدة جداً هي بدورها نتيجة اكتشاف علمي آخر. وهناك حقائق علمية تنتج عن التفكير المجرد وعن الاستنباط العقلي والبرهان النظري البحت - هذا من حيث طرق التوصل الى الحقيقة ومن حيث المنهاج المتبع.

ان الايمان لا يتعارض مع العلم .. لان الدين عقيدة وعبادة وسلوك وهو مبني على الاقتناع والتصديق أي اصرار واقرار في الضمير وهو اذعان للحقيقة واعتراف بها أنه انقياد أمام النور المعرفة، ولذا كان القرآن يفرق الاسلام والايمان، الاسلام كما يقول أبو حامد الغزالي: عبارة عن التسليم والاستسلام والاذعان والانقياد وترك التمرد والعناد. فالاسلام أعم والايمان أخص.

وأكد تعالى هذا المعنى في كتابه العزيز: «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون».

والايمان هو ايجابية الاسلام من حيث التصديق الباطني المبني على الاقتناع والشعور العميق بحقيقة جوهرية هي محل الايمان، ومن حيث أن الايمان ليس مجرد عملية باطنية بل هو مبني على عمل فهو فهم وجهاد بالمال والنفس.

ومن تعاليم الدين الاسلامي الحنيف أن الايمان يتأتى بطرق مختلفة حسب مواهب البشر، وحسب استطاعتهم التغلب على الشك والريب والاستخفاف فالايمان قد يصدر عن نور من الله وقد يصدر ايضاً عن علم يتصرف فيه بحكمة وحذق وقد يصدر أيضاً عن مجرد التلقين ولعله أضعف الايمان.

واذا كان الايمان الصادر عن التقليد من أضعف الايمان فان الايمان عن علم في أعلى مستوياته قال تعالى: (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) صدق الله العظيم الذي بدأ بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم. والآيات الكريمة التي تربط القرآن فيها العلم بالايمان عديدة جداً قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات). وقال تعالى أيضاً: (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون). وقال تعالى: (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين). وقال تعالى: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم).

* * * *

لا تضارب اذا في نظر الاسلام بين العلم والايمان، بل هما طريقان متوازيان نحو الحق، ونحو الحرية، ونحو الصدق، ولا غرابة في ذلك اذ الايمان والعلم لهما نقيض واحد وهو الخوف. فالمعرفة والتصديق يحدثان في النفس الطمأنينة والانس وينزلان السكنية في الضمير والسلام على الانسانية جمعاء.

ان العلم مغامرة مستمرة تغزو بفضلها يوماً بعد يوم آفاقاً جديدة للمعرفة والانتاج وبفضله تتغلب على الفقر وعلى الجهل وعلى الاوبئة والامراض.

الا أن العلم وحده لا يكفي اذ لا يكتمل الا بالايمان، ذلك أن الله تعالى ينزل عن طريقه السكينة في القلوب، ويثبت العزائم، ويبعث فينا الامل فلا العلم يغني عن الايمان ولا الايمان يغني عن العلم.

((ان العلم والايمان متفقان على مكافحة الجمود العقلي، وأهم شيء في الحقيقة العلمية ليس في مجرد ذكرها والبحث عنها - وأهم شيء في الايمان هو التصديق والموقف الضميري من الحقيقة. ولعل الاجتهاد وما أصعبه بحث مستمر يستنار فيه بالعلم وهدفه غرس الايمان في القلوب ولست أعلم مثلاً أبدع مما أتى في كتابه العزيز (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم)).[1]



[1] عن مجلة (الفكر الاسلامي) الايرانية.

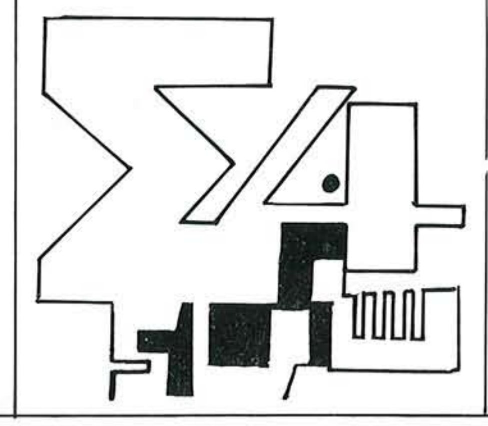
اللغات الأجنبية والعصر الحديث

بقلم:
د. سامية احمد اسعد

كان اليوم الذي توصل فيه العالم الفرنسي الشهير شامبليون الى قراءة ما كتب على حجر رشيد بحروف هيروغليفية يوما مشهودا في تاريخ الحضارة الانسانية، لانه فتح ابواب العالم المصري القديم، وكشف عن حقبة تاريخية وحضارية ذات قيمة بالغة بالنسبة للانسان، ايا كان وأينما كان. وهكذا كانت اللغة الاداة التي حققت الاتصال بين الماضي والحاضر، وحافظت على التراث، وأكدت استمرارية المعرفة والفن بكافة انواعها، ونقلتها عبر الزمان والمكان. وما هذا المثال الذي نسوقه الا واحدا من الأمثلة العديدة التي تشهد على اهمية اللغة، شفوية كانت ام مكتوبة، بالنسبة للبشر.

فاللغة خاصية اساسية يتميز بها الجنس البشري، وان كانت هناك لغات اخرى كلغة الطيور، والنحل، والحيوانات، الخ .. ذلك ان الكائن البشري يكتسب اول ما يكتسب لغة الجماعة الانسانية التي ينشأ وينمو فيها. وكل الجماعات الانسانية يتصل بعضها بالبعض الآخر عن طريق اللغة، والأمثلة التاريخية الدالة على ذلك عديدة متنوعة واذا كان استخدام اللغة الأم يرتبط بجماعة انسانية بعينها، فان جزءا كبيرا او صغيرا من هذه الجماعة يعرف لغة جماعة او جماعات اخرى. وهذا هو الذي يتيح فرصة الاتصال بين الجماعات. واذا كنا نفتقر الى الأدلة التي تثبت ان هذا الاتصال كان قائما قبل التاريخ، فاننا نستطيع ان نؤكد ان الاتصال بين الجماعات عن طريق اللغة وجد مع بدء التاريخ، هذا بالاضافة الى تبادل المعلومات في كافة المجالات.

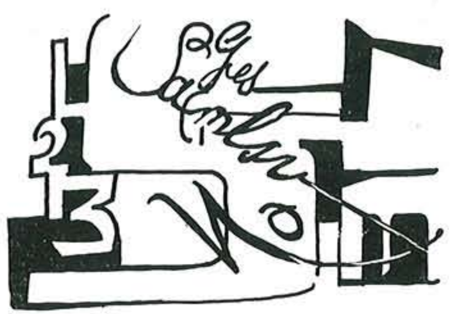
كان خلق الانسان للغة عاملا من عوامل انسانيته. لكننا لا نستطيع ان نفهم نمو الثقافة الانسانية وتطورها — الثقافة بمفهومها الحالي — الا بالاستناد الى هذا الاتصال بين الجماعات. ولا تستطيع اي جماعة انسانية ان تنمو الا اذا تبادلت المعلومات بالأخذ والعطاء، مع الجماعات الاخرى. والا حكم عليها باكتشاف العلم والمعرفة الانسانية باعتمادها على نفسها فقط، وهذا امر مستحيل. واذا نظرنا الى الموقف المعاصر، وجدنا ان الامة التي لا تشجع ابناءها على معرفة اهم اللغات العالمية او تحول بينهم وبين تلك المعرفة، تتخذ، من الناحية الثقافية، موقفا ذاتيا لا يمكن الدفاع عنه البتة. لانه يتحتم عليها، في هذه الحالة، ان تعيد خلق الثقافة الانسانية كلها بمفردها، او ان تقبل أن تكون العناصر القادرة على الاتصال عناصر اجنبية، مما يشتمل على بعض الاخطار، بطبيعة الحال. لذا نجد حتى في الأزمنة القديمة، اهتماما بتعليم اللغات الاجنبية عامة، ولغة الجماعات المجاورة الاخرى او احدى الحضارات القديمة خاصة. وهكذا استطاع احد المؤلفين المعاصرين ان يتحدث عن «خمسة وعشرين قرنا من تاريخ تعليم اللغات».



يتضح من كل هذا ان تعليم اللغات الاجنبية ظاهرة قبلتها المجتمعات البشرية منذ زمن بعيد، ونوع من النشاط لا يطرح للبحث والمناقشة، وتفرض الحاجة اليه نفسها فرضا. ومع ذلك، يشتمل موقف المجتمعات من اللغات الاجنبية على تناقض داخلي فالحاجة اليها ملحة كما قلنا، لكنها دائما موضع بحث، ودائما يعاد النظر فيها. واذا نظرنا الى البرامج الدراسية في اي بلد من البلدان، وجدنا ان مادة اللغة الاجنبية هي اكثر المواد

عرضة للمناقشة، والتأثر بالتقلبات المختلفة. ولا نبالغ اذا أكدنا ان تعليم اللغات الاجنبية وقف على العوامل الاقتصادية، والسكانية، والسياسية، والثقافية، بل والايديولوجية، حتى لو لم يع الجميع ذلك. وبالنظر الى البرامج الدراسية في بلد ما، نستطيع ان نتتبع، من خلال التقلبات التي مرت بها اللغات المختلفة، التأثيرات السياسية والاقتصادية التي خضع لها ذلك البلد. على سبيل المثال، يعرف الجميع ان الحرب العالمية الاولى كانت سببا في التراجع عن تدريس الالمانية التي كانت تحتل المكانة الاولى بين اللغات الاجنبية، في الولايات المتحدة الامريكية، حتى عام ١٩١٥. وحدث ذات الشيء في بلدان القارة الامريكية، وتأكد بعد الحرب العالمية الثانية، اذ اختفت الالمانية من المقررات الدراسية، ولم تعد الى الظهور الا في السنوات الاخيرة. هذا في الاثناء التي وقفت فيها الانجليزية موقفا معاكسا، فلقد بدأت تفرض نفسها على المستوى العالمي، واحتلت المكانة الاولى بين اللغات العالمية بعد الحرب العالمية الثانية التي وضعت حدا لهيمنة اوروبا التجارية، والعلمية، والتكنولوجية، والمالية، وظهرت الولايات المتحدة كدولة من دول العالم العظمى.

وفي قرننا العشرين، ارتبط انتشار اللغات الاجنبية، او بالاحرى، اللغتان الانجليزية والفرنسية، في عالمنا العربي، بالظروف السياسية التي عاشتها المنطقة. عرفت بعض البلدان الانجليزية نتيجة لاستعمار بريطانيا لها، في حين عرفت الاخرى الفرنسية نتيجة لاستعمار فرنسا لها. لكننا نلمس، في هذا الصدد ظاهرة واضحة في بعض البلدان خاصة في مصر على سبيل المثال: في البلاد التي كانت ترزح تحت الاستعمار الانجليزي، ظلت العربية عامية كانت ام فصحى، تنمو وتزدهر، حتى في الاثناء التي فرض فيها الاستعمار لغته الانجليزية على التعليم العام.



اما في البلاد التي استعمرتها فرنسا، الجزائر مثلا، فكادت اللغة العربية، والفصحى خاصة، تختفي، بينما سيطرت اللغة الفرنسية على كافة مجالات الحياة. ومن ثم انقسمت مشاكل العالم العربي، فيما يتعلق بتعليم اللغات الاجنبية الى قسمين: قسم في المشرق العربي، وآخر في المغرب العربي. فبينما تعرض المشرق لمشكلة تعليم اللغات الاجنبية، تعرض المغرب لمشكلة عكسية، الا وهي استعادة اللغة العربية لمكانتها كلغة قومية.

ولان اللغة الاجنبية عندنا كانت لغة المستعمر، ظل الاهتمام بها على الصعيد القومي وقفا على الظروف السياسية وحدها. على سبيل المثال، عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، تضاءل حجم تدريس الانجليزية والفرنسية في المدارس، وتم تأميم عدد كبير من مدارس اللغات الخاصة، وطورت المناهج بحيث تستعيد اللغة العربية من ناحية، والمواد التي تدرس بها من ناحية اخرى، مكانتها الطبيعية. واذكر ان دروس اللغة العربية في المدرسة التي كنت ادرس فيها كانت المواد الفرنسية لم تكن تتجاوز الساعة الواحدة اسبوعيا. واذا اخذنا في اعتبارنا الظروف السياسية وحدها، وجدنا ان هذا التخوف من تعليم اللغة الاجنبية امر طبيعي للغاية. فاللغة ليست وسيلة للاتصال فحسب. انها ايضا وسيلة لنقل فكر معين، وايديولوجيات معينة، وثقافة معينة اي ان تأثيرها على من يتعلمها بعيد المدى، على عكس ما قد يتبادر الى الاذهان لأول وهلة.

لكن، هل يعني هذا التخوف، والاعتزاز باللغة القومية، اللغة الأم، استبعاد اللغات الاجنبية من البرامج الدراسية، وكافة مجالات الحياة، في زمن زالت فيه الحدود بين الدول، وزاد فيه حجم التبادل والاتصالات، وتطورت فيه العلوم، واصبح لكل منها لغته الخاصة؟ والجواب، بالطبع، «لا»، لان الانسان، اينما كان، لم يكن ابدا في حاجة الى اللغات الاجنبية كما هو اليوم. فاللغة الاجنبية نافذة نطل منها على العالم الخارجي، وما فيه من ثقافة وعلم وفن،

اللغات الأجنبية والعصر الحديث

الخ ... كما انها ما زالت، كما كانت دائما، وسيلة لابد منها لاتصال الحضارات، عن طريق الترجمة خاصة.

واذا اردنا تعليم لغة اجنبية في بلادنا، نظرنا حتما الى عوامل مختلفة. الا ان اهمها قد يكون الثقل الإقتصادي والتكنولوجي، والثقافي، والسياسي للبلد الناطق بهذه اللغة ويمكن ان نقطع بان البلاد، في فترات تاريخية معينة تتعلم، بالذات، لغة الدول الاقوى اقتصاديا وسياسيا، او الدول التي اعطت الكثير للثقافة الانسانية — هكذا كان حال اليونانية واللاتينية في عصر النهضة، او الدول التي اسهمت اسهاما كبيرا في التقدم التكنولوجي. هذه العوامل كلها تتحكم في اختيار اللغة المراد تعليمها، وموقعها من البرامج الدراسية والدور الذي عليها ان تلعبه، ومضمونها. والاعتراف بأهمية العوامل السياسية والاجتماعية في تعليم اللغات معناه ان على كل بلد ان يحدد، حسب موقفه الخاص، واحتياجاته الخاصة، اللغات الاجنبية التي يريد تعليمها، والاهداف التي يسعى اليها وما هذه الاهداف الا تلك التي يسعى اليها التعليم العام. فكل فرد يستطيع ان يتعلم لغة ما تطلعا الى هدف ما. لكن، اذا تعلق الأمر بتعليم الآلاف، بل والملايين، وجب على البلاد ان تأخذ في اعتبارها احتياجات المجتمع بأسره. وهذه القضية — الاهداف العامة لتعليم اللغات — جزء من قضية اكبر واشمل، الا وهي دور التعليم عامة. ونسوق هنا بعض الافكار التي طرحت عن الدور الذي يمكن ان يلعبه تعليم اللغات الاجنبية.

* يستهدف تعليم اللغات الاجنبية الانفتاح على الآخرين، وعلى الثقافة الاجنبية وتلك فكرة انسانية تفترض، لكي تكون كذلك حقا، الانفتاح على كافة الثقافات وكافة اللغات، وهذا شيئ مستحيل الا في بعض الحالات النادرة.

* كما انه ينمي الاحساس بما يمكن ان نسميه «النسبية الثقافية» مما يجعلنا ندرك ان ثقافتنا ليست فريدة من نوعها، وان حلنا لمختلف القضايا الانسانية ليس الوحيد الممكن.

* وينمي ايضا حب الثقافة الاجنبية. وهنا ندخل مجال الصراع بالقدر الذي يمكن ان يعاد النظر به الى قيم الجنس او الهوية القومية.

* ويسهم في هيمنة بلد بعينه على الآخرين. قال بعض المثقفين الاميركيين، على سبيل المثال، ان على الشباب الامريكي ان يدرس اللغات الاجنبية لكي يتمكن من المشاركة في الصراع الدولي مع الاتحاد السوفييتي.

* ويسهم ايضا في بلورة الثقافة القومية، باستخدامه اللغة كأداة للتقدم والاستقلال الوطني.

ولابد من أن نؤكد هنا ان الغرض من تعليم اللغات ودور ذلك التعليم مرتبطان ارتباطا وثيقا بموقف كل من الطلبة والاساتذة من اللغة والثقافة الاجنبية. وعلينا ان نبدأ، في هذا الصدد، بدراسة الموقف الحقيقي في كل بلد. في البلاد التي تسيطر لغتها على البلاد الاخرى لا يتعرض دارس اللغة لأي خطر، اذا شجعناه على حب اللغة والثقافة الاجنبية، لان هويته القومية لا تطرح للبحث بأي حال من الاحوال. ولكن الامر يختلف في البلاد الاخرى، وغالبا ما تكون ضحية التغلغل الاقتصادي والايديولوجي للدول الاقوى منها. وقد يتعارض مثل هذا الموقف مع تحديدها لثقافتها القومية. وفي مثل هذه البلاد تعبر الرغبة في اكتساب لغة وثقافة اجنبية عن رغبة في الانسلاخ عن اللغة والثقافة القومية.

والموقف الذي يجب ان يتخذه المسؤولون عن تعليم اللغات يقتضي تشجيع الدارسين على الانفتاح على الآخرين، والاهتمام اهتماما صادقا بثقافتهم، على اساس من الولاء لجنسهم واحساسهم احساسا عميقا بالانتماء الى شعب بعينه وقيم بعينها، قيم لها من القيمة والاحترام ما لقيم البلاد التي تحظى مؤقتا بالسيطرة اللغوية على الآخرين. ومدرس اللغة الاجنبية هو المسؤول عن الدور الذي يقوم به تعليمه. واذ نقول هذا نتعرض لبعض العوامل الايديولوجية، وهذا شيئ لا مناص منه. فعلى مدرس اللغة ان يكون محبا للغة والثقافة الاجنبية التي ينقلها، لكن عليه اولا وقبل كل شيئ ان



يكون محبا لثقافة بلاده ملما بها.

بناء على كل هذا، يمكن ان نحدد دور تعليم اللغات على النحو الآتي:

الاتصال المتبادل انطلاقا من هذا المعنى، لا يمكن لاي بلد ان ينكر هذا التعليم اذا اراد الا ينعزل ثقافيا. والبلد الذي لا يشتمل مناهجه التربوي على اللغات الاجنبية الأساسية يقبل ضمنا ان تقوم بهذا الدور مؤسسات لا يملك السيطرة على اهدافها العامة، وفي مقدمتها المراكز الثقافية الاجنبية.

— تلبية الاحتياجات القومية. ويعني هذا ان دراسة اللغة الاجنبية، ونقل الثقافة الاجنبية ... الخ يجب ان يخدم الثقافة القومية ويعمل على تكوينها ونموها. ومن ثم، كان اختلاف موقف البلاد من موضوع تعليم اللغات.

اما نحن فعلينا، اذا ما دار الحديث حول هذا المنهج، او ذلك الهدف ... الخ ان نطرح بادئ ذي بدء هذا السؤال الحاسم: هل يتفق هذا مع موقف بلادنا، ويلبي احتياجاتها؟ علينا ان ندرس، موضوعيا، موقف بلادنا من كافة النواحي الممكنة جغرافيا، واقتصاديا، وتاريخيا، وثقافيا، واجتماعيا، وتربويا، وسياسيا، الخ ... على الا تكون هذه الدراسة ثابتة جامدة، لانه يجب ان تكون ديناميكية.

على سبيل المثال الاستقلال الوطني، والاندماج في الجماعات القريبة او المجاورة، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، الخ ... وهذا الموقف ذاته هو الذي يحدد الاحتياجات: هل نحتاج الى لغة اعلامية ام الى لغة تساعدنا على تذوق الجمال؟ هل نحتاج الى لغة نخاطب بها السائحين ام الى لغة توصلنا بالثقافات الاخرى؟ ما هي احتياجاتنا حاليا ومستقبلا؟ وتعيين الاحتياجات يعين بدوره المضامين، من النواحي اللغوية، والثقافية والايديولوجية.

تعليم اللغات الاجنبية ليس اذن قضية فنية فحسب فعلى من يدرس اللغة ان يدرس الأثر الاجتماعي، والنفسي، والسياسي، للنشاط الذي يمارسه. عندئذ، يستطيع ان يعي الدور الذي يجب ان يلعبه في بلده، اسهاما منه في تقدم شعبه ثقافيا واجتماعيا.

يقوم بهذا الدور، اساسا اثنان: المدرس والمترجم ولا ننكر، بطبيعة الحال ان هناك آخرين يقومون بهذا الدور ايضا، اولئك الذين يعملون في وسائل الاعلام المختلفة مثلا، لكننا نرى ان على مدرس اللغة والمترجم يقع العبء الاكبر في توظيف اللغات الاجنبية لتقدم البلاد ونقل الحضارات.

وبالقاء نظرة سريعة على موقع اللغات من البرامج الدراسية في بلادنا العربية، ندرك ان:

— بعضها ابقى على مدارس اللغات الخاصة التي ظلت دولة داخل الدولة لا تخضع لاي اشراف حكومي او لا تخضع له الا قليلا.

— البعض الآخر — وهو السواد الاعظم — حولها الى مدارس تعطي الاولوية للمواد واللغة القومية، وان كانت تولي اللغة اهمية خاصة.

— بعض الجامعات والمعاهد العليا انشأ اقساما وفروعا للغات الاجنبية الهامة، تخرج متخصصين في هذه اللغة او تلك.

— والبعض الآخر اكتفى بتدريس لغة اجنبية او لغتين كلغة مساعدة او «لغة ثانية» حسب التعبير الشائع.

نتيجة لهذا، نجد في بلادنا قلة ممن يتقنون لغة اجنبية او اثنتين. وعادة ما يكونون قد تخرجوا من مدارس اللغات ثم التحقوا بأقسام اللغات في المعاهد والجامعات. وحتى اذا لم يلتحقوا بهذه الاقسام، يكونون قد تلقوا في المرحلتين الابتدائية والثانوية، اسس اللغة ومن ثم، يصعب عليهم فقدانها، خاصة اذا اتيحت لهم فرصة ممارستها. ونجد من ناحية اخرى غالبية عظمى، من الخريجين الذين درسوا لغة اجنبية اولى في المدرسة، في سن مبكرة الى جانب لغة اجنبية ثانية — ان وجدت — لم تدرس لهم الا في السنوات الثلاث السابقة لاتمامهم دراستهم الثانوية. وعند التحاقهم بالجامعة، تنقطع تقريبا الصلة بينهم وبين اللغة الاولى التي تدرس لهم كلغة الى جانب مواد تخصصهم. اما اللغة الثانية فتختفي، اللهم الا في بعض الاقسام — كأقسام اللغات — التي لابد من تواجدها في برامجها. ويكاد الطالب الجامعي ينسى اللغات اثناء دراسته. لكنه ما يلبث ان يصطدم بها ويضطر الى مواجهتها بعد تخرجه ففي كثير من الاحيان، يرى ان اتقانه لعمله الذي يمارسه وقف على اتقانه هذه اللغة او

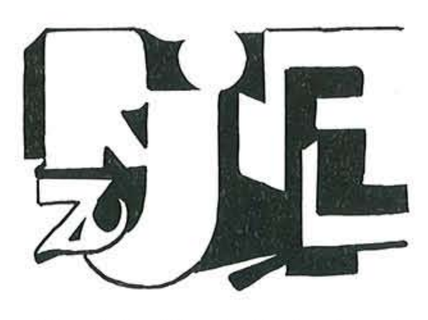
اللغات الأجنبية والعصر الحديث

تلك. واذا ارسل الى بعثه دراسية في الخارج او في مهمة تدخل في نطاق عمله، اضطر الى اللغة اضطرارا. واذا اراد استكمال دراسته العليا، وجد امامه عددا من المراجع عليه ان يقرأها بلغة اجنبية، بل بعدة لغات احيانا، حسب الموضوع الذي اختاره.

المشكلة الكبرى اذن هي مشكلة هذه الغالبية العظمى التي لابد من ان تتقن لغة اجنبية واحدة على الأقل. كيف؟ هذا هو السؤال الذي سنحاول الاجابة عليه فيما يلي:

يقول المثل السائر: «العلم في الصغر كالنقش على الحجر» واذا انسحب هذا على اي علم من العلوم فهو ينسحب بصفة خاصة على اللغات الاجنبية. ففي الامكان، اذا عنيت وزارات التربية بتدريس لغة اجنبية واحدة، كالانجليزية او الفرنسية، منذ المرحلة الابتدائية وخصصت له عددا مناسبا — من الناحية التربوية — من الساعات، ان يشب التلميذ عليها ويألفها كما يألف لغته الام. وقد يعترض البعض على هذا الاقتراح، متذرعا بشتى الاسباب، كقلة المدرسين، وكثرة التلاميذ، او الدوافع القومية، او قلة الموارد الخ ... وأيا كانت العقبات، يمكن تذليلها او تذليل بعض منها بالارادة والمثابرة والتخطيط السليم. وياحبذا لو اقتصرت دراسة اللغة في المدرسة على اللغة، مفردات الجملة وتراكيبها بالالتجاء الى الامثلة، واستخلاص القاعدة منها، عند الحاجة واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة السمعية والبصرية منها خاصة، والمناهج المتطورة عامة، وتلقين التلميذ مبادئ اللغة تدريجيا، في سنيّ الدراسة المختلفة، اجدى بكثير من تدريس اللغة له دراسة مكثفة عند البلوغ.

اما في الجامعة، فما زال تدريس اللغات الاجنبية تدريسا تقليديا جامدا، لا يفيد الطالب في شئ، ويضيع عليه اسبوعيا ساعة او ساعتين كان يمكن ان يستفيد منهما بدراسته مادة اخرى. ويرجع هذا الى اسباب، عدة اهمها: اعتبار اللغة الاجنبية مادة «هامشية» بالنسبة لمواد التخصص، وعدم تطوير المناهج وطرق التدريس، بحيث تتلاءم مع سن الطالب الجامعي البالغ وعقليته، وكثير اهتمامه، وتفيد تخصصه العام،



باختصار، بحيث تفي بالاحتياجات التي سبق لنا الحديث عنها.

ما الذي يحتاجه الطالب عندما يدرس لغة اجنبية؟ قد يحتاج الى التحدث بها فحسب واستخدامها في الاتصال الشفوي بالآخرين. وقد يحتاج الى التحدث بها وكتابتها في آن واحد، واخيرا، قد يحتاج اليها في تخصصه العام او الدقيق. فالطالب الذي يذهب في رحلة سياحية الى فرنسا او انجلترا، يحتاج اساسا الى عبارات التحية، والسؤال عن اسماء الشوارع ومحطات «المترو» وقراءة قائمة الطعام، والسؤال عن الاسعار، الخ .. مما يختلف عن وضع الطالب الذي يوفد في مهمة او بعثة علمية الى بلد لا يعرف لغته ويضطر الى كتابة بحث بلغة ذلك البلد، ويتطلب هذا معرفة الطالب بتلك اللغة شفاهة وكتابة، بل اكثر من هذا، معرفته بالمصطلحات الخاصة بتخصصه.

وهنا، نلمس مستويات ثلاثة لتدريس اللغة الاجنبية المستوى الاول ينظر اليها على انها وسيلة للاتصال فحسب. ومن ثم، يركز اهتمامه على الجانب الشفوي منها، دون التحريري ما دام الطالب يحتاج اليه في ممارسته لعمله مباشرة. ولكي يكون هذا التعليم مجديا، يجب الا يلجأ الى الكتب، وانما عليه بالاعتماد اساسا على الافلام، والاشرطة المسجلة، الخ ... ومثل هذا التعليم يقدم عادة في الجامعات والمعاهد للطلبة الذين لم يدرسوا لغة ما في المرحلة الابتدائية او الثانوية او لم يدرسوها الا بمعدل ساعة او ساعتين اسبوعيا على الاكثر. ويفضي هذا المستوى الى تمكين الطالب من الحديث باستخدامه التراكيب والكلمات الاساسية للغة التي تعلمها. وعادة ما يستفيد الطالب من هذه الدراسة في حياته العامة، وقد يستفيد منها ايضا في حياته العملية.

لكن الاعتماد على التعليم الشفوي وحده لا يكفي لاتقان لغة ما، في كثير من الاحيان، بل يجب ان يصحبه تعليم اللغة كتابة. فالكتابة هي الاداة المثلى لتثبيت المعلومات في الذاكرة وهنا ننتقل الى المستوى الثاني الذي يعتمد على الكتاب،

تدعمه الوسائل السمعية البصرية. وهنا يلعب المنهج دورا اساسيا لان اللغة، في هذه الحالة، ليست وسيلة للاتصال فحسب، وانما هي ايضا اداة للقراءة والتعبير الشفوي والتحريري على السواء. والتعليم بهذا المستوى يبدأ عادة في سن مبكرة، ويتدرج بالطالب حتى يمكنه من اللغة الاجنبية التي يدرسها ولقد ظل هذا التعليم طويلا اسير الأطر الجامدة والبرامج البالية. كان يدرس اللغة معتمدا على النحو والصرف، والقواعد التي يكررها الطالب كالببغاء، دون ان تدخل ابنيته الذهنية فعلا. وكثيرا ما كانت تفضى بالطالب الى لاشيئ. ولكي يتغير الحال، يجب اختيار المضامين بحيث تتكيف وسن الطالب من ناحية، وتخصصه من ناحية اخرى. على سبيل المثال، اذا كان طالب القسم الادبي في المرحلة الثانوية يتذوق رواية كرواية الكاتب الفرنسي الشهير فيكتور هيجو «البؤساء» في النص المبسط طبعا – فان طالب القسم العلمي قد لا يتذوقها بنفس القدر، وقد يسعد اكثر بقراءة قصة بالفرنسية عن حياة العالم باستور او مدام كوري وفي رأينا ان حسن اختيار المضمون هو العامل الاساسي في نجاح تعليم اللغة من عدمه ولابد من وضع البرامج التي تثير اهتمام الدارس، وتعنيه، وتخاطب فيه شيئا ما، وتعلمه اللغة من خلال الموضوعات التي تشغله آنيا، هكذا يتعلم الطالب الحديث بلغة اجنبية، يستطيع ان يعبر بها ايضا في حياته العامة، ويقرأ بها المراجع الاجنبية التي يحتاجها، ويكتب بها ابحاثه اذا اقتضى الامر. وهذا المستوى هو المستوى الأمثل لتعليم اللغات لانه يتطلب تخطيطا سليما، وبرامج مدروسة غير عفوية، ودراسة نفسية الطالب واهتماماته في كل مرحلة تعليمية وهو المستوى الذي يحقق فعلا الغرض من تعليم اللغات، اذ يرسيه على قواعد سليمة، ويثبته في الأذهان.

اما المستوى الثالث، فينظر الى اللغة على انها اداة، او لغة تخصص بعينه. لنذكر اولا، ان الانسانية مرت، بعد الحرب العالمية الثانية، بظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية كان لها اكبر الاثر على تعليم اللغات. نشأ عالم ذو ابعاد جديدة، وتقاربت المسافات وزادت وسائل الاتصال. مما خلق شبكة لتبادل الاخبار والمعلومات في التو واللحظة كادت تغطي كوكبنا الارضي كله. واصبح التعليم ديمقراطيا، مما جعل اكثر سكان العالم يشتركون في تبادل الاتصالات. ونشأت في الوقت نفسه متطلبات وتحديات جديدة اضطر تعليم اللغات ان يواجهها. وكان اهمها الحاجة الى استبدال الاتجاه الادبي في تعليم اللغات الاجنبية باتجاه آخر يؤكد على استخدام اللغة كأداة لنقل المعلومات التقنية او العلمية – بالمعنى الواسع لهذه العبارة – بحيث تشمل الكيمياء، وعلم الاجتماع، واستكشاف النفط، والتغلغل الايديولوجي، الخ ... كما نشأ اتجاه آخر الى الاتصال الذي يتفق مع احتياجات البلاد النامية. وتطلب كل هذا اعادة النظر في البرامج بحيث تأخذ في اعتبارها هذه العوامل المختلفة. هكذا اتخذ تعليم اللغات طابعا جديدا في كثير من البلدان. واصبح يوجه الى الطلبة غير المتخصصين في اللغة الاجنبية، لكي يمكنهم من قراءة النصوص التي تنقل اليهم ما يحتاجونه من معلومات. وركز على القراءات، وجعل الدارس يقف موقف المتلقي في عملية الاتصال. ولم يؤكد على التعبير باللغة الاجنبية، وعمل على اعداد الطالب بحيث يفهم المضمون ويستخلص المعلومات من النص، وينقلها الى الآخرين بلغته الأم اذا لزم الأمر. ولعل في كل هذا حل مشكلة تدريس اللغات الاجنبية لغير المتخصصين. وفي رأينا ان ارتباط المضمون بالتخصص حتى بالنسبة للطالب الذي لا يعرف من اللغة الاجنبية الا قشورا – هو السبيل الوحيد الى تحقيق اكبر قدر ممكن من الفاعلية في تدريس اللغات. فالطالب الذي يدرس المحاسبة في كلية التجارة احوج ما يكون الى نصوص تشتمل على عبارات «الايرادات» «المصروفات» «ميزان المدفوعات» مثلا ولا نقصد بقولنا هذا وضع قائمة صماء بالمصطلحات، يحفظها الطالب عن ظهر قلب، وانما نقصد النصوص التي ترد فيها كلمات وعبارات تخصصية، وغني عن الايضاح ان الالمام بمبادئ اللغة الاساسية شيئ لابد منه لكي تكون هذه الدراسة مجدية. ولعل آخر مرحلة في هذا المستوى الثالث هي التعبير شفاهة وكتابة عن التخصص الدقيق بلغة اجنبية بعينها. وفي هذه الحالة يكون الاتصال بين المتخصصين في هذا العلم او ذاك بغض النظر عن اختلاف جنسياتهم ولاشك ان هذا الاتجاه الجديد يتطلب اعداد المدرسين اعدادا جديدا من

اللغات الأجنبية والعصر الحديث

الناحية التربوية، واللغوية، والعلمية، فاستاذ الادب الفرنسي مثلا لا يستطيع في كل الحالات ان يشرح نصا طبيا فرنسيا لطلبة الطب العرب، اللهم الا بعد اطلاعه على كتب الطب الفرنسية وحضوره دورة او اكثر تعده للقيام بهذه المهمة. وكذلك الحال بالنسبة للهندسة والكيمياء، وعلم النبات والحيوان، الخ

ولا يقل دور المترجم عن دور مدرس اللغة أهمية. واقدر الناس على الترجمة هم بطبيعة الحال المتمكنون من اللغات الاجنبية.

وجدير بالملاحظة ان البرامج الدراسية في بلادنا العربية لا تعطي الترجمة الاهمية التي تستحقها. وقد يكون عذرها في ذلك ارتباط الترجمة بتعليم اللغات الاجنبية عامة. فلابد من ان يتقن الطالب اللغة الاجنبية قراءة وكتابة

لكي يتمكن من الترجمة منها واليها الا ان بعض دور العلم في عالمنا العربي بدأت تلتفت الى هذه المادة الهامة التي لا غنى لبلد عنها في عالمنا المعاصر. فلقد انشأت جامعة القاهرة في كلية الآداب ثلاثة دبلومات للترجمة من والى الانجليزية والفرنسية والالمانية كما ان جزءا كبيرا من المترجمين بدأ يتجه الى الترجمة الفورية، لانها اكثر ملاءمة للعصر الحديث، عصر السرعة والاتصالات العديدة. ففي كل يوم، تعقد في اماكن عدة من العالم مؤتمرات محلية وعالمية لا يتسنى لها العمل الا بالجهاز الترجمي، فوريا كان ام تحريريا، عصب الاتصال بين المشاركين فيها ووسيلة التفاهم بينهم. ولابد من الاهتمام باعداد المترجمين الفوريين اعدادا تخصصيا خاصة بعد ان اصبحت اللغة العربية لغة عمل في الامم المتحدة ومنظماتها المختلفة ولنذكر بالمناسبة الدور الذي تقوم به كلية الألسن في هذا المجال. لكن الاهتمام بالترجمة الفورية لا يعني بحال من الاحوال اهمال الترجمة التحريرية، خاصة اذا اهتمت هذه الاخيرة بنقل امهات الكتب الاجنبية الى العربية ولعل المشكلة التي تواجه المترجم في هذه الحالة هي عدم استيعاب اللغة العربية دائما للمصطلحات الاجنبية لكن الوقوف امامها «مكانك سر» امر مرفوض، لان اللغة العربية فيها من المرونة والقدرة على التوليد والاشتقاق ما يمكن المترجم من ان ينقل اليها الفكر والعلم، قديما كان ام حديثا. وفي ميدان المصطلحات العلمية بالذات، يستطيع المترجم ان يسلك سبلا مختلفة اهمها: تحوير المعنى اللغوي بحيث يتضمن المعنى العلمي الجديد، واشتقاق كلمات جديدة من اصول عربية او معربة، وترجمة الكلمات الاجنبية او تعريبها. هكذا تستطيع اللغة العربية استيعاب الجديد وتطوع لمتطلبات العلم الحديث. ومن اول المهام التي يجب ان يضطلع بها المترجمون



وضع القواميس التي تنقل اليها العربية المصطلحات الخاصة بمختلف العلوم والفنون. ولقد قام مجمع اللغة العربية بعمل رائد في هذا المضمار، عندما اصدر عدة اجزاء عن المصطلحات المختلفة. لكننا ما زلنا في حاجة الى قطع شوط طويل ومسايرة اللغات التي تكتسب شيئا جديدا في مختلف المجالات، كل يوم. ولابد لمن يقوم بهذه المهمة ان يكون متقنا للغة التي ينقل منها واليها، لا ملما بها فقط. ولكي تكون الترجمة مؤثرة حقا يجب ان تسير في اتجاهين: من اللغة الام واليها. وهكذا تؤدي اللغة دورها كأداة لنقل الثقافة والتواصل بين الامم. وكما ان الترجمة الى العربية مكنتنا من التعرف على الفكر الانساني والمعرفة الانسانية، فان الترجمة من العربية الى اللغات الاجنبية امر ضروري لتعريف العالم بتراثنا القديم، وحضارتنا الحديثة على السواء. وانها لقضية يجب ان تحظى باهتمامنا الى اقصى حد، خاصة ان الدعاية المعادية المغرضة تعمل بشتى الوسائل على تشويه صورتنا امام العالم الخارجي الذي لم يقرأ كتبنا لانها لم تترجم، او اخذ فكرة سطحية عنها عن طريق ما كتب عنها. ودون ان نذهب الى حد الغرور، يمكن ان نقول ان لدينا من الكتب والمؤلفات ما يستحق ان ينقل الى اللغات العالمية، ويثري العالم بفكر وفن انسانيين اصيلين. ويهمنا ان نطلع الشعوب الاخرى على عطاء شعبنا في الماضي والحاضر في مجال الفكر والأدب وما عداهما مما يساعد بلاشك على تفهم الشعوب لقضايانا وتعاطفهم معنا.

الصورة الشعرية عند.. ت.س. إليوت

بقلم: ت.س. بيرس
ترجمة: محمد البهنسي

اذا كان الشكل هو الهيكل العظمي للقصيدة، فان الكلمات والصور الخيالية التي يستخدمها الشاعر هي شرايينها وجهازها العصبي. ويتجسد اسلوب الشاعر أساسا في الكلمات والصور التي يختارها، وبالطريقة التي يضع بها الكلمات والصور جنبا الى جنب. غير ان الاسلوب يتضمن خصائص اخرى مثل نغمة القصيدة أو روحها العامة. فمثلاً، قد يقال ان اليوت يتمتع باسلوب فكري مما يعني أن القارئ يحس بالشعر مفعماً بأفكار تتطلب انتباهاً دقيقاً .. او قد يقال ان اليوت له اسلوب محايد، وفي هذه الحالة ربما يعني القارئ ان الجو العام للعمل لم يحمله على التوحيد مع الشاعر او التعاطف معه، لأن القصيدة لم تجعله مدركاً لوجود الشاعر مثلما هو الحال مع «كيتس» في قصيدته «أنشودة الى عندليب» واذا كان لكل من هذين التعميمين ما يبرره من حيث صلته بالموضوع، الا أنهما غير مقنعين بدرجة كافية.

ان التحليل الدقيق لأسلوب شاعر ما، لا يمكن تحقيقه الا من خلال بحث صوره الخيالية وطرق تعامله مع الالفاظ، وفي حالة شاعرنا ت.س. اليوت فان استخدامه للصور الشعرية الخيالية لأمر ذو اهمية بالغة، وذلك لأن نوعية هذه الصور تعتبر واحدة من أبرز ملامح عمله واقواها استقراراً في الذهن. فقصائده ملأى بصور شعرية تتسم بوضوح بالغ .. وضوح بصري .. بل اذا أردنا المزيد من الدقة، نقول انه وضوح بصري من الناحية العقلية، وذلك لأن صوره تستلفت عين الذهن التي تعتبر جهاز استقبال مشتركا من جميع الحواس والمشاعر والافكار التي توجدها تلك الصور.

فعندما ترى «عين الذهن» موضوعا ما، فانها ترى اكثر اكتمالاً مما تراه العين العادية وحدها، اذ انها تستحضر الشعور بالموضوع والاحساس به، بل وربما تستحضر في الذهن مذاقه ورائحته، كما انها تستقبل ايحاءات عاطفية وانفعالية، وتتذكر افكاراً متداعية، بحيث يكون الانطباع الكلي مختلفا تمام الاختلاف عن ذلك الانطباع الذي تخرج به عندما ترى بالفعل الموضوع الذي نحن بصدده، بنفس الطريقة التي يختلف فيها تذكر رائحة زهر ما عن الاحساس بشم رائحتها بالفعل، وذلك لأن الذاكرة تتضمن اشياء اخرى بالاضافة الى الرائحة الفعلية، ويوجد في شعر اليوت مجموعتان من الصور، المجموعة الاولى هي ما يمكن ان نسميه بالصور البسيطة، كتلك التي تتجلى في أساليب التشبيه والاستعارة بما في ذلك الرموز التي تعتبر موضوعات مفردة والمشحونة بمعنى خاص بسبب مضامينها او بسبب ما تقارن به، أو بسبب دلالاتها التاريخية والمكتسبة. اما صور المجموعة الأخرى، فهي تتجلى في ذلك النوع الذي يتميز به اليوت ويلتصق به، وهو ما يمكن ان نسميه الشريط السينمائي

PICTURES

ان قصائد «اليوت» الطويلة، لتشبه الافلام السينمائية، لانها تضع أمام القارئ سلسلة او شريطا من الصور، وقد اتخذ تكنيكا يشبه الى حد ما تكنيك معاصريه من الرسامين والمخرجين السينمائيين. فاللوحة الحديثة أو المعاصرة مجزأة بطريقة غريبة وغير مألوفة بحيث تبدو للوهلة الأولى وكأنها مجرد خليط من الاشكال التي لا معنى لها والتي من بينها اجزاء تذكرنا بموضوعات مألوفة. وخير مثال لذلك، سلسلة التنويعات الأخيرة لبيكاسو على صورة VELASQUEZ المعروفة باسم LAS MENIRAS وكذلك، فان مخرجاً سينمائياً قد يستخدم القطع المفاجئ المعروف بالمونتاج، حيث يمكن ايجاد انطباع كلي لمشهد ما بتتابع سريع للقطات مليئة بالتفاصيل المأخوذة من أية اجزاء للمشهد، وهي لقطات لا توضع بالضرورة مرتبة كما تراها العين في الواقع، بل مرتبة بطريقة قد تسمح للذاكرة بتسجيلها ثم استحضارها في الذهن فيما بعد. وقد استخدم «ايزنشتين EISNSTEIN هذا التكنيك في فيلمه الشهير عن التمرد الذي حدث فوق البارجة الروسية.

وان الشيئ الذي يشترك فيه شعر ت.س. اليوت مع تكنيكات الرسم والاخراج السينمائي هذه، هو ان شاعرنا توماس اليوت يحقق نتيجته بربط سلسلة من اللقطات او الصور بطريقة تفضي الى ايجاد انطباع فريد في نوعه، كما لو ان الشعر اصبح غير تمثيلي.

فنحن نستمتع بالموسيقى عن طريق الاحساس بشيئ ما عن الاصوات .... فهذه الاصوات تثيرنا، وقد تجعلنا سعداء او تعساء. ثم نستمتع بها فيما بعد بادراك كيفية تأليف المعزوفة الموسيقية وكيفية بناء ما فيها من تناغم وتناسق. فكل قطعة موسيقية فريدة في نوعها ... وكل مقطوعة موسيقية «خالية من المعنى» من حيث انها لا تشير الى اشياء خارجها. وهذا لا ينطبق تمام الانطباق على القصائد التي نفكر فيها ولكنها في نفس الوقت تتمتع بشيئ مشترك فيما بينها بالفعل اذا نظرنا للمسألة من زاوية ان جمال الشيئ قد يكون كامنا في تتابع الصور سواء أكانت صورا حقيقية او خيالية ومن زاوية انها تمر مثل الالحان والانغام في مقطوعة موسيقية. فالقصائد تتمتع بمعاني تشير الى الموضوعات والافكار التي تألفها بالفعل. ولهذا السبب عينه، فضلا عن اننا نفهم القصائد – فيما يبدو ربما بنفس الطريقة التي نفهم بها قصة أو قضية على نحو منطقي، فاننا نبدأ في التخبط والتعثر وننتهي بقولنا ان القصيدة غير مفهومة.

والشيئ الذي لاريب فيه هو ان ت.س. اليوت يستخدم بالفعل الصور الخيالية التقليدية ويستغلها استغلالا فنيا. فهو يستخدم تشبيهات واستعارات صريحة بل ويستخدمها على النحو المألوف والمعتاد حتى وان جاء بعضها مروعا ومخيفا وللتدليل على ذلك فاننا لسنا في حاجة الى بذل المزيد من الجهد للحصول على أمثلة. في احدى قصائده نقرأ

«عندما ينتشر المساء قبالة السماء
كمريض يرقد مخدراً على منضدة».

«الشوارع التي تتتابع مثل
لحاجة مملة لينة خبيثة.»

فالشوارع تتوالى وتواصل تتابعها في اصرار حتى تنهك السائر وتضعف قواه، تماما مثل تلك اللجاجة التي تنهك قوى صاحبها الذي يجادل. أما عن المساء، فهو مصاب بالبلادة والجمود وانعدام الحياة مثل مريض اصابه التخدير.

وهذه تشبيهات واضحة، مضمونها لا يزيد عن مجرد اعطاء انطباع جلي عما تبدو عليه الموضوعات التي يصفها الشاعر او لاعطاء انطباع لما يكون عليه التأثير الانفعالي لتلك الموضوعات التي يصفها الشاعر.

وفيما يتعلق بالاستعارات، ما علينا الا أن نواصل القراءة لبضعة أسطر في الصفحة الأولى من القصيدة لنصل الى الابيات التالية:

« والضباب الاصفر الذي يحك ظهره على زجاج النوافذ
« الدخان الاصفر الذي يحك خطمه على زجاج النوافذ
« لعق بلسانه زوايا المساء،
« وتحمل متوانيا فوق البرك المنزوفة
« تاركا سناج المداخن يسقط فوق ظهره،
« ومر بالشرفة، ثم قفز قفزة مباغتة
« وما أن أدرك انها كانت احدى ليالي أكتوبر الرقيقة
« حتى تجعد والتف حول البيت واستغرق في النوم.

وهنا نجد ان الضباب الذي يصفه الشاعر حرفيا بأنه اصفر، وبأنه تمهل متوانيا فوق البرك، قد جعله الشاعر في

مجالات أخرى أشبه بحيوان، وعلى الارجح اشبه بقطة. وقد تبدو الصورة – مثل حالة التشبيهين اللذين سبق ذكرهما – مذهلة أو غير عادية لأول وهلة خاصة وأن ت.س. اليوت يسعى بالفعل الى الصور الغريبة غير العادية. ولكنه في الوقت ذاته يستخدم هذه الصور بطريقة تقليدية صريحة تمام الصراحة. وليس من العسير ان نستنتج او نعرف المماثلات القائمة بين الموضوع والمقارنة. فالشاعر جعل الضباب – بذكاء وخفية وصمت – كائنا حيا، وبذلك اكسبه نوعا من القوة الايجابية على المثابرة والجلد او حتى النية في ان يفعل ذلك. وان اليوت يحاول على وجه ان يصور الطريقة التي يتغلغل فيها الضباب في الركن الصغير الأخير والطريقة التي يعمل بها كجماد يجمع السناج الذي يشبه به الجو.

وفي قصيدة اغنية غزل ج. الفريد بروفروك نقرأ هذه الأبيات:

«لقد قست حياتي بملاعق القهوة
وأنا مثبت واتلوى فوق الحائط
أنفث بقايا واعقاب حياتي وعاداتي
كان يجب أن أكون زوجا من المخالب الحادة
لاعدو عبر قيعان البحار الصامتة.»

هذه كلها صورة آسرة للانتباه، وتتطلب من القارئ ان يفكر فيما تعنيه المقارنة: فالحياة أشبه بسلسلة من فناجين القهوة (او ربما ليست مشغولة بشيء سوى احتساء القهوة)، وكل يوم يمر فانما هو اشبه بسيجارة دخنها والصورة الأخيرة ليست تشبيها أو استعارة من الناحية الفنية على وجه الدقة على الرغم من أنها تعمل عمل التشبيه.. اذ أن «بروفروك» اشبه بمخلوق احمق وبدائي، كسرطان البحر، يدلف من الاشياء من بعيد ومن طرق جانبية، ولا يستقر في مكان رغم ذلك. أنه كما لو كان في قاع البحر. ومثل هذه الصور بارزة في قصيدة «أغنية الغزل»، ولكنها ليست شائعة في جميع اعمال اليوت الشعرية. ففي قصائده المتأخرة – أي التي كتبها في المرحلة الأخيرة من حياته – يجد المرء صعوبة متزايدة في العثور على صور بسيطة. واليكم الآن صورة شعرية مأخوذة من قصيدة «صورة نصفية لسيدة».

يعود الصوت مثل النغمة النشاز المستمرة
لآلة كمان محطمة في أمسية من أمسيات
اغسطس

والتأثير العام لهذه الصورة واضح وضوحا كافيا. فالصوت الذي يعنيه الشاعر لا تستسيغه الأذن، وفضلا عن ذلك فانه مستمر ودائم. ولكن هذه الصورة ليست بسيطة بحال من الأحوال، فلو أخذنا كلمة «محطمة» بمعناها الحرفي – لما أصبحت آلة الكمان ذات نغمة نشاز فحسب، بل لاصبح من المستحيل أن تخرج نغمات على الاطلاق ومن ناحية اخرى لماذا يجب أن يكون هذا الصوت مختلفا أى اختلاف في أمسية من أمسيات أغسطس عن اية امسية اخرى.

ان الاجابة على السؤال الاخير أكثر سهولة ويسرا، لأن الطقس في أغسطس ربما يكون شديد الحرارة مع الرطوبة وقابضا للصدر عندما يكون الصوت النشاز والأجش أكثر أزعاجا وصريرا عن المعتاد. ولكن هذا في الواقع تشبيه في سبيله لأن يصبح صورة فبعض الصور توضع في زمن معين من السنة ولا تزعج القارئ. وانه لمن العسير – في العمل الدقيق لتشبيه ما – الا تبحث عن شيء محدد... ولكن عندما نتذكر الخلفية الشعرية الرمزية لاليوت، سننتهي الى أن هذا ربما يكون رمزاً شخصياً، يسترجع تجربة معينة، وفي وسعنا أن نستجيب معها حيث أنها تشكل التأثير العاطفي للقصيدة.

وهذه صورة أخرى، نلتقي بها في قصيدة «لحن مرتجل في ليلة عاصفة» تقول الابيات:

كل مصباح امر به في الشارع
يدق كطبلة قدرية
وعلى مدى مسافات الظلام
يهز منتصف الليل الذاكرة
مثلما يهز مجنون زهرة غرنوقي ميتة

الصورة الاولى ليست عسيرة على الفهم، فالرجل بالغ الحساسية لكل مصباح يمر به، وسرعان ما تنتظم المصابيح في ايقاع منظم رتيب يبدو كما لو كان يفصح عن قدر الرجل او قدر احد غيره من الناس. اما الصورة الثانية فهي أشد أزعاجا وترويعا وان كانت أكثر غموضا. ان ما يراه الشاعر وهو يسير على طول الشارع في ليلة عاصفة يثير فيه ذكرى اشياء مضطربة وقبيحة على وجه الخصوص مثلما تشير الصورة الأخيرة. وربما تكون الذكريات ايضا كليلة وتافهة، اذ تمحوها من الذاكرة قوة لا تأبه بها ولا تدري ما الذي تفعله.. ومن هنا كان الرجل المجنون. هذا فضلا عن ان الذكريات نفسها ميتة وعديمة الجدوى مثل الزهرة التي يشير اليها الشاعر والتي يهزها المجنون، على الرغم من هذه الذكريات كان لها حياة نابضة وبهيجة مثل الحياة التي كانت لزهرة القرنوقي GERANIUM التي يختارها اليوت.



بيكون



أرسطو

ديكارت

اللسان.. والفكر

بقلم: د. محمد محمود غالي

يقصد باللسان هنا ما ألف العلماء أن يسموه «اللغة» وهو هذه المجموعة من الاصوات الانسانية التي يتفاهم بها الناس فيما بينهم، ويقصد بالفكر ما شغل المفكرون به أنفسهم منذ القدم بالبحث في الانسان والكون وفيما وراء الكون والانسان.

وقد اتفق الغربيون على أن يعتبروا الفكر اليوناني بداية الفكر الانساني وأغفلوا ما قبل ذلك من فكر وبصر وحكمة لان ما قبل ذلك من النبوات من لدن آدم ونوح وابراهيم لم يقصد بها هذه الرياضة العقلية التي يسمونها فكرا والتي قد تنزع نحو الترف العقلي متجاوزة النظر في عظمة الخالق جل وعلا وحكمته في خلق السموات والارض .. وما فيهن وفي الحياة والموت والبعث والنشور.

١) من معالم الفكر الانساني:

أ- عكف المفكرون القدماء في أوروبا على النظر في الانسان وفي عالمه الذي يعيش فيه وفي الكون من حوله وفي تحديد معنى الخير والشر واللذة والالم وفي اصول الحياة السياسية عند البشر، كما بحثوا في الاخلاق والسياسة والشعور والمنطق.

وصار ما خلفه اليونان تراثاً عريضاً لمن جاء بعدهم من الرومان الذين لم يزيدوا عليه كثيراً الا في النواحي التشريعية حين قعدوا قواعد السلوك الاجتماعي والسياسي والعسكري لدولتهم التي ترامت اطرافها قبل أن يدب اليها الضعف والانحلال.

ب- وجاءت العصور الوسطى التي يعتبرها المحدثون في الغرب عصر ظلم وجهل وظلام ولكنها كانت في حقيقتها عهوداً برزت فيها الكنيسة الصليبية في أوج سلطانها. ثم بغت وتجبرت حتى ثار عليها اتباعها من الحكام والمحكومين ونشأت في ظل هذه الثورات نظرية فصل الدولة عن الكنيسة اول فصل الدولة عن المسيحية. ولكن هذه الفترة كانت كذلك غنية بنتاج الفكر المسيحي الذي كتب في الزهد وفي الخير والشر والدولة وسياستها على هدي من الايمان بالتنزيل وان شابه التغيير والتحريف.

وجاء العصر الحديث بما اعتبره مفكرو الغرب انتصار الدولة على الكنيسة وحسبوه صراعاً بين الفكر الانساني وبين الوحي المنزل في الكتب السماوية منذ الخليقة، وافترضوا الى جانب ذلك عداء بين الانسان والطبيعة من حوله، وحصر الفكر الانساني نفسه في البحث داخل الانسان نفسه، في عقله ومعرفته وفي طرق تحصيله لهذه المعرفة وفي حريته وكيف يصونها وفي أمور السياسة والمال والاقتصاد، على خلاف فيما بين مذاهبهم من تحررية ورأسمالية واشتراكية. فبرزت مدارس كثيرة للفكر في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة والقانون والاقتصاد، وكلها مدارس شاركت في تمجيد الانسان تارة والعلم تارة أخرى واعلنت ايمانها بالمادة وتنكرت في صورها المتطرفة لكل القيم الغيبية والاخلاقية التي نزلت بها رسالات السماء وتتابع بها الوحي في موكب كريم من النبوات كان ختامه رسالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

جـ- ثم جاء الاسلام متمماً للوحي وموقظاً للفكر الحي ليعمل العقل في كشف معجزة الخلق الكبرى في الانسان وفي الكون من حوله، وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الداعين الى عبادة الله وحده والتفكير في خلقه واجتهاد العقل البشري في حدود ما تسعه قدرته وفي نور من وحي الله العزيز الحكيم. ولقد ظل الفكر الاسلامي في مجموعه حتى اليوم أميناً على هذا التراث الذي جاء به الرسول الأمين وحفظه القرآن الكريم والسنة المطهرة وان تأثرت مدارس المفكرين المسلمين بما ظهر في القديم والحديث من منازع فكرية بعضها يساير القيم الاساسية عدا المسلمين وبعضها الآخر يجفو عنها، ولئن ظل الاساس الاول للفكر الاسلامي سليما فمرد ذلك الى قادة مصلحين ومجددين حفظوا هذا التراث ونضوا عنه ماران عليه في عهود الضعف والتخلف والانحلال.

٢) اللسان والفكر الغربي الحديث:

أ- اذا اعتبرنا أن الفكر الغربي الحديث قد بدأ بديكارت وفكره العقلاني — RATIONALISM

الذي غلب على الفكر الاوروبي في العصر الحديث بوجه عام، كما بدأ بلوك وهيوم في انجلترا، وقد غلب على فكر هذه المدرسة الاتجاه التجريبي EMPIRICISM فان هذا التفكير المجرد «الفلسفي» كانت له انعكاساته على مدارس علم الألسنة، حين اتجه علماء الألسنة الى أن يقيموا علماً مستقلاً لفقه الألسنة أو اللسانيات في القرن العشرين الميلادي، فاتجهت المدرسة الأوروبية وعلى رأسها «دى سوسير» الى الاتجاه النظري العقلاني واتجهت المدرسة الامريكية وعلى رأسها «بلومفيلد» الى المنهج التجريبي التطبيقي.

ب- وبدأ مع تباشير النهضة الفكرية الحديثة في الغرب عزوف عن منطق القياس الذي استحدثه أرسطو في القديم الى منطق جديد دعا فيه «بيكون» الى منطق جديد يقوم على الاستقراء INDUCTION

ولا يقوم على القياس DEDUCTION

، والواقع أن هذه التفرقة بين هذين الضربين من المنطق وان كان لها ما يبررها، الا أن نسبتها الى العصور الحديثة يقوم على فهم خاطئ لمنطق أرسطو لأن كتابات أرسطو في الحقيقة قد تناولت المنطقين وأوضحت الفرق بينهما وأظهرت أن كلا من النوعين من المنطق يكمل أحدهما الآخر فمنطق القياس يبدأ بقضية أو عمومية لا يمكن الوصول اليها الا بعد استقراء جزئيات كثيرة لنصل منها الى هذه القضية العامة.

ولقد ضرب أرسطو نفسه مثلا لمنطق القياس

كل انسان فان

سقراط انسان

∴ سقراط فان

فهذا النوع من المنطق قد بدأ بقضية عامة أتبعها بقضية أخرى وخلص منها الى نتيجة تنطبق على فرد واحد من أفراد البشر فجاءت هذه النتيجة تخصيصا بعد تعميم، ولكن ارسطو لفت النظر كذلك الى أن القضية العامة الاولى وهي «كل انسان فان» تعتبر نتيجة لمنطق استقرائي افترضنا صحتها بعد أن تبينا من استقراء حال البشر أن كل انسان فان ثم استعملت هذه النتيجة الاستقرائية قضية أولى في المنطق القياسي. ولهذا فان هذين النوعين من المنطق الاستقرائي والقياسي متكاملان، نبدأ بأحدهما لنصل الى الآخر.

ونرى كذلك هنا انعكاسا لهاتين الصورتين من المنطق في كتابات علماء الألسنة المحدثين خاصة في الولايات المتحدة، فبينما نادي بلومفيلد بالأخذ بمنطق الاستقراء استجابة للنزعة العلمية الحديثة التي علا صوت المنادين بها في الثلاثينيات من هذا القرن الميلادي من أصحاب المذهب السلوكي BEHAVIOURISM نرى من ناحية أخرى تشومسكي ينأى عن هذا المنطق وما يبدو عليه من نزعة مادية الى المنطق القياسي الذي يقوم على الالهام INTUITION قبل التجريب EMPIRICISM كما يتجه الى التسليم بأسس المدرسة العقلانية RATIONALISM التي نادى بها ديكارت من قبل في بدء النهضة الفكرية الغربية الحديثة.

وهكذا تفاعل في الفكر اللساني الغربي الحديث تياران: تيار الفكر المجرد ومنطق القياس مع تيار الفكر التجريبي ومنطق الاستقراء.

جـ- واختلف اصحاب الفكر الغربي الحديث حول صلة اللسان بالفكر فأنكر البعض وجود الفكر كلية وزعموا أن الفكر هو الاستعداد للكلام وقال آخرون بانفصال الفكر عن الكلام وتمايزهما تمايزا تاما.

وقد أجمل «رولون ولز» حجج من قال بتمايز الفكر عن الكلام فيما يأتي :

(١) لا يمكن ان يكون الفكر والكلام شيئا واحدا، كما لا يمكن أن يوصف التفكير بأنه استعداد للكلام.

(٢) هناك من الافكار ما قد يخطر على العقول ولكننا لا نستطيع أن نعبر عنها تعبيراً مقبولاً.

٣) اللسان والفكر في القرآن الكريم:

أ- ورد ذكر كلمة لسان في القرآن الكريم في مواضع قليلة منها في سورة «ابراهيم – ٤» (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم). وفي سورة «النحل – ١٠٣» (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)، كما جاء ذكر ألسنة في سورة «الروم – ٢٢» (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم وألوانكم).

وورود كلمة لسان في الموضعين السابقين يظهر أن «لغة» كلمة غير قرآنية ولعلها دخلت العربية بعد الصدر الاول حينما كثرت الترجمات عن اليونانية واللاتينية الى العربية. وهي في الموضعين تشير الى وجود ألسنة عدة فهناك لسان عربي ولسان أعجمي، كما أن كل رسول يأتي برسالته بلسان قومه، وهذا المعنى يستفاد كذلك من كلمة ألسنة في الآية الثالثة، بل ان الآية تؤكد هنا الاختلاف لا التشابه، فاختلاف الالسنة بين الناس كالاختلاف في الالوان، ولو استطاع الناس أن يجتمعوا على لون واحد لاستطاعوا كذلك أن يجتمعوا على لسان واحد، بل لعل في ذلك اشارة الى أن ما بين الناس من اختلاف في الالسنة معجزة قائمة تدوم مع الناس دوامهم في هذه الحياة الدنيا. وفي ذلك رد بالغ الاعجاز على كل من يحلمون عبثا بجمع الناس على لسان واحد.

ب- واذا ربطنا بين هذه الآيات التي تتحدث عن اللسان والالسنة وبين الآية التي تتحدث عن القدرة على النطق في قوله جلّ وعلا «فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون» (الذاريات – ٢٣) يمكن في ضوء هذه الآيات الكريمة مجتمعة أن يقال ان

هناك فرقاً بين النطق بالألسنة وبين ما ينطق بها، فالنطق بالالسنة حق ولكن ما ينطق به الانسان ليس هو الحق في كل الاحوال. ولقد دلتنا الابحاث الحديثة أن هذا الجهاز العجيب الذي يتألف من الحنجرة وما يتصل بها من عضلات وما يغطيها من أغشية خاصة هذا الغشاء الذي يغطي فتحة المزمار ويسمى الحبال الصوتية أو الاغشية الصوتية قادر على احداث أصوات الألسنة الانسانية وهو بهذا التركيب العجيب الذي سبق الى وصفه وصفاً دقيقاً الامام الشيخ ابن سينا في كتابه «أسباب حدوث الحروف» مهيأ تهيئة خاصة لاحداث أصوات الالسنة.

جـ- ولقد وردت كلمة فكر على صيغ مختلفة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم كما وردت عقل ولب وصيغهما في مواضع كثيرة أخرى وتقترب الكلمتان وصيغهما من معاني كلمة فكر وصيغها كذلك، ويمكن ان تقسم هذه المعاني أقساماً ثلاثة.

١) التفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والتذكير بالآخرة.

٢) النظر في أصول النفس الانسانية ومنامها ويقظتها وسكونها الى الاسرة والذرية وما بينهم من مودة ورحمة (الزمر -٤٢، الروم-٢١).

٣) النهي عن التفكير على شاكلة الكافرين الذين يقدرون الحياة المادية وحدها والنهي عن الكبائر مثل الخمر والميسر والربــــا (المدثر-١٨، البقرة-٢١٩-٢٦٦).

وتأتي معظم آيات الكتاب الحكيم لتوضح المعنى الاول وتدعو اليه وتحث الناس مؤمنين وغير مؤمنين عليه، حينا في آيات طويلة كما في سورتي البقرة وآل عمران، وأحياناً في تتابع معجز أخاذ، كما نرى في الآيات ٣-٤-٥-١٣ من سورة الجاثية وفيها ذكر الايمان واليقين والفكر والعقل، وكذلك في الآيات ٤٢-٤٣-٥٤ من سورة الزمر، وفيها ذكر الفكر والعقل واللب، وكذلك في الآيات ٢-٣-٤ من سورة الرعد التي تتحدث عن اليقين والفكر والعقل، ثم الآيات ١١-١٢-١٣-١٧-٦٧-٦٩-٩٠ من سورة النحل التي تتحدث جميعا عن الفكر والعقل والذكر، ويستوى في هذا كله المدني والمكي من سور القرآن الكريم.

٤)فالفكر الانساني في القرآن الكريم له خصائصه القائمة على أساس من:

أ- الألتزام الانساني العام.

ب- الاستجابة لنداء الفطرة والوحي.

أولا: فالتفكير في القرآن واجب اسلامي عام يطالب به كل البشر وليس ترفا عقليا تستمتع به القلة الفارغة بمنأى عما جاءت به كتب الله وشرائعه وشريعة الاسلام التي جاءت للناس عامة جاءت لتنشر بين الناس فضائل الفكر المستنير الذي لا يجافى بين الفكر والعمل، لأن الفكر والعمل جاءا فيها متلازمين، فالفكر يهدي الى الطريق الاقوم والعمل الخالص يهب الفكر تزكية وفرقاناً.

ثانيا: والتفكير الذي يدعو اليه القرآن الكريم المجيد، كذلك هو استجابة لنداء الفطرة والوحي فهو فكر الأمة الأوسط التي تبتعد عن التفريط والافراط في نظراتها ومذاهبها وآرائها، فلا تجنح الى العنف في غير ما شرع الله ولا تميل الى الذل والاستكانة الا حين يعتريها ما يعتري الامم من ضعف وتخلف وانحلال حين تجافي هذا المنهج الوسط وهذا الفكر المستنير.

وكل تفكير لا يستجيب لنداء الفطرة والوحي هو من الاماني التي لا يصدقها برهان «تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» (البقرة - ١١١).

ومن هنا كان التفكير الانساني في الاسلام تفكيرا نسبيا وليس تفكيرا مطلقا لأن التفكير المطلق وهو ما جاء به الوحي، فهو مطلق لانه حق خالص تنزل به الوحي من لدن الحكيم العليم، أما تفكير البشر فتفكير

اللسان والفكر

نسبي يحتمل الصواب والخطأ ولا يتأتى أن يرجع الى الحق اذا استبان له أنه قد جاوزه بخطأ أو نسيان.

ثالثا: وهكذا يمكن أن نحدد صلة الفكر باللسان على أساس من اختلافهما فليس الفكر لسانا ولا اللسان فكرا وان كانا مرتبطين أوثق الارتباط.

ولئن كانت طرق الفكر الانساني في البحث تقوم على التحليل والاختيار والوصف والتركيب والربط، فان الانسان لا يقضي عمره كله في بحث فكري وعقلي بل ان حياته اليومية تقتضيه القيام بأعمال لا تتطلب مثل هذا البحث الفكري حين يعبر عن رغباته وارادته وسائر أموره الحيوية «البيولوجية» الاخرى، وهو في كل ذلك لا يستغني عن استعمال اللسان.

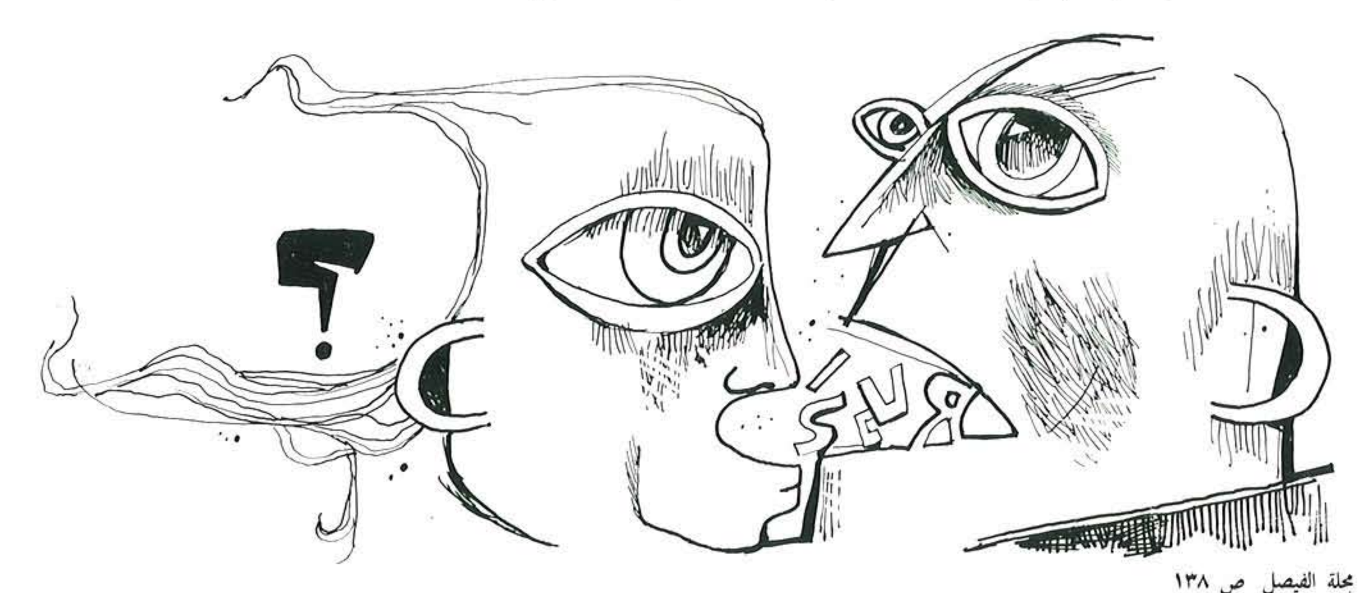
فاللسان اذن وظائفه العامة التي تشمل جوانب البحث الفكري وتتعداها الى سواها من سائر أمور الحياة الانسانية، واللسان بهذا المعنى يحوي الفكر ولا يحتويه الفكر وارتباطهما من هذه الناحية لا يعتبر ارتباطا متوازيا متلازما لانهما مختلفا النهاية والحدود.

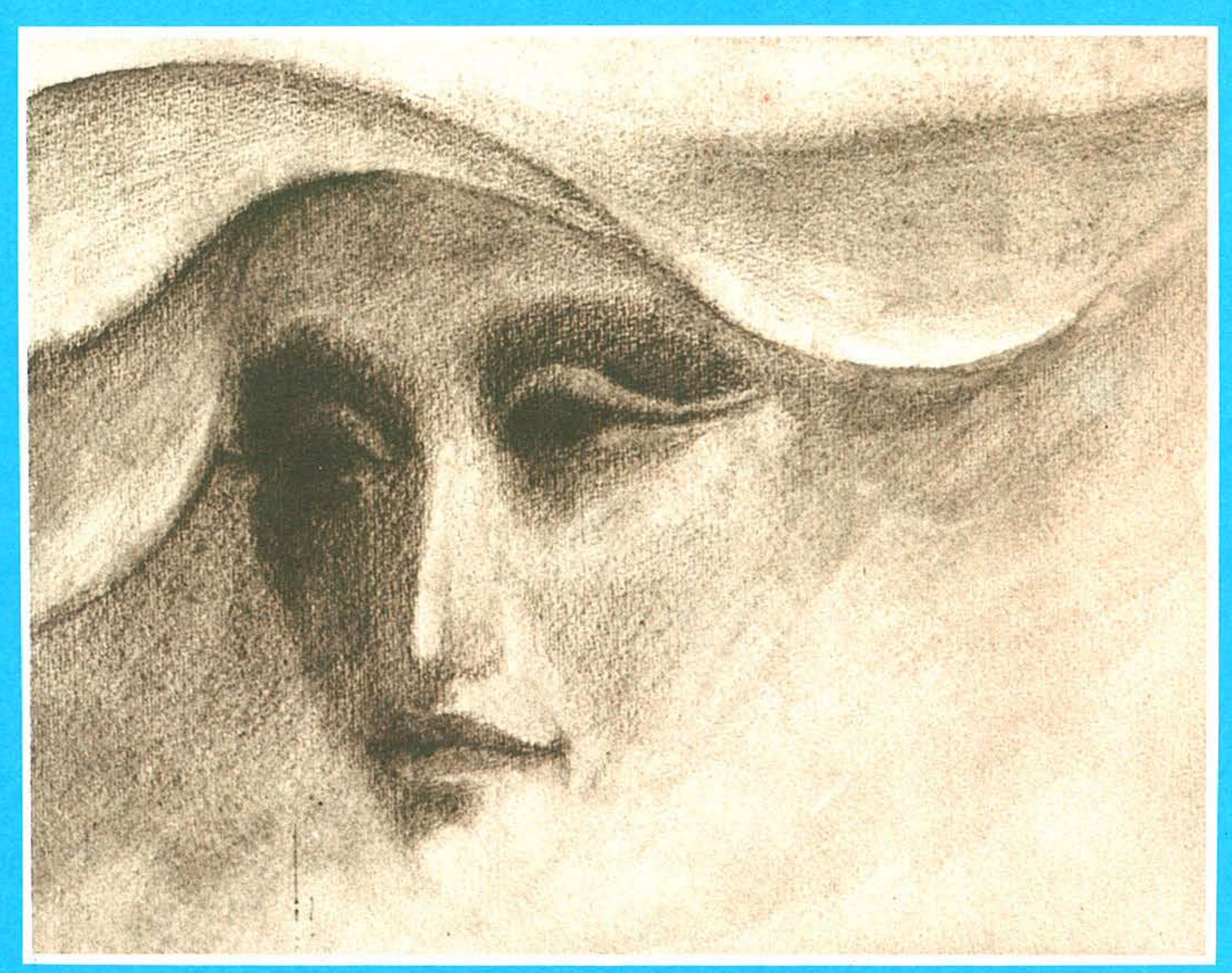
بل ان الارتباط بين الفكر واللسان ارتباط زمني لان اللسان لاحق للفكر في الزمان وليس ملازما له، كما أن هناك اختلافا مكانيا بين اللسان والفكر فمكان اللسان هو اللسان أي مجموعة العضلات التي تملأ فراغ الفم وما في الفم نفسه من أسنان وفك وحنك يصل الى البلعوم والحنجرة، وما داخلها من فراغات تستطيل أحيانا وتستدق أحيانا اخرى.

واذ كان لنا أن نقول ان الفكر القرآني أسمى في مراتب الانسانية العليا من الفكر الغربي الذي استغرق همه في البحث النظري في المعرفة الانسانية تارة وفيما وراءها تارة أخرى، فان الفكر الغربي اليوم في اتجاهه الى المنطق الرياضي والمنطق الرمزي والعلم التطبيقي قد فتح آفاقا جديدة لم نطرقها نحن المسلمين ولا زلنا نقف من الغربيين فيها موقف المتعلم المنبهر.

وأما هذه الحصيلة الضخمة من الدراسات اللسانية في الغرب فقد طرقت أبوابا في التحليل والوصف اللساني لا زلنا نتطلع اليها دون أن ندرك مداها ولا سبيل للحاق بهم في هذا الميدان الا باستظهار ما عندهم لنثري ما عندنا مما خلفه السلف من تراث لساني كان أغنى شيء في التراث البشري في زمانه.

ومع هذه الرغبة الشديدة في سد فجوة التخلف الذي عشناه خلال قرنين من الزمان، فان ذلك لا ينبغي أن ينسينا أن تراثنا الاصيل لا زال هو عدتنا لبلوغ النصر في ميدان العقائد المتحاربة في عالم اليوم ولا ينبغي كذلك ان نقلل من حقيقة الشوط الذي قطعناه في هذه السنوات القليلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.





الظمأ

عبدالله جفري

تجف الأرض .. تجف.

تتشقق عطشا ونداء. تتفلح والخطوات فوقها تدك العطش. تدك النداء .. وينبجس الظمأ كالنبع الذي ينوح!

يا ذلك المطر .. انسكب في النفس .. أغمرها يا ذلك المطر.

يا هذا الليل الممطر اصداء ولوعة. دفعة واحدة وينغرس النصل في بصيرة الفؤاد .. او تنبت زهرة وحشية في فيافي الظمأ .. تحنو على الدموع!

دفعة الى الأمام .. او دفعة الى الخلف..

ولكنه لا يدري. لا يحصد الا سحل الحياة!

كان قد اقترب من سياج الكورنيش. كانت اشياء كثيرة قد ابتعدت عن رأسه. وفارقت صدره المرتجف. ما الذي يفارقنا. وما الذي نفارقه اذا اضطربت الرؤى ؟!

ولكنه لا يدري!!!

خروم كثيرة متشابكة ومعقدة كما شبكة الصياد .. كانت نظراته.

طوح بها في اللامدى .. يعثرها في الظلام الكثيف لتضيع به .. تضيع معه في لا نهاية هذا البحر الممتد أمامه كما السر .. كما التعب، لتختلط بعد ذلك بترددات الموج الخافته .. كأن البحر يتنفس!

(ما أجمل هاتين العينين وهما تهمسان بالنظرة الواثقة – لا .. النظرة التي ظن انها واثقة – في المساء الاول. وكانت تحف صوته بهاتين العينين، وهو زائغ النظرات. ولكنها وجدت في نبرة صوته شاطئ امان .. تشبثت بالصوت. أدمته بالجدل ليستطرد ويحكي أكثر، وبتينك العينين ذات النظرات المدثرة في ظلال المساء شدت الصوت اليها بلا هوادة. طرحت نبرته وبعثرتها فوق رمال باردة لزجة بالرطوبة ولم تنم العينان، وانشرخ الصوت وهو يحتبس في حنجرته بعد توديعها)!!

تجف الارض .. تتفلح بالظمأ..

وهو لم يعد يدري .. هل كانت دفعة الى الامام، أم دفعة الى الخلف ؟!

نفخ بشفتيه المكتنزتين قليلا .. على التراب البارد المبتل بالطل .. على الحصى المتناثرة كأنها نفايات المد .. على الغبار الذي عجنته الرطوبة فوق سطح السياج لئلا يتسخ ثوبه الناصع بياضه!

بياضه ؟! .. هه..

أيكون الثوب اثمن بكثير من نصاعة النفوس التي تلوثت بالحقد .. بالحدة .. بالأدواء الغريبة والمقتحمة ؟!

ولكنه كيف يستعيد الآن نظراته الهاربة من عينيه ؟!

ما الحصيلة ؟! .. النظرات محدودة بمداها. لكن الشعور منطلق الى أبعد من حدود الارض، وقد جفت الابعاد بفعل هذا الجفاف في رؤية الحس .. في عاطفة الانسان!

يا ذلك المطر .. انسكب في الصدر يا ذلك المطر ليختمر ببذرة الوجد!

الاحجار .. الرمال .. الموج الواهن المتسكع على وجه البحر في صمت الليل، وبقايا الناس .. كلها أشياء تلتصق بجدار سياج الكورنيش على حافة البحر، وبساقيه المتدليتين من فوق السياج يطوّح بالفراغ كأنه «يدوّخ» ما تبقى في صدره من عشق. وجهه الى البحر، وأذناه لم تعودا تسمعان أصوات السيارات المنطلقة من خلفه بجنون فوق الأسفلت.

الناس يثقبون الليل بتفاهاتهم. طرقات منطقة «الحمرا» تشتعل بسرعة السيارات التي تدور حول نفوس اصحابها الذين اختبأوا داخلها يبحثون عن صدى في هذا الليل..

(ساحر صوتها وهو يتردد في سمعه من خلفه. كانت تختنق بظلال نفسها، وحيرة بوحها في المقعد الخلفي للعربة. كان صوتها نجمة في ضباب. وكانت تحاول ان تنتزع نفسها من الضباب في نفسها .. لتتناسى ما يمزقها من الداخل. لحظة رؤية للحياة ولو بالوهم، وهو أمامها .. امام مقود العربة وهمها الجميل الذي عايشته في خلوتها .. في تفجر انينها الذي تكبته كلما واجهت الناس وصديقاتها)!!

وما زال الناس يثقبون الليل بتفاهاتهم. والسيارات تنطلق من خلفه فوق ظلام الليل، ونظراته تنطلق هي الاخرى بسرعة .. بجنون لا تنظر الى شيء، وانما الى كل شيء غامض ومبهم .. لكنه يشع في ظلمة هذا المساء الكئيب.

نظراته تسافر ولا تعود .. تدخل صدره وتحتبس.

نظراته تجسد في حدقتيه ملامح تشف وتشف حتى تتحول الى روح.

نظراته تتخطى الاضواء الباهتة المتناثرة فوق ارصفة «الحمرا» تتخطى ايضا الاضواء الصفراء المرئية عن بعد .. اضواء الميناء هناك صفراء كما هذا الألم في صدره. لقد أفتقد ميناءه!

رأسه يدور في كل الاتجاهات..

في الصمت .. كأنه غلالة للبحر، وصرخة في اعماقه مكتومة!

في الشجن .. كأنه صور العالم المطعون الفاسد، وعذاباته..

في اللهب .. حينما ابتدأ شمعة أضاءت جوانحه، ثم أحرقت الجوانح!

الرطوبة شديدة، والهواء يلفح انفه وجفنيه وصدره..

ترى .. ما الذي يفرغه هؤلاء الناس المتجولون عبر شوارع «الحمرا» في هذا الليل الفارغ ؟!

الفراغ يفرغ الفراغ .. يفرغ السأم، ويقذف به الى البحر، وتهدأ النفوس بالوهم ايضا!

(– هل نتحرك الى مكان آخر يا «ناني» ؟!

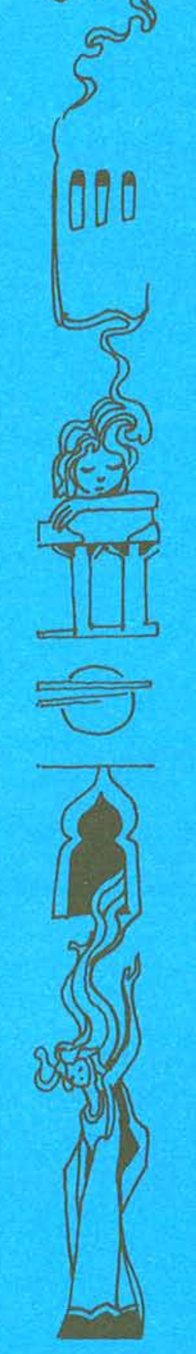
من وراء المقعد جاءه صوتها قادرا على تحييد التعاسة..

– ولكن .. كل الأمكنة واحدة اذا اجتمعنا .. كل

– آه .. تتحركين بصوتك في مسامي كالضوء .. تنبشين هذا المتعب المغنّى بالحسرة .. ليستيقظ ويتكامل من جديد!

– قالت ناني: لم أسمعك تجيب. هل كنت تحادث نفسك ايها الفنان الغريب ؟!

– كنت افكر في الظمأ. الانسان يا سيدتي شره طماع .. يشرب الكأس الاولى ولا يرتوي ولا يكف. يخوض التجربة



ولا يكتفي ولا يحذر، ولكن .. كيف نجعل القلوب تحذر ؟!

- قالت ناني: هل تقصد ان المكان يمكن ان يكون هو الظمأ .. او هو الارتواء ؟!

- اقصد ان الشعور بالظمأ، او بالارتواء هو الذي يعطي المكان ابعاده. لذلك فكرت ان نتحرك من هذا المكان لنجرب الشعور الآخر!

- قالت ناني: هل تشعر في هذا المكان الذي يضمنا الآن بالظمأ ؟!

يبتسم كانه يهذي .. يلتفت خلفه لينبش ملامحها من تراكمات الظلال عليها .. يقول لها:

- لا استطيع ان اعرف شعوري عن هذا المكان .. الا اذا جربت مكانا غيره. وعرفت شعوري فيه!

- قالت ناني: اذن .. لنذهب الى الرصيف الآخر الملاصق للبحر .. هناك رجل يسهر الليل ليبيع للناس الذين يشعرون بالظمأ زجاجة «بيبسي». الا نود ان نشرب انا وانت من زجاجة بيبسي واحدة .. حتى يكون بيني وبينك «سكر وثلج» .. مثلما يكون بين الناس عيش وملح)!!

الفراغ يفرغ الفراغ .. وتهدأ النفوس بالوهم ايضا!

مازالت ساقاه مدلاتين من فوق سياج الكورنيش، وخفقاته كلها مدلاة. الذي يضيع لا يعود. الضربة القاصمة وشاهد الاثبات في النهاية هو العقل..

آه منه .. اما ان يعود بالقناعة والتجربة، او يتبدد في الفقد لاشياء غالية!

انه يستعيد ذلك المساء...

كان يقف أمام باب بيته في «البغدادية» تحولت عيناه الى كاميرا سحرية تلتقط اغرب المناظر والملامح والتصرفات. عالم يموج بالمتناقضات: مكتبة مفتوحة لا يدخلها الا نفر قليل. طز على الكتاب والمعرفة لا يؤكلان عيشا. بجانب المكتبة «سوبر ماركت» مزدحم بابه وداخله. ياالله .. ليت الناس يفكرون بنصف ما يأكلون .. كأن الحياة بطن. سيارة صغيرة يابانية تتلوى فوق الأسفلت المكسر تتخطى كل السيارات .. لماذا يتعجل الناس الموت والتشوهات ؟! امرأتان تشيران لسائق تاكسي فلا يقف .. لماذا هو تاكسي ؟!

- آبيه عاصم .. آبيه عاصم!؟

اخته الصغرى التي يدللها. حلوة وشقية. لقد رباها بعد وفاة والده. انها كثيرا ما تدخل عليه غرفته وهو يرسم. وكثيرة هي اسئلتها: من هذه المرأة الحلوة التي ترسمها يا آبيه. هل رأيتها .. ليه ترسمها طيب ؟ .. اللون الاخضر اجمل من اللون البني يا آبيه .. انت ذوقك وحش يا آبيه .. بس لما رسمتني



كان ذوقك حلو بشكل!!

- ما الذي تريدينه يا غادة ؟!

- التليفون يا آبيه .. يبغاك.

- من هو يا غادة ؟

- اسمها ..اسمها نسيت!!

(يومها امطرت السماء .. ارتوت الارض. يومها كان اسمه: يوم المرأة الاولى. كانت «ناني» تتكلم بصوت مغموس في الحزن.

- قالت له: رأيت معرض لوحاتك. اعجبتني لوحة واحدة اسمها: الموت!

يومها .. قال لها وهو يلون فزعه بنبرة ضاحكة:

- ولم الموت بالذات .. ألم تعجبك لوحة الامل ؟!

- قالت ناني: الموت لانه الحقيقة. وحده الحقيقة في دنيا تلونها الاوهام!

- لماذا اليأس .. لماذا هذه النظرة الداكنة ؟!

- قالت ناني: انها نظرة صافية.. تضفي وضوحا على كل نظراتنا الاخرى لرغائبنا وشهواتنا وملذاتنا وافراحنا!

- لكن الحياة تحفل بالسعادة. الامل وحده سعادة. اننا لا نقدر ان نحكم على الحياة بالموت. لا نستطيع ان نحب، ونترابط، ونتتج، ونبدع، ونتناسل الا بفكرة الحياة!

قالت ناني: الموت يكبر في اعمارنا .. بينما الحياة تسلبنا هذا العمر!

- ولكني اخالفك .. اشعر احيانا بالحزن، لكنني لا ادع نفسي تضيع في اليأس!

- قالت ناني: تكفينا لحظة صدق .. انها عمر كامل!

- هل تقبلين عرضي ؟!

- قالت ناني: هل تريد ان ترسمني ؟!

- لأؤكد لك ان ملامح وجهك، رغم انني اعرفها الآن، تعبر عن الفرح.

- قالت ناني: وجوهنا ليست هي نفوسنا ياعاصم. أغلب الوجوه التي تراها اقنعة مزيفة!

- والقلوب .. انها ترفض الزيف والاقنعة. ومن خلال حوارك اعتقد ان قلبك مطبوع على وجهك!

- قالت ناني: قلبي ؟! ... انه محارة مترسبة .. في مناسبة حزينة!

- كيف .. انني لا افهم ؟!

- قالت ناني: لا يهم ان تفهم الآن حتى تعرف قلبي لتستطيع ان ترى وجهي جيدا)!!

ليته لم يولد ذلك المساء...

لا .. بل ليته تمدد، وتمدد وبقي وحده .. لا مساء بعده

.. هو البقاء الدائم في الحياة.

ولكن مساء آخر أتى...

الهاتف مرة اخرى. انه بجانبه ينتظر بلا موعد. انها لم تعطه موعدا .. انها ذابت مع صوتها وهو محكوم بالانتظار له. الانتظار ما اقساه .. ما اروعه!

الايام تتعاقب .. هل قال الايام ؟! .. بل اللحظات تتفسخ .. تتقشر بين اضلعه ولا يأتي صوتها.

لقد سئم من رنين الهاتف وهو يحمل اليه الاصوات كالكرنفال. ألوان غير متجانسة. مفاهيم تعيسة وسخيفة. كل صوت يأتي اذنه بمأذون:

– هل انت عازب يا عاصم ؟!

ومتى كانت الحياة زواجا فقط ؟!

.. هو يفتش بضنى. هو يبحث عن انثى لا تتخلف في شعوره جثة بعد شهور. هو متعب جدا حتى الهلاك، ولا يعثر على انوثة تتمتم بالفهم وتعزفه .. العالم مليء بالنساء الفترينات. جمال يهيل .. انما الوعي في الحس بورصة .. النتيجة فيها غالبا هي الخسارة!

او هو ووه .. ما اكثر الخطوط التي تقفل في اذنيه. واحد يا عاصم .. واحد!

ويرن الهاتف من جديد .. تفاهة اخرى!!

(– من ؟ .. محارة مترسبة في مناسبة حزينة ؟!

– قالت ناني: انت لم تنس عبارتي. ما رأيك لو جعلتها عنوان لوحتك الجديدة ؟!

– و... كيف أجد مكان المحارة ؟!

– قالت ناني: عاصم .. انت الانسان المريح في كل هذه الحياة من حولي.

– ....

– قالت ناني: اين ألوانك الصارخة في لوحاتك .. انك لا تجيب ؟!

– الصمت يا «ناني» هو الألوان مجتمعة. فيها الراحة والقلق .. فيها الخوف والفرح .. فيها العثور والفقد!

– قالت ناني: لقد استطعت ان تلون نظراتي بألوان لوحاتك، وتلون أيامي ايضا. المفروض انك لا تخاف انت. انا التي اخاف .. لانك لا ترى نقطة واحدة في صدري لونها قاتم!

– دعيني ادخل .. لأضيف الى البقعة لونا يجعلها نقطة فاتحة بيضاء!

– قالت ناني: امنيتي، ولكنها عجزي ايضا. دع اشواقنا بريئة من ادانة الفراق لها يا عاصم!

– هل مقدورنا ان نحيا المناسبة الحزينة طول العمر ؟!

– قالت ناني: عندما تعرف الحقيقة سيطول صمتك. أخاف عليك من هذا الأكتشاف يا عاصم. ودعنا نتحرك قليلا. لقد قررت ان اجعلك تحاول رؤية قلبي على وجهي. انتظرك غدا الساعة السابعة)!!

ليته لم يولد ذلك المساء..

«ناني» .. تختار المقعد الخلفي وراء عاصم .. بجانبه تجلس اخته الصغرى العفريتة، وخلفها تجلس اخت ناني!

(ناني تبتسم في ظلال المساء، وترسل صوتها من جانب اذن عاصم .. تقول له:

– هذه اختك الشقية يا عاصم التي حدثتني عنها ؟ .. ستصبح في العشرين ملكة جمال!

– قالت الصغيرة اخت عاصم: سبقتيني يا أبلا ناني. لولا الليل لحدثت الآن ازمة في المرور!

– قالت ناني: يا شقية .. عاصم قال لك ان تقولي هذا الكلام ؟!

– قالت الصغيرة: أبيه عاصم ياحرام .. خلاص ما يعرف يتكلم. وهوّا اللي كان ما احد يقدر يوقفه عن الكلام!

– قال عاصم: متى نبدأ في تأمل القلب على الوجه ؟؟

– قالت ناني: لا تتعجل الأسى يا عاصم. قلبي محروث .. لقد حرثه صوتك، وحرثته كلماتك، وحرثته ألوان لوحاتك. قلبي على وجهي .. على لساني .. في رعشة يدي، فلا تدعني أصمت في أقصر وقت!

– ناني .. انني!

– قالت ناني: اعرف .. انك في الليلة الاولى التي تعرف فيها وجهي، ولكنك في الليلة الواحدة بعد الالف التي عرفت فيها قلبي وخواطري ورؤيتي!

– هل نسكت عن الكلام المباح ؟!

– قالت ناني: الارض العطشى لا يرويها مطر السحاب. انني لا اكثر من سحابة تعبر حياتك!!

خيط الصمت الشفاه. اقفلها حتى فرغت العربة من ركابها، ولكن الصدور اخذت تنزف. الجرح غائر، وجثة)!!

عندما بلغ «عاصم» باب البيت .. سألته اخته الصغرى غادة:

– آبيه عاصم .. ليه الناس يسكتوا فجأة ؟!

– عندما يصبح الكلام سخيفا يا صغيرتي.

– قالت غادة: وما هو الذي يبقى غير سخيف ؟!

– ذلك الصمت الذي تسألين عنه!

(في المساء الآخر .. أتاه رنين الهاتف. صوت «ناني» مضرج بالحزن. قالت له ونبرتها دمعة:

– عاصم .. لا تلحدني في صدرك. صدرك لن يكون قبرا لكل الذي احسه بين اضلعي. صدري هو القبر. لقد جاء الخوف يا عاصم مدويا. انني فقط خفت عليك من صدري. خفت عليك من البقعة الداكنة. هل لاحظت ليلة أمس.. ان كل ألوانك لم تستطع ان تضيف الى البقعة الداكنة .. نقطة تجعلها تتفتح!

– عرفت الآن ان يأسك اقوى من حبك!!

أجهشت «ناني» بالبكاء .. قالت له:

– لا تقل هذا يا عاصم .. حبك حياة، فكيف اضع حبك في الموت، وصدري موت؟!

– انني لا ادري .. لم اعد ادري. انني في متاهة كانني ارسم لوحة سيرياليزم في معرض للوحات التقليدية!

– قالت ناني: عاصم .. غدا اريد ارى الحلوة «غادة» .. دع اختك تأتي الى البيت .. سأعطيها رسالة لك.

– لا ... انني اشعر انك تصدرين حكما بالاعدام. ان خوفك شرس!

– قالت ناني: لا تهرب الى الوهم .. انثى اريد ان انقذك)!!

ليته لم يولد ذلك المساء..

يا ذلك المطر .. انسكب فوق الارض القاحلة العطشى .. يا ذلك المطر!

تجف الارض .. تتفلح بالظمأ، وهو لم يعد يدري .. هل كانت دفعة الى الامام .. ام دفعة الى الخلف؟!

ما زال الناس يثقبون الليل بتفاهاتهم، والسيارات من خلفه تنطلق فوق ظلام الليل ونظراته تنطلق هي الاخرى الى المتاه..

ما زالت ساقاه مدلاتين من فوق سياج الكورنيش، وخفقاته كلها مدلاة. الذي يضيع .. لا يعود؟!

وفي الظلال .. من خلال اضواء السيارات العابرة، وفوانيس الشوارع المتثائبة ينشر ورقة صغيرة بين كفيه .. عمرها ساعات .. عمرها دهر بكامله .. يردد كلماتها:

(عاصم .. ايها الحياة:

سامحني بمقدار ما احببتك. بشعة هذه الحياة. بشع هذا العمر. انني اعجز اعجز. ارجوك دعني اقتنع انني عاجزة لأنّ استطيع. اريدك .. لانني اريد الحياة، ولكنني لا امتلك هذه الحياة. سأقول لك السر .. الضني .. التعاسة! اعلم يا عاصم انني.....

يا الهي .. كم اتصبب عرقا. اموت في الثانية آلاف المرات .. فكيف افقدك؟!

لكن .. لا اريد ان اظلمك، وقراري لا جدال فيه ولا رجعة عنه. لا تستطيع ان تجعل الوهم حقيقة. انت حقيقتي، وسرى هو الوهم. أرأيت كيف اعكس الحقيقة من اجلك .. من اجل حبي؟!

من اجلك يا عاصم .. من اجل البقعة الداكنة في صدري التي حدثتك عنها.

اصغ جيدا وتصبّر .. فاحتمالي يفوق فجيعتك.

عاصم ياسيد عمري: لا استطيع ان اربط حياتي بحياتك، فانا نهاية .. انا طريق مسدود .. انا موت يا عاصم!

عاصم .. سأقول لك السر: ان البقعة الداكنة في صدري هي قلبي الذي احبك وعشقك كانك الحياة المفقودة. انت الحياة، ولكنني بلا مستقبل .. بلا عمر يا عاصم. ان صمام قلبي مسدود لا يعمل، ولن اعيش اكثر من عامين .. مضى اولها، وانتظر انتهاء العام الآخر. اعطاني الاطباء حكم الاعدام بين يدي، وتركوني اترقب اللحظة الاخيرة، واخرج لساني للعلم، ولانتصاراته العظيمة، وقد جئت يا عاصم في اللحظة الاخيرة، وحبي لك يمنعك ويمنعني ان نستمر في العدم.

لا تقل ان الاطباء يخطئون. اعرف ذلك. لكن شعوري لا يخطئ. احببتك بكل العنف الذي ساد انتظاري للموت.

عاصم .. وداعا يا اجمل لحظة في عمري في كل العمر. لا تستأنف الحكم .. فالحقيقة تفوق الوهم.

* ناني *)!!

تراخت اصابع يده .. تراخت..

سقطت الرسالة فوق بقايا الناس كأنها بقايا الحياة .. فوق الاحجار والرمال اللزجة، والموج الواهن المتسكع على وجه البحر..

انه لا يدري ... لا يحصد الآن الاّ سحل الحياة..

لم يتبق له الا نظراته والاصداء..

لم تعد أكثر من خروم متشابكة ومعقدة كما شبكة الصياد .. نظراته!

طوح بها في اللامدى .. في لا نهاية هذا البحر الممتد امامه كما السر..

كما التعب لتختلط النظرات بحروف الرسالة .. بترددات الموج الخافتة!

الآن فقط ... تجف الارض .. تتفلح بالظمأ!!



مؤلف هذه المسرحية هو الكاتب الشهير جورج برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠) الأيرلندي المولد والنشأة، والبريطاني الاقامة والمات، والانساني النزعة والفكر.

كان كاتبا متقد الذهن، لاذع اللسان، متعدد المواهب والنشاطات: فقد كان روائيا، وكاتبا مسرحيا، ومعلقا ساخرا، وناقدا موسيقيا، ومحللا فنيا، وكما أورث كل هذه المجالات ميراثا ابداعيا خصبا، فقد خص المجال المسرحي بأكثر من خمسين مسرحية متباينة الطول، والموضوع، والأسلوب، والشكل الدرامي، الى جانب عديد من المقالات المسرحية والمقدمات التحليلية المستفيضة.

واذا كان كثير من النقاد ينفون عن مسرحياته صفتها الدرامية بدعوى أنها راكدة الحركة بسبب حوارها العقلي، الجدلي الطابع، وشخصياتها المصنوعة على أساس ان تكون أبواقاً صريحة لآراء المؤلف في القضايا التي يطرحها، فانها - مع هذا - مثيرة للذهن والشعور، لأنها تمس مشاكل انسانية عميقة حتى ولو لم تكتمل لها مواصفات القالب المسرحي، ومؤسساته الفنية.

والمسرحية - المترجمة هنا - تعبر عن موقف شريف آخر يقفه برنارد شو الى جانب الشعوب المستضعفة، مثلما وقف بقلمه الهجومي الحاد في سخريته ضد مذبحة دنشواى التي أرتكبها الانجليز في مصر سنة ١٩٠٦. كما أنها وثيقة أتهام أخرى ضد الحكومة البريطانية في تواطئها مع الحركة الصهيونية العالمية، لاغتصاب فلسطين من أهلها الشرعيين.

والشخصيتان الرئيسيتان في المسرحة واقعيتان، ومعروفتان تماما للشعوب العربية، لأن أيديهما من بين الأيادي التي زرعت البقعة السرطانية السوداء في جسم أطول فترة في تاريخنا الحديث. أولى هاتين الشخصيتين اللورد أرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا الذي ينسب اليه وعد حكومته المشئوم في نوفمبر عام ١٩١٧، والخاص بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين أما أخراهما، فهو العالم الكيميائي الألماني حايم وايزمان الذي كان على رأس الحركة الصهيونية منذ بداية قرننا الحالي. واضطر الى أن يقيم في انجلترا محاضرا في جامعة مانشستر، ثم مديرا لمعامل البحرية الانجليزية اثناء الحرب العالمية الأولى، كي يوطد بكل جهده وجهود الآخرين - وشائج التحالف بين الحكومة الانجليزية، والحركة الصهيونية. ثم كوفيء - فيما بعد - على خدماته الجبارة للحركة - طوال سنين عديدة - بأن عين أول رئيس لجمهورية اسرائيل.

ان برنارد شو في هذه المسرحية - أو الأحرى في هذه المقالة التاريخية الممسوحة - يفضح سر العلاقة الانتهازية الاجرامية بين بلفور وويزمان، والتي تتمثل في اختراع الاخير لمادة الأسيتون التي تستخدم في تصنيع المتفجرات. أما كلمة كارديت CARDITE التي ترد في السياق فتعني فتيلة المادة المتفجرة التي تتركب من نتروجليسرين وأسيتون ومواد أخرى ناسفة.

ولقد كتب شو هذه المسرحية القصيرة عقب انفعاله الغاضب، بسبب تقرير كاذب رفعته اليه مجلة «النيوليدر» البريطانية، والتي نشرت المسرحية بعد كتابتها في عددها الصادر في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٦، أي بعد مرور تسعة عشر عاما على وعد بلفور.

«المترجـم»



مسرحية قصيرة من ثلاثة فصول

للكاتب الأيرلندي العالمي:

جورج برنارد شو

تقديم وترجمة:

د. ابراهيم حمادة

شخصيات المسرحية

* برنارد شو
* ملحق بوزارة الخارجية
* أرثر بلفور
* حايم وايزمان

تلقى برنارد شو من مجلة «النيوليدر» نسخة من «تقرير الوكالة الخاصة لحزب العمل المستقل» عن الموقف في فلسطين، وسألته ان يعلق عليه اذا ما رأى ذلك. والفقرات التاريخية في التقرير التي يشير اليها مستر شو هي كما يلي:

ان قرار الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، انما كان يستهدف اغراضاً امبريالية. لقد كان هدفه ضمان تأييد السكان اليهود وتدعيمهم المادي أثناء الحرب، وأن يكون ذريعة لضم فلسطين – بعد الحرب الى الممتلكات البريطانية ولقد تحقق هذا الضم في صيغة الانتداب. ان الانتداب البريطاني ما هو الا تحرك امبريالي يهدف الى حماية الطريق الى الهند، والسيطرة على شرق البحر الابيض المتوسط، ثم حراسة بترول الموصل الذي ينساب في الانابيب الى حيفا.

هذا الجزء التاريخي الذي ورد في التقرير كله كلام فارغ. لماذا يصر الناس على أن يعزوا الى ساسة المدرسة القديمة الحصافة الميكافيلية، وبعد النظر، بينما هم أبرياء من ذلك براءة كاملة ؟؟ ان مجلس الوزراء البريطاني لا يرى – على الاطلاق – أبعد من طرف أنفه ... اللهم الا اذا جذبه أحدهم منه جذبا عنيفا. دعني أمسرح قصة أرثر بلفور الحقيقية مع الصهيونيين.

الفصل الأول

العام هو ١٩١٧. يقع المنظر في حجرة وزير الخارجية بمبنى «وزارة الخارجية البريطانية» يرى أرثر وهو يتأمل في دهشة بالغة تقريراً ناوله اياه أحد الملحقين بالوزارة.

أرثر ياه ... هذا شيء مفزع .. هل أنت متأكد من صحة الارقام التي دونتها هنا؟؟

الملحق لقد راجعناها ثلاث مرات ياسيدي.

أرثر أهذا حقيقة ما تكلفنا اياه الحرب؟؟

الملحق أكتب أية ملحوظة، اذا ما عن لك شيء ياسيدي.

أرثر أيها الشاب، هل أنت متحقق من ... لكن لا. الرجل الاسكتلندي هو وحده الذي يستطيع أن يشعر بشعوري ازاء ذلك. أنظر الى هذا البند وحده: اننا ندفع ٥٠٣٨ جنيها و ١٥ شلناً و $\frac{7}{12}$ ٩ بنساً لمواد الكورودايت الذي يكفي لقتل الماني واحد!! كيف يتحمل أي بلد مثل هذا العبء الباهظ؟؟

الملحق ليس الكوردايت هو الذي يكلف ذلك المبلغ ياسيدي، انما هي مادة الأسيتون الغالية جداً. فلا يمكن تصنيع الكوردايت دون استخدام الأسيتون.

أرثر أنا لا أعرف ما هو هذا الأسيتون، ولا أعبأ به. ولكن كل ما أعرفه هو أننا لو استمررنا على ذلك الانفاق، فانه سيجب علينا ان نصدر الأوامر بعدم قتل الألمان. فالموتى الألمان يكلفوننا كثيراً جداً ... ألا يعمل كيميائيونا على اكتشاف مادة أرخص؟؟

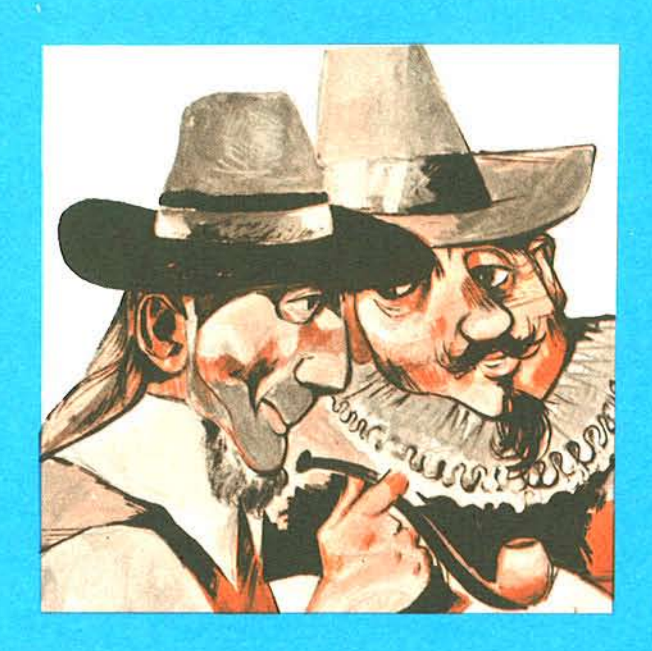
الملحق انهم يبذلون أقصى ما في وسعهم، ولكنهم لم يتوصلوا بعد الى شيء .. وهناك كيميائي في جامعة مانشستر، لديه مادة تمكنه من صنع الأسيتون بأقل تكلفة ممكنة.

أرثر أبعث به الى هنا حالاً. ولماذا لم تحضروه الى هنا من قبل؟

الملحق هذا مستحيل ياسيدي، لسوء الحظ.

أرثر ليس هناك شيء مستحيل وقت الحرب. ثم لماذا تعد ذلك مستحيلا؟؟

الملحق انه يهودي ياسيدي!!



أرثر وهل مادته تلك يهودية أيضاً؟؟

الملحق أعتقد لا، ياسيدي.

أرثر هل السير هربرت صمويل يهودي أم غير يهودي؟؟ هل هو عضو في الوزارة، أم ليس عضواً؟؟

الملحق انه ائتلاف حكومي ياسيدي، ويسمح بضم كل فئات الناس.

أرثر هل لديك اعتراض آخر؟؟

الملحق ان جامعة مانشستر كما تعرف ياسيدي، جامعة مقاطعة. والكلية هي كلية أونز!! ولو كانت هي جامعة كامبردج لذهبنا الآن الى أبعد ما هو متوقع.

أرثر اذا لم يحضر هذا الجنتلمان اليهودي الى هذه الحجرة في ظرف ثلاث ساعات فاني سارسل بك للعمل في الخنادق.

الملحق أوه ... اذا أصررت على هذا ياسيدي، فسنحضره بالطبع ولكننا سنفقد تقاليدنا.

أرثر (مهتاجا) أخرج من هنا.

(يهز الملحق كتفيه، ويضطر الى الانصراف)

أرثر (يكاد ينشب أظافره في صدغيه. ثم يعود مرة أخرى الى التحديق في كشف الأرقام) ندفع خمسة آلاف وثمانية وثلاثين جنيهاً ذهبياً لكي نطيح برأس الماني واحد؟؟ في الوقت الذي يجب علينا فيه أن نعدم أعداداً كبيرة منهم؟؟

الفصـــل الثانـــي

(نفس المنظر السابق بعد مرور ثلاث ساعات. الدكتور حاييم وايزمان موجود بدلاً من الملحق).

أرثر يادكتور وايزمان، اننا يجب أن نعرف سر مكتشفك بأي ثمن. أذكر الثمن الذي تحدده. ولن نتردد في دفع أي مبلغ يتكون من ستة أرقام.

وايزمان أنا لا اريد نقوداً.

أرثر لابد وان يكون هناك سوء فهم. فقد أخبروني بأنك يهودي!!

وايزمان ان ما أخبروك به صحيح، فأنا يهودي فعلاً.

أرثر ولكن، أعذرني ... أنت قلت بأنك لا تريد نقوداً؟!

وايزمان بالضبط، فأنا لا أريد نقوداً.

أرثر ربما كنت تريد لقباً؟؟ البارون؟؟ الفيكونت؟؟ قل، لا تتردد ..

وايزمان لاشيئ يغريني بقبول لقب. بل ينبغي علي أن أدفع أكثر لكل شيئ.

أرثر أيمكنني أن اسألك - اذا لم يكن هذا يضايقك -: ما دمت لا تريد شيئا من هذه الاشياء التي يسعى اليها كل انسان ما الذي تريده اذن؟؟

وايزمان أريد أورشليم ... القدس.

أرثر انها لك. ويؤسفني شيئ واحد فقط هو أنني لا أستطيع أن أضم لك عليها مدغشقر. فانها - لسوء الحظ - تتبع الحكومة الفرنسية. أما الارض المقدسة فهي - طبيعياً - تتبع كنيسة انجلترا. ومرحباً بك اليها وأهلاً.

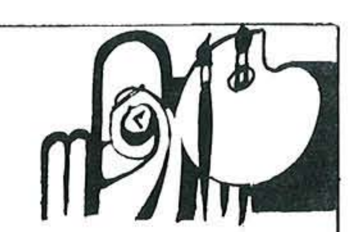
... وأعتقد أنك الآن مستعد لكي تسلمني سر اكتشاف الأسيتون.

الفصــل الثالــث

(مستر برنارد شو جالسا في حجرة مكتبته الفخمة وهو يطالع تصريح وعد بلفور).

شـو أيرلندا أخرى!! وكما لو أن واحدة لا تكفي!!

ســتار





بقلم: محمد السليم

* الفن موهبة وتفاعل من خلال الملكات الفطرية والمشاعر الحسية لدى الانسان. والفنان بواسطة الشكل واللون يدرك زوايا انسانية ورؤى جمالية في المجتمعات على غفلة منها من خلال المشاغل الحياتية ومتطلباتها. ومن تفاعل الفنان مع هذه الملكات الفطرية والمشاعر الحسية دارت عجلة النمو الانساني والتطور الحضاري في شتى مجالات العلوم والفنون.

والفنان مخلوق شديد الحساسية والتأثر .. وهو وسيطة رفيعة في التأثير الحضاري الانساني وقد ساهم الفن على اختلاف اهتماماته .. وتعدد مناحيه .. ومنها الجانب التشكيلي في ابداعات الحضارة بشكل جذاب .. ومثير من خلال خطوطه وألوانه الممزوجة بالاحاسيس الانسانية وقد مر الفن التشكيلي بمجموعة من المراحل واصبح اليوم يحتل مكانة رفيعة وهامة في عالم المعارف الانسانية .. ويلاقي في هذا العصر اهتماما كبيرا مسؤولا من الدول .. وله معاهده .. واكاديمياته وتقام له المهرجانات الكبيرة التي يحضرها كبار المسؤولين في الدولة.

والفنان السعودي التشكيلي المحترف بدأ من حيث وصلت اليه مستويات التقنية العالمية مستعينا بخلفية ادراكه للقيم الجمالية من خلال ما خلفه التراث الفني الاسلامي في الجزيرة العربية، حيث بدأت النهضة التعليمية الشاملة في المملكة العربية السعودية بعد توحيدها على يد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه. وبدأ معها التوسع في التخصصات العلمية والفنية، وارسال البعثات الى خارج الوطن .. هذه البعثات التي عادت تحمل معها آخر ما توصلت اليه التقنية الفنية في العالم وقد ظهر الفنان السعودي في هذا الميدان على المستوى العربي والعالمي باسلوبه الخاص موظفا ثقافته التي اكتسبها مستقلا بشخصيته المتأثرة ببيئته من خلال

التقنية الفنية العالمية. فنتجت أساليب فنية سعودية مميزة بطبيعتها وطابعها الاجتماعي والثقافي تشكل اضافة لهذا الفن الذي تهواه وتعشقه وتتذوقه النفس البشرية.

* البـــدايات:

كانت بداية ظهور الملامح الأولى للفن السعودي التشكيلي قبل ان تقرر مادة التربية الفنية على مدارس المملكة وتتمثل هذه المرحلة من خلال أعمال الهواة التي تفاعلت بايجابية وبرزت في جودة انتاج «الوسائل التعليمية والخط» لجميع المواد والصحف الحائطية.

وفي العام الدراسي ١٣٧٧/٧٦ هـ ١٩٥٧/٥٦ م تقررت مادة التربية الفنية على جميع مدارس المملكة بمختلف مراحلها، فظهرت البوادر الاولى سريعة وقوية وبرز نتاجها في اول معرض فني تشكيلي اقيم في المملكة عام ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م قدمت من خلاله عدد من اللوحات لكثير من الفنانين التشكيليين السعوديين من كل مناطق المملكة ويعتبر هذا المعرض في رأيي بداية انطلاقة حركة الفن التشكيلي السعودي .. من بعده اقيمت مجموعة من المعارض في جميع مناطق المملكة التعليمية على المستوى الأكاديمي البحت وبصورة مستمرة.

اما المعارض الشخصية (الفردية) للفنان السعودي التشكيلي المحترف فقد بدأت في اوائل الستينات - الميلادية لكل من الفنانين عبد الحليم رضوى ومحمد السليم وعبد العزيز الحماد وصفية بن زقر ومنيرة الموصلي، وتعددت فيما بعد حتى وصلت اليوم الى عشرات المعارض التي تقام سنويا الى جانب المعارض الجماعية المتعددة. وأخذ العدد الضئيل للفنانين السعوديين التشكيليين يتزايد من عام الى آخر فلمعت في هذا الميدان اسماء جديدة امثال الفنانين ضياء عزيز ضياء وحسن مليح واحمد فلمبان وخالد العبدان وعبد الجبار اليحيا وسعد عبدالله العبيد. ومحمد المنيف، وعبد الحميد البقشي وعدد من طلبة المعاهد الفنية والناشئين، وطلبة كليات الفنون المبتعثين الذين أكدوا موهبتهم الفنية من خلال أعمال اتسمت بجودة المستوى الفني عندهم. أمثال علي الرزيزا ومحمد الأعجم



الشهيد الملك فيصل/لسعد

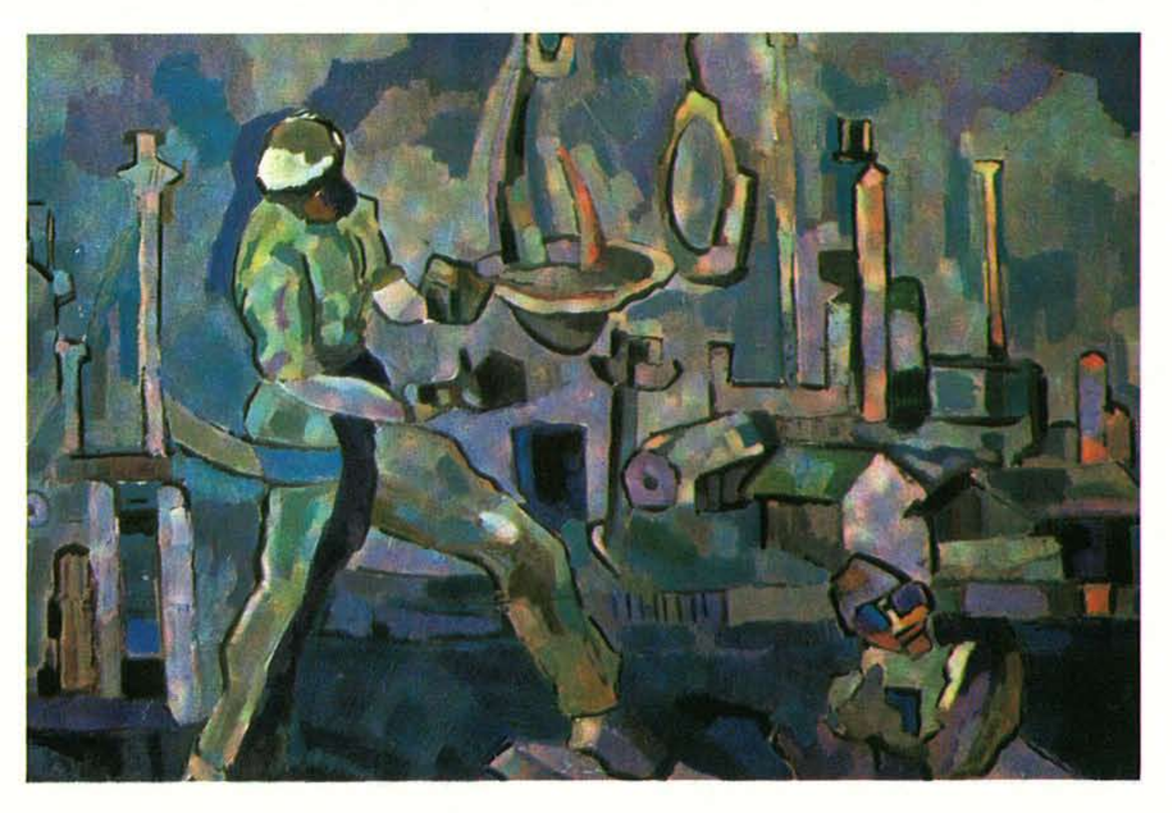
وسعود العيدي وعبدالله زايد ومحمد الرصيص وغيرهم.

* ومن وسائل تدعيم الحركة التشكيلية السعودية انشاء اول معهد للتربية الفنية في الرياض سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ومهمته الاعداد الفني والتربوي لمدرس التربية الفنية «الرسم والاشغال اليدوية وخامات البيئة» وقد تخرج منه الكثير من الموهوبين ومن بينهم بعض الأسماء التي ذكرت.

* وفي سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م انشئ مركز للفنون التشكيلية بجدة تحت اشراف الفنان عبد الحليم رضوى الذي تفرغ له الى ان سافر لاكمال دراساته العليا في الخارج ثم اسند عمل الاشراف عليه الى الفنان حسن مليح، وقد أعطى نتائج لا بأس بها.

* وانشئ في سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م قسم الفنون التشكيلية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب، الذي قام ولا يزال بالاشراف على تنظيم حركة الفنون التشكيلية السعودية واقامة المعارض الجماعية والفردية في جميع

منظر - للسلم



صناعة الزيت - للرضوى

انحاء المملكة وخارجها.

* وفي نفس السنة من انشاء هذا القسم تأسست الجمعية العربية السعودية للفنون في الرياض وفتحت لها فرعين في كل من جدة والأحساء، ويقوم بمسئولية الاشراف على لجنة الفنون التشكيلية كأحد نشاطات الجمعية الفنانان عبد العزيز الحماد ومحمد السليم ومن نتائج اعمال هذه اللجنة ادخال الفن السعودي التشكيلي عضوا في اتحاد الفنانين التشكيليين العرب الى جانب الاشتراك في المؤتمرات والاجتماعات الفنية على المستوى العربي والدولي، والمشاركة في المعارض الفنية التشكيلية التي نظمها الاتحاد او بعض الاقطار العربية، مع ما تقوم به من معارض شخصية وجماعية لفنانين سعوديين وغير سعوديين داخل المملكة.

ومع ما قام به مركز الفنون التشكيلية بجدة وما تقوم به الجمعية العربية السعودية للفنون في كل من الرياض وجدة والأحساء تقوم الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالاشراف والمساندة المادية والمعنوية لكل تجمع فني وتنظيم المعارض الشخصية والجماعية والمسابقات الفنية مما ساعد على تكثيف النشاط الفني وابرازه بالمستوى المشرف.

* وتقوم وزارة التعليم العالي ووزارة المعارف بصورة مستمرة بارسال البعثات الفنية الى كل من ايطاليا وفرنسا وامريكا ومصر واسبانيا وانشاء المعاهد الفنية التي كان آخرها ايجاد قسم عال للتربية الفنية في كلية التربية بالرياض سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م كما تدرس فكرة تأسيس كلية للفنون الجميلة بجامعة الرياض.

المعارض والمؤتمـــرات:

كان لتطور الفن التشكيلي السعودي اثره في تمثيل بلاده في عدد من المؤتمرات على النحو التالي:

* معرض السنتين الثالث الكويتي للفن العربي ١٩٧٣ بالكويت.
* معرض السنتين الاول لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب ببغداد ١٩٧٤م.
* المؤتمر العام الاول لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب ببغداد ١٩٧٤ م.
* المؤتمر العام الثاني لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب بالجزائر ١٩٧٥ م.
* معرض السنتين الرابع الكويتي للفن العربي بالكويت ١٩٧٥ م.
* مؤتمر الفنون التشكيلية في الوطن العربي والذي نظمته ادارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية في دمشق ١٩٧٥ م.
* معرض السنتين الثاني لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب بالرباط ١٩٧٦ م.
* معرض السنتين الخامس الكويتي للفن العربي بالكويت ١٩٧٧ م.

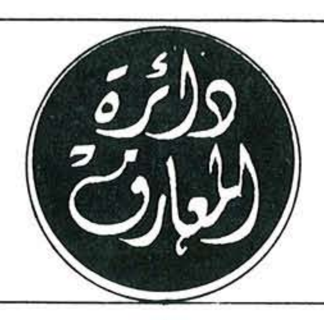
الى جانب الحضور المستمر لاجتماعات الأمانة العامة للاتحاد بتعاون ايجابي.

الأساليب الفنية السائدة بين الفنانين السعوديين

بدأت على اساس من القاعدة التقنية لأسلوب الفن الساذج (الفن التلقائي) ثم اخذت تدريجيا تتجه الى اساليب المدارس المعروفة (التأثيرية والواقعية والانطباعية) وتبلور بعضها متأثرا باساليب مدارس السريالية والتجريدية والدادا، وتتمثل هذه الاساليب في اعمال الفنانين كما يلي:

- المدرسة التجريدية - حسن مليح وعبد الحليم رضوي.
- المدرسة الانطباعية والتجريدية - محمد السليم وعبد العزيز الحماد وخالد العبدان.
- التأثيرية - صفية بن زقر وعبد الجبار اليحيى واحمد فلمبان.
- الدادا - منيرة الموصلي.
- النيوكلاسيكية والانطباعية - ضياء عزيز ضياء.
- الواقعية - سعد العبيد.
- السريالية - عبد الحميد البقشي.

ورغم تأثر الفنان السعودي التشكيلي بهذه المدارس واساليب تقنيتها في الفن التشكيلي الا أن الباحث الناقد يلمس بوضوح مميزات الفن والفنان السعودي عن غيره، سواء من ناحية الموضوع او التقنية، وقد توصل البعض الى استخدام ادوات ومواد جديدة تميزها بطابع اسلوب الشرق العربي ومع هذا فأملنا كبير جدا في ان تظهر نتائج الفنان السعودي بأصالة اكثر ومعاصرة اوسع ادراكا ووعيا لمفاهيم الانسان العربي المسلم المعاصر.





أباكاس:

جهاز حاسب، ترجع أصوله الى البابليين حيث كان يستخدم في الاعمال التجارية، وهذا الجهاز هو الأصل القديم للآلات الحاسبة والحاسبات الالكترونية. يتكون من اسياخ معدنية رفيعة متوازية، مثبتة في اطار خشبي. تجري عليها كرات أو أقراص خشبية مثقوبة (مثل عداد الاطفال) والاسياخ تقوم مقام الخانات في الحساب، الاول للآحاد والثاني للعشرات وهكذا .. وفي الاباكاس الصيني قسم خاص في كل سيخ يتكون من قرصين يمثل كل منهما خمس وحدات.

وقد شاع استخدام هذا الجهاز في البلاد العربية والاوربية خلال القرون الوسطى ووصل الى اليابان في القرن السادس عشر. وقد حلت محله الارقام العربية الهندية بما استحدثته من فكرة القيمة الخاصة للرقم بالنسبة لموضعه.



بطليمـــوس:

عالم فلك، ورياضة وجغرافيا، وطبيعة وتاريخ. وهو يوناني مصري. نشأ بالاسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني الميلادي. وقد استطاع اكتشاف عدم انتظام حركة القمر، وله أرصاد هامة عن حركة الكواكب.

وضع كتابه «المجسطي» في الفلك والرياضة، وهو من أهم المراجع التي أعتمد عليها الكثير من العلماء الاغريق والعرب. كما ان له جداول بها ١٠٢٨ نجما تعتبر أقدم وصف دقيق معروف للكون. وقد توفي بعد عام ١٦١ ميلادية.



تأثيريـــة:

نزعة ظهرت في فن التصوير في القرن التاسع عشر وتميزت بها المدرسة الفرنسية التشكيلية من خصائصها محاولة تسجيل الانطباعات المرئية المتغيرة عن الطبيعة مباشرة. ومن رواد هذه المدرسة الفنية كلود مونيه وادوار ماتيه واوجست رينواز وادجار ديجا. وقد استطاعت هذه المدرسة الفنية ان تحور الفنان من تناول الموضوعات التقليدية الجامدة. وفي أعقاب عام ١٨٨٦، تفككت الجماعية التأثيرية، تحت دافع طموح اعضائها الى ما هو أبعد مما تحققه. الا ان المدرسة التأثيرية مع ذلك قد حققت خلال عمرها القصير، بالاضافة الى روائعها الفنية، تغييرات في تاريخ الفن، ومهدت للمدارس الحديثة المتعاقبة التي جاءت من بعدها.



ثاني أكسيد الكربون:

غاز عديم اللون والرائحة اثقل من الهواء، لا يحترق ولا يسمح بالاحتراق، كما يذوب في الماء. ويمكن تحويله الى سائل بضغطه. يوجد بالهواء الجوي، وفي هواء الزفير، وينتج عن التخمر واحتراق الكربون. ويعتمد عليه النبات في عملية التمثيل الضوئي. وهو الذي يصنع منه «ماء الصودا» الفوار، كما يستخدم في أجهزة اطفاء الحريق. اما الثلج الجاف الذي يستخدم في حفظ المرطبات فعبارة عن ثاني اكسيد كربون في حالة صلبة.

ج

جامعـــة الريـــاض:

احدى جامعات المملكة العربية السعودية، صدر المرسوم الملكي رقم م/٦ وتاريخ ٢٨ محرم ١٣٩٢ هـ بالموافقة على النظام العام للجامعة والذي حدّد اهدافها. وقد افتتحت الجامعة عامها الدراسي الاول بكلية الآداب عام ١٣٧٧ هـ/١٣٧٨ هـ الموافق ١٩٥٨/٥٧ م. وتضم جامعة الرياض اليوم الكليات التالية الى جانب كلية الآداب، كلية العلوم (١٣٧٨ هـ/١٩٥٨ م)، كلية التجارة (١٣٨٠/٧٩ هـ) (١٩٦٠/٥٩ م)، كلية الصيدلة (١٣٨٠/٧٩ هـ) (١٩٦٠/٥٩ م)، كلية الزراعة (١٣٨٦/٨٥ هـ) (١٩٦٦/٦٥ م)، كلية الهندسة (١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م)، كلية التربية (١٣٨٧/٨٦) كلية الطب (١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م)، معهد اللغة العربية (١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م). وتضم الجامعة مكتبة عامة انشئ لها مبنى على احدث الاساليب المأخوذ بها في هذا الفن.

ح

حديبيـــة:

سهل على بعد ١٤٫٥ كم من مكة المكرمة، تم فيه صلح الحديبية. اذ في عام ٦ هـ قصد الرسول عليه الصلاة والسلام في نحو ١٥٠٠ من أصحابه ليرد على حصار المدينة في العام السابق (غزوة الخندق)، وليعتمر ويزور البيت الذي حرم منه هو وأصحابه منذ زمن. تأهبت قريش لمنعه بالقوة من دخول مكة، فسلك طريقا آخر حتى وصل الى الحديبية، وآثر السلم على الحرب، فأوكل المفاوضة الى عثمان بن عفان، وأنهت بهدنة سميت «عهد الحديبية» وقد تضمنت ترك القبائل حرة في اعتناقها الاسلام، مقابل تأجيل العمرة الى العام التالي.



خيال الظل:

من الفنون الشعبية، يجري بالقاء خيالات الاجسام المتحركة على ستار خفيف ليراه المشاهدون من الجانب الآخر. ويقوم فنان خيال الظل بتحريك عرائسه المسطحة ذات المفاصل ليقدم الى متفرجيه تمثيلية كاملة او بعض المشاهد التمثيلية، وبهذا يعتبر خيال الظل في الشرق أسبق نشأة من المسرح. ومن المرجح ان العرب عرفوا خيال الظل عن طريق شرق آسيا وجنوبها الشرقي. والثابت ان مصر عرفت هذا الفن في القرن ١٣ الميلادي. واشتهر به محمد بن دانيال الطبيب المصري. فكتب باباته الشهيرة لخيال الظل «طيف الخيال» و «عجيب وغريب» و «المتيم». وقد تأثر خيال الظل المصري بفن القرهجوز التركي، ثم أخذ يختفي مع ظهور وسائل الترفيه الحديثة حتى كاد أن ينقرض.



دارة الملك عبد العزيز:

تأسست دارة الملك عبد العزيز في الخامس من شهر شعبان عام ١٣٩٢ هـ، بموجب المرسوم الملكي رقم م/٤٥ كهيئة مستقلة لها شخصيتها الاعتبارية. وهي تقع في وسط مدينة الرياض، ويشرف على الدارة مجلس ادارة برئاسة معالي وزير التعليم العالي. وقد انشئت بهدف - كما ورد في نظامها - خدمة تاريخ المملكة وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية خاصة والجزيرة العربية وبلاد العرب والاسلام عامة، وتصدر عن الدارة مجلة متخصصة تحمل نفس اسمها. وتضم الدارة كذلك مكتبة متخصصة تخدم اهدافها، وهي في نفس الوقت مركز للبحث العلمي المتخصص، وذلك من اجل تحقيق وترجمة كل ما ألف عن المملكة والعالم العربي والاسلامي باللغات الحية.



ذات الهمّـــة:

أميرة عربية حبك حولها وحول ابنها عبد الوهاب الكثير من القصص ولها سيرة شعبية طويلة معروفة. يقال انها ابنة مظلوم بن الصحصاح الكلابي. ظهرت عليها امارات البطولة صبية فسميت «ذات الهمّة». رحلت الى مناطق الثغور لقتال الروم في سبيل الاسلام. وفي ملطية بايعتها بنو كلاب، فحكمت بالعدل والحزم واصبحت شبه مستقلة عن الخلافة في بغداد - لم

تكتف بالحكم، بل كانت تشارك في القتال، فوقعت مرارا في أسر الروم، وأوذيت كثيرا.

ر

رادار:

أختراع لكشف المسافات بعيدة المدى، استخدم في أغراض الطيران، كما استخدم في الاغراض الحربية، وكان استخدامه لأول مرة في الحرب العالمية الثانية لتحديد مواقع الطائرات والسفن، ثم لارشاد المدفعية. يتكون الرادار من جهاز راديو لارسال الموجة القصيرة ثم جهاز لتركيز الموجة، وحزمة توجيه هوائية تستقبل الحزمة المنعكسة بعد الاصطدام بالهدف واخيرا جهاز استقبال وشاشة للرؤية. ويظهر الهدف بادارة الهوائي في اتجاه اقوى صدى ويرجع اختراعه للسير روبرت واطسون وات.

ز

زريـــــاب:

هو أبو الحسن علي بن نافع المعروف بـ «زرياب». من أعلام الموسيقى الذين يدين الغرب لهم بالكثير. أبعده الخليفة من بغداد فاستدعاه الخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن الثاني الى بلاطه في قرطبة. هو الذي وضع وأرسى أسس وقواعد الموسيقى الأندلسية. وقد أضفى على الموسيقى نبلا وأعطاها صفة الشمولية، كما قام أبناؤه وتلاميذه بنشر موسيقاه في جميع أنحاء الأندلس، وبقي لنا من موسيقاه حتى اليوم ما يعرف باسم «النوبة».

س

سحبان وائل:

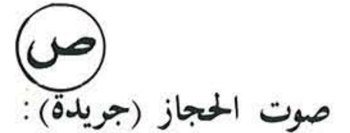
خطيب مخضرم من وائل باهلة، أسلم في زمن النبي ولم يجتمع به. عاش مدة عند معاوية بن ابي سفيان بدمشق، وقيل انه عمّر مائة وثمانين سنة. وكان اذا خطب يتوكأ على عصا، ويسيل عرقا، ولا يعيد كلمة ولا يتوقف او يتنحنح، ولا يبتدئ في معنى فيخرج منه دون ان يتمه، فضرب به المثل وقيل «أخطب من سحبان وائل». وقد اعتمد في خطبه على العبارات القصيرة المزدوجة، التي تضم حكما مقررة صالحة للشيوع، او أفكارا متقابلة.

ش

الشـاعر (وادي):

واد من أودية بلاد زهران. فيه عدد من القرى منها (المشايعة) و (العمدة) و (ابن عرار) وكلها لبني حسن.

ويقع على يمين الطرق من الباحة الى المندق، ويبعد عن الباحة بما يقارب ٢٠ ميلا، ويجتمع سيل وادي الشاعر بسيل وادي رهاوة، قبل قرية رسبة الواقعة في أسفله ثم ينحدران في واد واحد الى تربة.



صوت الحجاز (جريدة):

جريدة صدرت بجدّة عام ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١ م ونال امتيازها محمد صالح نصيف، ثم في عام ١٣٥٤ هـ، ١٩٣٥ م انتقل امتيازها الى شركة الطبع والنشر العربية، وصارت تصدر اسبوعية ثم نصف اسبوعية. ونشبت الحرب العالمية الثانية فتوقفت لعدم توفر الورق، وحين حل السلام وتوافر الورق عادت الى الظهور مرة ثانية اخرى اسبوعيا لكنها بدلت اسمها الى (البلاد السعودية)، وصدرت مرتين بالاسبوع، فثلاث مرات. وفي عام ١٣٧٣ هجري/١٩٥٣ م صارت يومية، وفي عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨ م اندمجت معها جريدة (عرفات) وصارتا تصدران باسم (البلاد) التي ظلت تصدر يومية وما زالت حتى اليوم.



ضغـط:

هو استخدام قوة ما على المادة لتغيير حجمها. وضغط الغازات اسهل من ضغط السوائل والاجسام الصلبة. وعندما يضغط الغاز فان جزيئاته تتقارب لدرجة قد يحدث عندها تحول الغاز الى السيولة في درجة حرارة معينة.

ويبحث قانون «بويل» في العلاقة بين نقص حجم الغاز تبعا للضغط الواقع عليه. وتستخدم هذه الظاهرة في آلة الاحتراق الداخلي بالسيارة مثلا، بضغط مزيج من الهواء وبخار البنزين فترتفع درجة حرارتها الى حد الاحتراق.

ط

طرفة بن العبد البكري.

شاعر جاهلي ولد بصحراء البحرين واليمامة، وقتل غيلة بالبحرين. مات ابوه وهو صغير وظلمه أعمامه فهجاهم. واستمر يهجو أقاربه حتى تبرأوا منه بالرغم من ثرائه وشرفه، اتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة، واخيه قابوس، ونادمهما، ثم هجاهما فاحتال اولهما لقتله. له معلقة طويلة، بدأها بوقفة قصيرة على الأطلال، فوصف مفصل للناقة، ففخر بنفسه، فلوم لابن عمه. ونثر فيه افكاره وتجاربه.



ظفــــار:

منطقة أثرية باليمن على مقربة من بلدة «بريم». كانت عاصمة دولة حمير في القرون الاولى من العصر المسيحي. عثر فيها على كثير من الآثار الهامة التي تسربت الى خارج اليمن. كما استخدم الناس كثيرا من احجارها في تشييد الدور والمساجد بريم وذمار. وظفار اليمن غير ظفار عمان.

ع



عجائب الدنيا السبع :

هي في حقيقة الأمر عجائب الدنيا القديمة وتتضمن (حدائق بابل المعلقة) التي قيل ان نبوخذ نصر اقامها فوق بناء شاهق ليضفي السعادة على احدى زوجاته ـ و (الهرم الاكبر) الذي بناه خوفو ويعد اكبر الاهرامات اطلاقا اذ يرتفع حوالي ٢٤٦ مترا. و (معبد ديانا) في أفسوس الذي استغرق العمل فيه ٢٢٠ سنة، وتمثال (زيوس) الذي شيده المثال اليوناني فيدياس ويبلغ ارتفاعه فوق القاعدة ١٣ مترا وقد صنع من العاج والذهب. وضريح (هاليكارناسوس) شيدته ارتميسيا عام ٣٥٤ قبل الميلاد احياء لذكرى زوجها على شاطئ بحر ايجة. وتمثال (رودس) الشاهق، وقد تحطم اثر زلزال. ثم أخيرا (منارة الاسكندرية) في شبه جزيرة فاروس بالقرب من الاسكندرية، شيدها بطليموس عام ٢٨٠ قبل الميلاد، من الرخام الابيض ترتفع ٥٨ مترا وفي قمتها شعلة تضيئ ليل نهار.

غ

الغرفة التجارية الصناعية بالرياض :

تأسست عام ١٣٨١ هـ بغرض: تزويد مشتركيها والجهات الرسمية وغير الرسمية بالمعلومات والاحصاءات المتوفرة لديها، وارشاد التجار والصناعيين لأسهل السبل وانفعها في جميع شئونهم التجارية والصناعية، وتجيب على الاستفسارات التي ترد اليها من خارج البلاد وداخلها، في كل ما يخص التجارة والصناعة، وتقوم بدراسة جميع المشاكل التي تعترض سير التجارة والصناعة.

وللغرفة مجلس ادارة مكون من ١٢ عضوا ينتخب رجال الاعمال ٨ أعضاء منهم، واربعة تعينهم وزارة التجارة والصناعة. وتصدر عن هذه الغرفة مجلة (تجارة الرياض) الشهرية.

ف

فاجــــنر:

يطلق عليه لقب «ملك الأوبرات وفيلسوف الموسيقى» وهو اول الماني أدخل الدراما في اوبراته واخضع موسيقاها لروح الشعر. ولد في مدينة ليبزج، وبعد ان اتم دراسته الثانوية التحق بالجامعة لدراسة الفلسفة والشعر، واثناء دراسته حرص على تلقي أصول الموسيقى علما وعملا.

ق

قصــر البنـت:

من الاماكن الاثرية في منطقة ينبع بالمملكة العربية السعودية، وهو قصر مبني بالصخر، وفوق بعض احجاره نقوش، وفي احد تلك الاحجار آثار كف، ويروي العامة ان بنتا كانت تسكن في هذا القصر في العصور الجاهلية، وكانت وحيدة تأنس بضوء القمر عندما يطل عليها من المشرق وكثيرا ما كانت تخرج وتناجيه. ووشت بها عند اخيها فتاة اخرى كانت تكيد لها على أنها تناجي حبيبا لها، فلما ذهب اخوها وسمع مناجاتها (للقمر) حسب انها تناجي حبيبا لها فعلا. فضربها برمحه فأرداها صريعة فوضعت يدها على مكان الطعنة ثم حملتها وضربت بها الجدار فبقى أثر الكف في الجدار.



كأس العالم لكرة القدم:

قرر الاتحاد الدولي لكرة القدم في عام ١٩٢٩ م ببرشلونة اقامة بطولة للعالم تنظم كل أربع سنوات للهواة والمحترفين، وتحدد الفريق الذي يفوز ببطولة العالم. فقدم جول ريميه رئيس الاتحاد الدولي كأسا ارتفاعها ٣٠ سم ووزنها ١٫٨ كغم من الذهب الخالص جائزة للفائز بالمسابقة.



لغـــة:

هي وسيلة الاتصال بين البشر في شكل أصوات منظمة، وهي السمة الفريدة التي تميز بها الجنس البشري. وتاريخ الكتابة الذي لا يجاوز ٦٥٠٠ سنة. يعد ضئيلاً بالنسبة لنشأة اللغة واصطلاح الجماعة اللغوية يعني الجماعة التي تتكلم لغة واحدة، وفي العالم الآن ما يزيد على ٢٠٠٠ جماعة لغوية. والترتيب التنازلي للجماعات اللغوية التي يزيد افراد كل منها على ٥٠ مليون: الصين الشمالية، الانجليزية، الروسية، الكنتونية، الالمانية، الاسبانية، اليابانية، العربية، البنغالية.

م

مارون النقـــاش.

يعتبر اول مؤلف مسرحي عربي. من اصل سوري، قضى سنوات عديدة في ايطاليا وأتقن الفرنسية والتركية. واول مسرحية له هي «البخيل» مقتبسة عن موليير ومثلت لاول مرة في بيروت عام ١٨٤٨

توالى نشاطه المسرحي بعد ذلك النجاح الذي لاقاه في محاولته الاولى، فبنى مسرحا متسعا الى جانب بيته وقدم فيه «أبو الحسن المغفل» مستعيرا الموضوع من الف ليلة وليلة، وآخر مسرحية له كانت «الحسود» عن مسرحية طرطوف لموليير.



ناشـــر:

ثعبان سام من افريقيا وآسيا ويطلق عليه ايضا «كوبرا» ويصل طوله الى ٥٥٠ سم عندما يغضب ينشر عنقه. ويوجد بالمناطق الحارة في افريقيا. وهو الثعبان المفضل لدى حواة الثعابين الذين ينتشرون في الهند. والحاوي يثير الثعبان حتى يشب نافخا رقبته متحركا ذات اليمين وذات اليسار مع حركة المزمار الذي ينفخ فيه الحاوي.



هســـتيريا:

مرض نفسي من أعراضه القابلية الشديدة للايحاء، والتقلب الانفعالي، وضعف الطاقة الانفعالية وتحلل محتوى الشعور. وفي حالة الهستيريا ينشأ صراع بين الذات الواعية وبين الرغبات اللاشعورية المكبوتة. وهو يصيب الذكور والأناث على السواء. والهستيريا تعتبر ضربا من ضروب التكيف الناقص كدفاع ضد القلق



ورق:

يرجع تاريخ صنع الورق الى عام ١٠٥ في الصين، وانتقل منها الى سمرقند، فشمال افريقيا حتى وصل الى اسبانيا عام ١١٥٠، ومنها الى باقي اوروبا، ثم الى امريكا ١٦٩٠. ويصنع الورق من الالياف النباتية بمزجها مع الماء لعمل عجينة، تبسط ثم تضغط، وتجفف.

وقد ورد لفظ ورق في القرآن الكريم بمعنى النقود من الفضة والذهب المضروبين، .. كقوله تعالى «فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ..» (الكهف: ١٩)، وكقوله صلى الله عليه وسلم «في الورق ربع العشر».



يوتوبيـــــا:

كلمة يونانية معناها «لا مكان»، جعلها توماس مور عام ١٥١٦ م عنوانا لكتابه الذي صور فيه دولة مثلى تحقق السعادة للناس وتمحو الشرور، ثم اصبحت الكلمة وصفا لهذا النوع من الابحاث والكتب. ومن أشهرها «جمهورية أفلاطون» و «مدينة الشمس» لكامبانلا، وأطلنطس الجديدة «لفرنسيس بيكون»، و «آراء اهل المدينة الفاضلة» للفارابي.

GALANT Σ*

جالنت "سيجما"

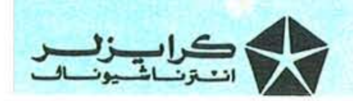
تصميم مثير جديد من اليابان

سيارة مصممة كطائرة نفاثة بشكل ايروديناميي كلّي .. جالنت سيجما الرائعة الجديدة تأتيك بالفخامة والراحة التي لا تجدهما إلاّ في السيارات العظيمة حقاً في يومنا هذا .. ومع ذلك فهي تعطيك قيمة تكاد لا تصدّق مقابل ما تدفعه عنها من نقود.

تفضل واجلس في رحابتها المفروشة بالسجاد من جنب الى جنب. تكييف الهواء متوفر. مقعدان أماميان قابلان للإمالة الى الوراء، وفي موديلات ٢٠٠٠ سم³ مقاعد خلفية قابلة للإمالة ايضاً. المقود ومقعد السائق قابلان للتعديل – لضمان الوضع المثالي. تحسّس القوة الزاخرة التي يهمس بها محرك ميتسوبيشي «٨٠» الجديد – ١٦٠٠ جي.إس. أو ٢٠٠٠.

جرّب جالنت سيجما .. إنها الآن واحدة من أفخم كماليات الحياة.

مؤسسة العيسائي للتجارة، جدة، الرياض



*Σ سيجما حرف اغريقي يستعمل رمزا «للمبلغ الكلّي». جالنت سيجما هي السيارة التي تجمع فيها كلها أجود مزايا السيارات الحديثة


GALANT Σ

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة الاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي:

أ) الجائزة الاولى ٥٠٠٠ ريال

ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال

جـ) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال وهناك سبع جوائز اخرى قيمة كل جائزة اشتراك في المجلة لمدة عام.

٢- المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وأرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الأسم ثلاثيا او رباعيا ان امكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي:

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل ص.ب (٣) المسابقة).

٤- أية اجابة تصل بعد ٣٠ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥- ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان اغلب أجوبة اسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦- من حق القارئ ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

* * * * * * * * *

السؤال الاول:

* في التاريخ الاسلامي (عام الرمادة) .. في اية سنة كان هذا العام بالتقويمين الهجري والميلادي .. وفي عهد من .. وما سبب التسمية ..وهل له تسميات اخرى .. اذكرها.

السؤال الثاني:

* اذكر اسماء مؤلفي الكتب التالية:

١- الكامل في التاريخ

٢- ضحى الاسلام

٣- كتاب الاعتبار

٤- نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب

٥- الاعلام بمناقب الاسلام

السؤال الثالث:

* بماذا تختص هذه العلوم:

الجيوفيزيقا – الجيولوجيا – الجيوديسيا.

السؤال الرابع:

دولة بنو حماد – الدولة الأخشيدية – الدولة الحمدانية – الدولة الصليحية– دولة القرامطة – الدولة المرينية.

اذكر اسماء البلدان (فقط) التي نشأت فيها هذه الدول.

السؤال الخامس:

الغدة الدمعية تقع تحت البروز في:

١– الركن الخارجي لتجويف العين

٢– الركن الداخلي لتجويف العين أيهما أصح ؟

السؤال السادس:

عدد اللغات واللهجات في العالم ٢٥٠٠ – ٧٥٠٠ – ٥٥٠٠ – ٩٠٠٠ أي هذه الارقام أصح ؟

السؤال السابع:

من هو الشاعر الذي قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

والشاعر الذي قال:

جهلا عليّ وجبنا عن عدوهم لبئست الخلتان الجهل والجبن

وماذا تعرف عنهما في سطور ؟

السؤال الثامن:

في ماذا تستخدم هذه الاجهزة: ديناموتر – راديومتر ؟

السؤال التاسع:

أحد العناصر المعروفة ينفجر مشتعلا على الفور عند تعريضه للهواء –لذلك يجب الاحتفاظ به مغمورا بالزيت او الماء – هل هو (الفوسفور –البوتاسيوم – المنجنيز) ؟

السؤال العاشر:

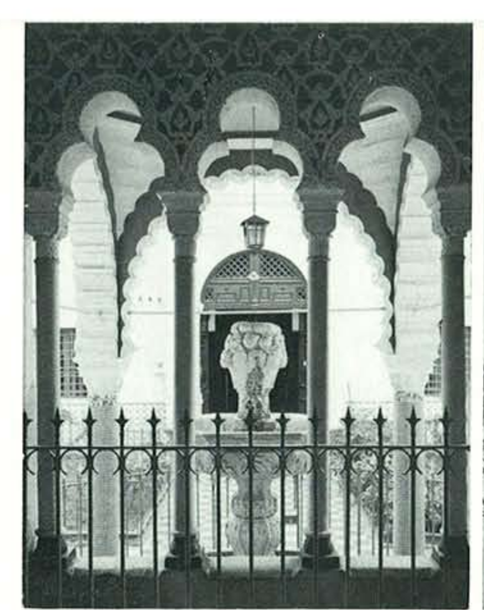
أيهما أصح حين نقول لمن يتزوج (بالرفاء والبنين) او (بالرفاه والبنين) ولماذا ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل (العدد الاول)

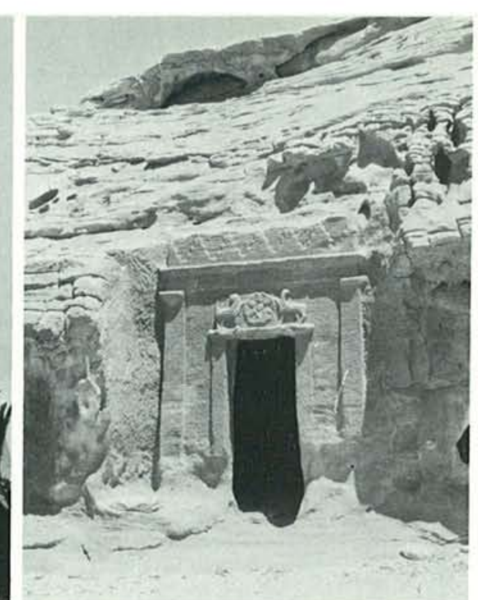
الاسم: ....

المهنة: ....

العنوان: ....







مجلة الفيصل في ديار العرب والمسلمين

لكي تكون هذه المجلة كما خطط لها مجلة متجاوزة تتخطى الحدود الاقليمية لتشمل كل الوطن العربي والاسلامي .. ولتصل الى كل ناطق بالضاد في أية ناحية من انحاء العالم.

من اجل هذا فقد وضعت ضمن برنامجها القيام برحلات من حين لآخر الى بلدان هذا الوطن الكبير الرحب للتعرف على معالمها .. وآثارها .. ونهضتها .. من ناحية، واستكتاب ادبائها ومفكريها من ناحية اخرى .. على امل ان ينعكس عطاء هذه الرحلات على صفحاتها .. صورة مشرقة .. وكلمة صادقة تبني لا تهدم .. تصلح لا تفسد.

وقد اوفدت بعثتها الاولى الى المغرب .. وتونس .. ومصر .. وهناك بعثة اخرى سوف تكمل زيارة بلدان المغرب العربي الكبير .. وتعرج على اسبانيا حيث بقايا الحضارة الاسلامية في غرناطة .. واشبيلية .. وقرطبة .. واخرى ستذهب الى اليمن وبلدان الخليج .. والسودان .. والعراق .. والاردن .. وسوريا وتعد المجلة برنامجا لزيارة البلدان الاسلامية في آسيا وافريقيا.

والمجلة الى جانب هذا كله سوف يغطي توزيعها المنطقة العربية والاسلامية .. وغرب اوروبا .. والولايات المتحدة الامريكية حيث تتواجد مجموعات ليست قليلة من الجالية العربية.

يظل هذا الكلام مسؤولية كبيرة تحملها المجلة على عنقها املاً في ترجمتها عمليا للقارئ العربي المسلم .. والله الموفق.



كتب وردت للمجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح امام القارئ آفاقا اوسع وارحب وابعد مدى».

مؤلفات للدكتور الجراري

من منشورات دار الثقافة بالدار البيضاء بالمغرب ورد للدكتور عباس الجراري الكتب التالية:

الامير الشاعر: ابو الربيع سليمان الموحدي دراسة نقدية شاملة لعصر ابي الربيع وحياته وشعره، من خلال تحليل جديد لعصر الموحدين من حيث سياسته ومذهبيته ومن حيث الحياة الفكرية والادبية لذلك العصر يقع في «٣٠٠» صفحة من القطع الكبير.

«في الشعر السياسي»: محاضرات القيت في قسم اللغة العربية وادابها بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس خلال العام الدراسي ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وفق المنهج المقرر لمادة الادب الاسلامي ويشمل المنهج بالاضافة الى الشعر السياسي، موضوع ادب الدعوة الاسلامية يقع في «٢٣٢» صفحة من القطع الكبير.

«موشحات مغربية»: دراسة نصية تتناول تعريف الموشح وموضوعاته ونشأته واهمية دراسته وعلاقة بالزجل وما انتجه الاندلسيون والمشارقة ثم المغاربة على احدى وخمسين موشحة لخمسة وثلاثين شاعرا من مختلف العصور، يقع في «٢٢٥» صفحة من القطع الكبير.

«الثقافة في معركة التغيير»: مجموعة من الدراسات حول قضية التراث والمعاصرة ومعركة المصير سبق نشرها وجمعت في هذا الكتاب الذي يقع في «١٩٠» صفحة من القطع المتوسط.

المناهل

مجلة المناهل: التي تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية بالرباط، بالمغرب وردت اعدادها السبعة، العدد الاول السنة الاولى (ذو القعدة ١٣٩٤ نوفمبر ١٩٧٤) العدد الثاني السنة الثانية (صفر ١٣٩٥، مارس ١٩٧٥) العدد الثالث، السنة الثانية (١٣٩٥ جمادى الثانية، يونيه ١٩٧٥) العدد الرابع، السنة الثانية (ذو القعده ١٣٩٥، نوفمبر ١٩٧٥) العدد الخامس، السنة الثالثة (ربيع الاول ١٣٩٦، مارس ١٩٧٦) العدد السادس، السنة الثالثة (رجب ١٣٩٦، يوليو ١٩٧٦) العدد السابع، السنة الثالثة (ذو القعدة ١٣٩٦، نوفمبر ١٩٧٦).

مؤلفات محمد الصباغ

«نقطة نظام»: مجموعة قصصية تحتوي على سبع عشرة قصة قصيرة للاديب المغربي المعاصر محمد الصباغ مع كلمة غلافية للاديب الكبير ميخائيل نعيمة تتضمن الثناء على هذه المجموعة تقع في «٢١٨» صفحة من القطع المتوسط.

«عنده»: قصة طفولة للكاتب نفسه تتميز باسلوبها الجديد ولغتها الرمزية السهلة تقع في «٩٤» صفحة محلاة بالصور الملونة من القطع المتوسط.

«شجرة محار»: مجموعة من الاقوال المأثورة للاديب الصباغ وهي بمثابة العدد الاول من سلسلة «القلم» من منشورات مديرية الشئون الثقافية في الرباط بالمغرب تقع في «١٤٩» صفحة من القطع الصغير.

ادبنا الضاحك

«ادبنا الضاحك»: للاستاذ عبد الغني العطري كتاب ظريف في فن الضحك وفلسفته يحتوي على النوادر والطرائف في الادب العربي قديمه وحديثه كاشفا من خلالها عن الجانب الاجتماعي والاخلاقي فضلا عن الادبي للحياة العربية عبر العصور يقع في «٣٧١» صفحة من القطع المتوسط صدر عن دار النهار للنشر ببيروت — لبنان.

كتب وردت للمجلة

مطبوعات نادي جدة الادبي

من منجزات «نادي جدة الادبي» صدرت مجموعة من الكتب للشاعر الاستاذ محمد حسن عواد وهي:

«محرر الرقيق»: سليمان بن عبد الملك الاموي وهو الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي كتبه صاحبه في اطار تحليل شخصية الملك الاموي العربي الاسلامي سليمان بن عبد الملك ويقع في «٣٠٩» صفحة من القطع المتوسط.

«قمم الاولب»: ديوان من الشعر الفصيح يحتوي على مقدمة عامة وعدد وفير من القصائد يقع في «١٧٧» صفحة من القطع المتوسط.

«الطريق الى موسيقى الشعر الخارجية»: دراسة في علم العروض من حيث اتصاله بالشعر ومن حيث ان الشعر احد فنون الادب يقع في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط (الطبعة الاولى).

«عكاظ الجديدة»: قصيدة من الشعر نظمت في مؤتمر الاحياء لسوق عكاظ تقع في ١٦ صفحة من القطع المتوسط.

كما اصدر النادي الكتاب السنوي لعام ١٣٩٥ – ١٣٩٦ ويقع في ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط.

مطبوعات مكتب التعريب بالرباط

جامعة الدول العربية: المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط (المملكة المغربية) اصدر هذه المجموعة من المعاجم:

– معجم الفقة والقانون:
(فرنسي – عربي) يقع في ٣٨٤ صفحة من القطع الكبير

– معجم البترول:
(انجليزي – فرنسي – عربي) يقع في ١٣٤ صفحة من القطع الكبير

– معجم النبات:
(انجليزي – فرنسي – عربي) يقع في ٩٧٣ صفحة من القطع الكبير

– معجم الحيوان:
(انجليزي – فرنسي – عربي) يقع في ٢٤ صفحة من القطع الكبير

– معجم الحشرات:
(انجليزي – فرنسي – عربي) يقع في ١١ صفحة من القطع الكبير

– معجم الفيزياء:
(انجليزي – فرنسي – عربي) يقع في ١٩٠ صفحة من القطع الكبير

– معجم الرياضيات:
(انجليزي – فرنسي – عربي) يقع في ١٩٢ صفحة من القطع الكبير

– مصطلحات الاعلامية:
(انجليزي – فرنسي – عربي) يقع في ١١٣ صفحة من القطع الكبير

– معجم العظام:
(انجليزي – فرنسي – عربي) وضعه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ويقع في ٧١ صفحة من القطع الكبير

– معجم السماكة والاسماك:
(فرنسي – عربي) وضعه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ويقع في ٦٣ صفحة من القطع الصغير

– معجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم:
(فرنسي – عربي) وضعه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ويقع في ٦٢ صفحة من القطع الصغير.

– معجم الالوان:
(فرنسي – عربي) وضعه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ويقع في ٧٥ صفحة من القطع الصغير

– معجم اعلام النساء بالمغرب الاقصى:
وضعه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ويقع في ٣٢ صفحة من القطع الصغير.

– نحو تفصيح العامية في الوطن العربي:
دراسة مقارنة بين العاميات العربية تأليف الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ويقع في ٢٠٦ صفحة من القطع الكبير

– المقولات العشر:
تأليف العلامة الشيخ «محمد الحسني البليدي» مخطوط نادر بخط المؤلف نفسه شرحه عدد من علماء عصره صححه وقدم له الدكتور ممدوح صبي، يقع في ٨٦ صفحة من القطع الكبير

– اللسان العربي:
مجلة دورية للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب المجلد الحادي عشر، المجلد الثاني عشر، المجلد الثالث عشر.